جميل عفاره

# مشاكل السودان السياسية

الدوافع البارزة وراء
الانقلاب العسكري الاخير

كانون اول ١٩٥٨

جميل عفاره
مشاكل السودان السياسية
كانون اول ١٩٥٨

# مشاكل السودان السياسية

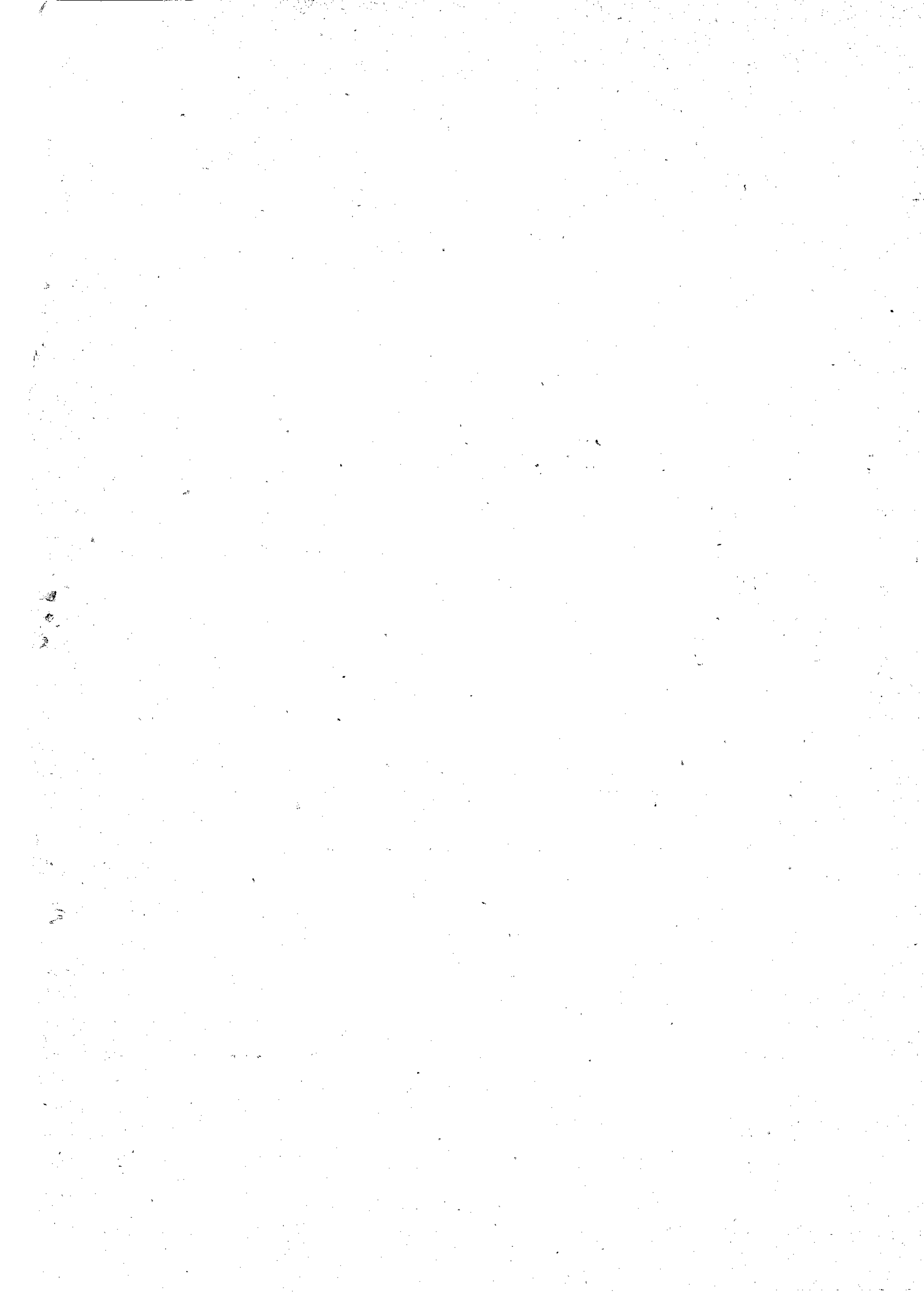
## دوافع المبارزة وراء الانقلاب العسكري الاخير

بقلم

**جميل الياس عفاره**

بكالوريوس في الآداب

كانون اول ١٩٥٨



# اهداء

## الى البلد

الخارج من الظلمة الى النور
ومن الفطرية الى المدنية
ومن العبودية الى الحرية
وشعبه السمر الوجوه
البيض القلوب ..

المؤلف

# شكر وتقدير

الى البـاذل من روحـه وقلبه وعقله
الى حامل لواء الجهاد والخير والانسانية
الى الموجه المؤسس الرافع من شأن بلاده
الى المعارض الباني المتعاون المتفـاني
في خدمة شعبه وامتـه
الى رئيس وزراء السودان الاسبـق

**السيد اسماعيل الازهري**

يرجع الفضل في جمع الجزء الاكبر
من المعلومات ، فله الشكر والتقدير .

وللقطر الناهض التمنيات بالاستقرار
والرغد
والعـزة
والهناء .

واشكر جميـع الذين ساعدوا في
خروج هذا الكتاب الى الوجود ...

# مقدمة

بقلم الكاتب العراقي
**محمد توفيق حسين**
استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت

يتردد اسم السودان ، اليوم ، على كل لسان . ويتساءل الناس عن اخبار السودان ، بلهفة ، تدل على قلة ما يعرفونه عن هذا البلد العربي الذي تحرر في الامس القريب من قبضة الاستعمار البريطاني ، لينطلق مع ركب العروبة المتحررة . يتساءل الناس ، عامة الناس ، اين يقع السودان ، ومن هم سكانه ، وكيف يعيشون ، وما هي احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ؟ ويتساءل المعنيون بالسياسة ، بعد الانقلاب العسكري ، الى اين يتجه السودان؟

يقع السودان في المنطقة الممتدة من جنوب مصر الى اواسط افريقيا . وتبلغ مساحته ٩٦٧٥٠٠ ميل مربع . ويزيد عدد سكانه عن عشرة ملايين شخص . وهو يقسم الى منطقتين تختلفان من حيث طبيعة الارض ، والمناخ ، والسكان ، تفصلهما على وجه التقريب درجة العرض الثانية عشرة شمال خط الاستواء . سكان المنطقة الشمالية ، في الغالب ، عرب مسلمون . اما المنطقة الجنوبية فتسكنها قبائل افريقية ، تتكلم لغات افريقية مختلفة ، وتدين باديان بدائية متعددة ، وتخضع لنظم اجتماعية تختلف عن النظم التي

يخضع لها سكان شمالي السودان ووسطه . ويبلغ عدد الافريقيين من السودان ثلاثة ملايين .

تكون الشعب العربي في السودان ، مثل معظم الشعوب العربية ، من اختلاط العرب بالشعوب غير العربية . فقد اخذ العرب يتسربون الى السودان بعد فتح مصر . ولكن هجرة القبائل العربية الجماعية ترجع الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد . ومن امتزاج العرب بالحاميين الساكنين في الاقسام الشمالية والشرقية من السودان ، والبربر الحاميين النازحين من افريقية الشمالية ، والزنوج الافريقيين ، تولد الشعب العربي المسلم في السودان . هذا الشعب عربي بلغته ، وتكوينه العقلي والنفسي ، وارتباطاته التاريخية ، واهدافه القومية . القومية العربية الصحيحة لا تقوم على نقاوة العنصر ، وترفض التمييز بين الناس بحسب الوانهم ، وتعتبر ذلك باطلا بمقاييس العلم ، وافتراء على جوهر الانسانية .

السودان جزء من الامة العربية ، وهو الى ذلك واقع في قلب افريقيا ، المتحفزة للتحرر ، والسير في قافلة الانسانية المتحضرة . ويوضح السيد احمد محمد خير ، وزير خارجية جمهورية السودان ، هذه القضية حيث يقول : (( السودان كافة يشعر بنفسه متفاعلا في الكيان العربي ، ويعزز من الايمان بهذا الشعور التاريخ الموحد والفكر اننا سنعمل من جانبنا على الحفاظ على الوشائج التي تربطنا بالدول العربية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة .. اننا نحس بمسئولية ضخمة تجاه الدول الافريقية التي ما زالت تسعى للتحرر . ان نظرة لافريقيا اليوم تجعلنا نحس بان العبء علينا فادح وتذكرنا بالواجب ازاء شعوبها . )) وليست هذه السياسة بعيدة عن سياسة الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها عبد الناصر ، الذي يحمل في قلبه الكبير هموم العرب وهموم افريقيا .

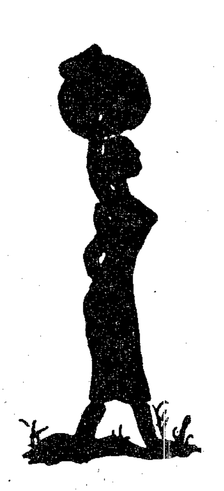
الحكومات تقوم وتزول ، والسياسات تتغير ، وتبقى الكلمة النهائية للشعب . وموقف الشعب السوداني من مصر ، كما يتضح ذلك من سياسة الاحزاب وجرائد الرأي ، يتراوح بين طلب الوحدة التامة مع مصر ، او التعاون الوثيق الذي يتطور تطورا طبيعيا الى شكل من اشكال الوحدة . وهنالك جماعات في السودان ، يصدرون عن مصالح خاصة ، يريدون ان ينطوي السودان على نفسه، ويبتعد عن مصر ما وسعه الابتعاد . وهؤلاء قلة من السياسيين ، لا سند لهم من الشعب . الذي لا شك فيه ان الشعب العربي في السودان سائر في ركب القومية العربية المتحررة، بايمان ، نحو تحقيق المصير الواحد .

بقيت مشكلة الافريقيين في الجنوب . وهي مشكلة ليست مستعصية الحل على دولة متحررة ، تؤمن بالانسان ، وتعترف للاقليات القومية بحقوقها المشروعة ضمن اطار الوحدة السودانية . ونحن لا نشك في ان الشعب العربي المتحرر في السودان سيحترم انسانية هؤلاء الافريقيين ، ويصون حقوقهم المشروعة ، ويساعدهم على التطور والتقدم في المجال الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

يبحث صديقي الاستاذ جميل عفاره في هـــذا الكتاب الذي اقدمه للقراء في هذه المشكلة التي عرضت لهـــا باختصار ، وفي مشاكل مهمة اخرى . فهو يتناول تاريخ السودان القديم ، وعلاقاته بمصر ، وببريطانيا . وهو يبحث في النضال الوطني الذي حمـل اعباءه الشعب السوداني طوال اجيال حافلة بالمشقات والآلام ، حتى حقــق استقلاله واعلن جمهوريتـــــه . وهــو يبحث في الاحزاب السياسية ، ويحلل اهدافها وغاياتها ، ويلم بسير زعمائها ، وما كان يشجر بينها من خصومات سياسية . وآمل ان يكون الاستاذ جميل عفاره قد ساعد القارىء على فهم تاريخ السودان السياسي، وكشف له عن العوامل البعيدة التي ادت الى الانقلاب العسكري الاخير .

ان العرب ، كل العرب ، يتابعون تطور السودان ، باهتمــام ومحبة . ويتمنون للشعب السوداني الشقيق ان يحل مشاكــله الداخلية حلا سريعــا موفقــا . ويرجون له ان يتغلب على هــذه الخلافات العرضية القائمة بينه وبين مصر . ويتطلعون ، بشوق ، الى اليوم الذي يصبح فيه الشعب العربي من مصر، والشعب العربي في السودان ، اللذان وحدتهما العروبة والنيل والنضال المشترك ، يدا واحدة تعمل في سبيل القومية العربية ، وتطهير افريقيا باسرها من اثار العبودية والاستعمار .

بيروت ١٩٥٨/١٢/٣ — محمد توفيق حسين



# تمهيد

السودان، هذا البلد الواسع الارجاء، الممتد الرقعة، المترامي الاطراف ، قلب افريقيا النابض ، يلعب اليوم دوراً هاما في سياسة الدول الافريقية المتحررة ، وقد تجلى هذا الاتجاه في مؤتمر الدول الافريقية الذي عقد في اكرا في ١٨ نيسان ( ابريل ) عام ١٩٥٨ ، حين جاء على لسان ممثل السودان وزير الخارجية السابق السيد محمد احمد محجوب بأن السودان يؤيد استقلال الجزائر ويعمل جاهدا للقضاء على التمييز العنصري كما يشجب التجارب النووية ويحث على خفض التسلح حفاظا على السلام العالمي وعلى تقيد اعضائه بقرارات ومباديء باندونج . كما ساهم السودان في ربط كلمة العرب ودعم موقفهم الموحد امام دول العالم في اجتماعات مجلس العموم في هيئة الامم ابان الازمة اللبنانية . هذا هو السودان الذي نحن في صدده اليوم بعد الانقلاب العسكري الاخير .

وارى لزاما علي ان اكتب هذه المراحل الرئيسية التي تعرفت عليها بعد ان عشت هناك ايام الانتخابات النيابية الاخيرة لاول برلمان سوداني ينبثق عن ارادة الشعب الحر الذي تكبد الكثير وهو يئن تحت نير الاستعمار والعبودية .

قضيت مدة من الزمن جعلتني اطلع على مختلف الوان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الجمهورية السودانية .

وقد سمحت لي الظروف بمقابلة معظم الشخصيات السودانية وعدد كبير من رجالات الدولة البارزين وبعض اعضاء البرلمان الجديد . فأتاحت لي الفرص مراقبة الاحداث عن كثب ومشاهدة ما يجري هناك من اتجاه سياسي ونمو اقتصادي وتقدم اجتماعي .

لكنني حرصت في هذا الكتاب على أن لا اتعرض الا للنشاط السياسي الذي أعتبره أنعكاسا لسلسلة أبحاث أقوم بها والتي تشمل المشاكل الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية في السودان الواثب الى اسمى الغايات واعلاها والمتطلع الى مكانة مرموقة بين دول العالم .

ان ما يكتب اليوم او يقال عن السودان المنبعث حديثا والسائر قدما نحو الثقافة والمدنية والنهضة ليس الا تمهيدا لما سيكتب ويقال عنه بعد ان يقارب ان يستكمل نهضته ورقيه في سائر حقوله السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

لا يزال السواد الاعظم من الشعب العربي في بقاع الوطن الكبير، يجهل هذا المارد الاسود الذي انطلق من احضان افريقيا ليبني مجد امة ذات سيادة تتمتع بشخصية فذة فريدة من نوعها تشمل عناصر مختلفة متخلفة من قبائل زنجية عديدة تتحدث باكثر من ٢٦٤ لغة ولهجة . هذا المزيج الخليط من الجنسيات والقوميات القبائل يتمخض عن تيارات فكرية متشابكة متعاكسة ومتضاربة ترمي الى تخطيط الملامح في الاتجاه السياسي .

فالسودان اليوم يعاني آلام الوضع الداخلي في البلد البكر ، ويرزح تحت ازمات متعددة تنشب من هنا وهناك وفي مختلف الحقول .

اقتصاده قائم على تصدير سلعة رئيسية واحدة هي القطن، وحياته الاجتماعية في جمود لكثرة ما مارس من النهج الصوفية والتقاليد القبائلية والعادات المنبوذة والافكار الموروثة وما شابهها من ترهات وخرافات .

والسودان اليوم يحاول بشتى الوسائل ان يشق طريقه نحو النور وسط هذه الرواسب والظلمات ... فالبنود الرئيسية للانشاء ولرسم السياسات لا تزال في طور من الدراسة والمراجعة .

ان مختلف هذه التيارات الفكرية المتناقضة والمتجاوبة تعكس احساسات قائمة على مركبات من النقص والضعف نحو « اللون الاسود » الذي يشكل مجموعة من العراقيل ، يتعثر بها زعماء الاحزاب ورجال الحكومة وهم يبنون صرح السياسة السودانية . أهي انحياز وانتساب الى الاسرة العربية ، أو انحياز وانتساب الى العنصر « الاصلي » الزنجي ؟ فالقائمون على السودان يبدون تحفظا شديدا من تحديد موقفهم من هذين الاتجاهين ، اذ يربطهم الدين واللغة والعادات وصلة الدم والقربى والجوار بالاسرة العربية في شمال السودان وشرقه واواسطه وجزءا كبيرا من غربه ، كما يربطهم الجنس واللون والدم والعادات والتقاليد والقربى والجوار بالاسرة الزنجية في الجنوب والغرب وجزء من الشرق . فالانحياز لأي اتجاه يثير الاتجاه الاخر ويقف حائلا دون وحدة الصف وربط الكلمة وانسجام الاتجاه بين ابناء الوطن الواحد ويحاول القائمون على السودان ايضا والحريصون على تقدمه وازدهاره ، أن يعملوا جاهدين في سبيل تبلور « فكرة ما » واستيعابها ثم الحث على انتشار تعاليمها لكي تعم سائر انحاء السودان ، فيجتمع عليها الاكثرية الساحقة من أبنائه ، من فطريين ومتمدنين ومن بدائيين ومثقفين اينما كانوا في الريف ام في المدينة .

فهذه الفكرة هي « قومية » تمت بصلة وثيقة للقومية العربية ، اختارها القادة السودانيون لتربط جميع ابناء الوطن في اتجاه واحد وقلب واحد وميل واحد ، واهم وسائلها تعميم اللغة العربية في جميع اجزاء السودان .

وزعماء السودان اليوم يحملون اعباء مسؤوليات جسام في صهر القبائل الزنجية في بوتقة الوحدة السودانية ثم توجيهها

توجيها عربيا . وقد أقدمت على وضع هذا الكتاب لعلنا نتفهم ونعي مشاكل السودان السياسية في الوقت الحاضر بعد أن نستعرض التطورات في العلاقات الخارجية التي كانت قائمة بين السودان من جهة ومصر وبريطانيا من جهة اخرى ومدى تأثير هذه العلاقات في بناء الاتجاهات السياسية الداخلية التي تسيطر اليوم على السودان، كما نستعرض تطور الوعي السياسي والاصلاح الاجتماعي ومعظم العوامل التي مهدت الطريق امام نهضة السودان الحديثة وجعلت له مكانة مرموقة بين الدول .

بعد ان انطوى النصف الاول من القرن العشرين ، وجد السودان نفسه جمهورية مستقلة ذات سيادة ، هذه السيادة التي لا يمكن أن تتحقق الا بمجابهة مجموعة من المسؤوليات والمشاكل ، من حركات انفصالية داخلية الى مشاكل دولية ، مشكلة الحدود مثلا ومشكلة اقتسام مياه النيل ومواصلة المفاوضات للوصول الى نتيجة ترضي عنها مصر والسودان . كلها قضايا تحتاج الى تضحية مخلصة ودراسة علمية ، والجدير بالذكر أن نسبة المتعلمين في السودان لا تتعدى ٣ بالمئة . ولم تزل عقلية معظم السودانيين تعيش في الماضي ، الماضي المتخلف الرجعي الطائفي تسيره رجال الصوفية وتجعل من سكانه ارضا خصبة تنبت فيها تعاليم طرقهم – طرق القوم – فتتخذ مسالكا عديدة لهذا الغرض . فمثل هذه العقلية البدائية التي تتقبل كل ما هو عاطفي وبسيط ، لهي عقلية بحاجة الى رجال مخلصين يقومون على توجيهها وصقلها لما فيه الخير والهناء للشعب السوداني .



## لمحة تاريخية

### العلاقات بين مصر والسودان في مراحلها الاولية ...

حرصت في تقديم هذه اللمحة التاريخية عن السودان على الاستعانة بمعلومات اخذتها عن كبير مفتشي التاريخ في وزارة المعارف السودانية الصديق الاستاذ منذور المهدي ومن المحاضرة التي القاها في المؤتمر الدولي السابع عشر لعلم الاجتماع الذي عقد من ٢٣ الى ٢٩ ايلول من العام الماضي في الاونسكو في بيروت .

وهذه مقتطفات من نص المحاضرة التي تدور في نطاق المراحل الاولى للعلاقات المصرية السودانية منذ فجر التاريخ .

« يبدأ تاريخ السودان المكتوب ، على وجه التحقيق ، حوالي اواسط القرن الثلاثين قبل الميلاد . فحوالي ذلك التاريخ غزا سنفرو أول فراعنة الاسرة الرابعة اقليم النوبة الشمالي وسجل خبر هذه الغزوة في سجل اعماله ، على اننا نستطيع أن نتصور ان علاقات تجارية قوية كانت قد قامت بين مصر وبلاد السودان قبل غزو سنفرو هذا بكثير . فنهر النيل يربط مصر بالسودان . وبما انه يحيط بمصر الصحراء من الشرق والغرب والبحر من الشمال ومن الطبيعي ان تتجه جنوبا نحو السودان ما دام ذلك المرفق الجنوبي،

النيل ، صلة الوصل بين البلدين . وعلى هذا ، فقد بدأت العلاقات التجارية بين البلدين وكانت تعززها غزوات شبيهة بغزوة سنفرو وكان يقصد منها تأمين الطرق التجارية وكذلك كان الاتصال يتم عندما يتوجه سراة المصريين للصيد في اقليم النوبة .

ولما دخلت مصر في عهد الاسر القوية وقامت المملكة المصرية القديمة اخذت الاتصالات تزيد وتقوى ، خاصة تحت فراعنة الاسر الاربعة الاقوياء الذين شادوا الهرم . وقبل أن ينتهي عهد الفراعنة الاقوياء من ملوك المملكة المصرية القديمة ، كان اقليم الشلال والاجزاء التي تليه جنوبا مباشرة قد خضعت لمصر ... وعلى عهد المملكة المصرية الوسطى احتلت مصر الاقليم الواقع بين الشلال الاول وكرمة على النيل احتلالا عسكريا بأن اقامت فيه القلاع والحصون على مسافات مختلفة على النيل بقصد حماية المواقع الاستراتيجية من ناحية المواصلات النيلية. ثم تم استيلاء مصر علىالسودان الشمالي النيلي حتى الشلال الرابع تقريبا ابان عهود الامبراطورية المصرية وظلت مصر تسيطر على المواقع الحربية والتجارية في تلك المنطقة حتى قيام دولة بنته في القرن الثامن الميلادي . على أن نفوذ مصر الفرعونية كان دائما محصورا على النيل وعلى مسافة صغيرة من شاطئيه .

وكان سكان السودان الشمالي والوسط في تلك الحقب يختلفون كثيرا في اشكالهم وسحنهم عن سكان السودان الشمالي والوسط الحاليين الذي تغيرت ملامحهم باختلاطهم بالدم الزنجي الوافد من الجنوب والدم القوقازي ( العربي ) الوافد من الشمال . فسكان السودان الشمالي والشرقي كانوا ينتمون الى الجنس القوقازي والى الفرع الحامي الذي كان ينتسب اليه سكان مصر الاقدمون والاوروبيون الاوائل . اما سكان الاجزاء الجنوبية من السودان فكانوا ينتسبون الى الزنوج السودانيين ، اجداد الزاندي ، والفرتيت الحاليين والعناصر النيلية الشلك والدنكا الحاليين ...

ثم بدأت البلاد تتعرض للغزو المصري وللحضارة المصرية .
وقد اقام المصريون القدماء قلاعهم على النيل في المنطقة التي احتلوها في بوهين ودابنارتي وميرفيا وشلفك وسمنه واناريتي وغيرها . وكانت تلك القلاع عبارة عن مدن صغيرة مصرية او بالاحرى مستعمرات وذاكر مصرية ... وبالطبع ، اخذ الاحتكاك والتأثر يزداد ويقوى على مرور الايام وخاصة عندما اخذ المصريون المدنيون من صناع وموظفين ورجال دين يفدون على السودان في عهد الامبراطورية المصرية ويستقرون في الاقليم الذي خضع للنفوذ المصري من الشلال الاول حتى الشلال الرابع ويقوى شوكة النفوذ المصري على السودان ، وعن طريق الاختلاط المدني القوي . في تلك الحقبة ، تمت السيطرة للثقافة المصرية واندمج السكان الاصليون حول مستعمرات المصريين القدماء بالمصريين وتزاوجوا بهم وبالتدريج تمصرت البلاد وخاصة في دينها وفنها وعمارتها . اما الجزء الواقع بين الشلالين الاول والثاني فقد اصبح مصريا في حياته ودينه ومرافق حضارته الاخرى ... وكانت تقوم ايضا ممالك سودانية كمملكة نبته التي امتد نفوذها في القرن الثامن من قبل الميلاد على مصر حتى حمفيس لفترة من الزمن ... ثم جاء بعدها دولة مروى ، وقد استمرت ابان حكمها الحضارة المصرية وازدادت تأقلما واتخذت طابعا محليا خاصا ... »

والخلاصة ، قامت ولا شك علاقات بين مصر والسودان في زمن ما قبل التاريخ كانت تمهيدا للعلاقات التي قامت في عصور بدء التاريخ وكان من نتائجها امتزاج واختلاط ، اغتصاب واحتلال ، تقدم وتراجع انتهت بتمصير جزء من السودان الشمالي وانصهاره في مصر اليوم وتوزيع تقاليد وعادات ومبادىء في الجارتين عايشت التاريخ وظلت اثارها ملموسة وهي التي تفسح المجال امام احدى الفكرتين الرئيسيتين للتبلور فيما هو افضل للسودان في المستقبل .

## العلاقات بين العرب والسودان قبل الاسلام وبعده

لم اترك صديقي الاستاذ منذور المهدي بعد ان خاض في اعماق التاريخ قرونا ، بل حرصت على ان اسجل رأيه في العلاقات العربية بعد ان طال الحديث عن علاقات السودان بمصر الفرعونية . وهذا نصه ايضا :

« يعتبر دخول العرب ودخول الحضارات الاسلامية في السودان حدثا في غاية الخطورة والاهمية في تاريخ السودان . فهو خاتمة عهد وبداية عهد . هو خاتمة عهد في ان العهود التي سبقت دخول العرب في السودان كانت عهود السلالات الزنجية والسلالات الحامية من نوبه وبجه وسود والسلالات التي نجمت عن اختلاط العناصر الزنجية والحامية وكان تاريخ السودان في جملته وتفصيله عبارة عن تجارب تلك السلالات واحتكاكاتها مع المصريين القدماء والاغريق والرومان ... ودخول العرب بداية عهد في انه ادخل على سكان البلاد العنصر العربي الذي اختلط بسكان البلد الاقدمين . فكون نواة الشعب الذي يسكن اليوم في الشمال وفي الوسط وفي الشرق والغرب ... كما اثر بصور مختلفة على السلالات الجنوبية الحالية . ودخول العنصر العربي على حداثة تاريخه كان عاملا قويا الى حد بعيد بحيث غلبت الثقافة العربية والحضارة الاسلامية على الغالبية العظمى من سكان السودان وتحول اتجاه البلاد السودانية الى العالم العربي والاسلامي ...

ومن الواضح ان العنصر العربي دخل بلاد السودان قبل الاسلام ولكنه لم يسهم بالكثير في اي منحى من مناحي حضارته ثم جاء الاسلام وهاجرت القبائل باسمه الى البلاد المفتوحة فحملت معها الى تلك البلاد بما فيها السودان ، لغة القرآن بجانب اللهجات العربية الدارجة القديمة . واستمرت هجرة العرب البدو الى

السودان طيلة السبعة قرون التي سبقت قيام دولة الفونج في بداية القرن السادس عشر الميلادي ... »

بهذه المناسبة استشهد بما قاله ابو علم الاجتماع ابن خلدون في مقدمته : « حاول ملوك النوبة صد العرب من دخول بلادهم السودان ولكنهم لما فشلوا في ذلك استطاعوا من طريق أخر ان يكسبوا العرب وذلك عن باب المصاهرة وتزويجهم بناتهم للعرب الذين اصبحوا الورثة الشرعيين للنوبة الذين كانوا يورثون ابن البنت . وهكذا تفككت دولة النوبة وآلت لجهينة .. »

بالاختصار دخل العنصر العربي او الدم العربي على سكان السودان، وجاء بالبعث الجديد لاسس الحضارة السودانية الحالية. كما تأقلم العرب في السودان وصبغوا البيئة بالطابع العربي فقد بقي قبائل النوبة والبجه مثلا على لغاتهم وعاداتهم بعد امتزاجهم بالعرب .

ويمكن القول ان الزي السوداني والعادات السودانية وطرق الحياة السودانية والمزاج السوداني ونظم القبيلة السودانية هي نتاج امتزاج الحضارات السودانية والعربية والاسلامية وتفاعلها مع مصر .

نرى ان مصير السودان كان مرتبطا بتاريخ مصر . فالروابط القوية بين مصر والسودان لا تنكر ، وهذه الروابط قديمة قدم التاريخ نفسه فمنذ آلاف السنين قامت بين مصر والسودان ملاقات أقتصادية وعلاقات سياسية . ويروي التاريخ ان هذه العلاقات قامت بادىء الامر لتأمين الحدود الجنوبية لمصر من غزوات قبائل النوبة فمد المصريون ملكهم الى الشلال الرابع ، فلما استتب الامن اخذوا يسيرون قوافل التجارة الى السودان حتى وصلوا الى اقصى الجنوب ، الى بحر الغزال ، وكانوا ينقلون التجارة والحضارة ايضا لهذه الاقاليم في العهد السحيق . ولما دخل الاسلام مصر

تسرب الى السودان وساعد القبائل العربية والاسلامية على تدعيم تلك الثقافة الدينية الجديدة .

## منافسة بريطانيا لمصر فوق ارض السودان

في مطلع القرن التاسع عشر ، ساعدت بريطانيا السلطان التركي على تخليص مصر من النفوذ الافرنسي الذي سيطر بعد حملة نابليون على مصر . وفي عام ١٨٠٧ دخلت الجيوش البريطانية الاسكندرية بدلا من الجيوش الفرنسية ولكنها فشلت في تحقيق مآربها . اما في عام ١٨٤٠ فاصبحت بريطانيا تحث السلطان التركي على تحرير مصر من محمد علي الذي اصبح يشكل خطرا على الخليفة نفسه وعلى مصالح بريطانيا .

وعمد محمد علي ابان حكمه الى فتح السودان واندفع وتغلغل الى اقصى الجنوب وتغلب على معظم اجزاء السودان بعد عام ١٨٢١ وهكذا ضم محمد علي السودان تحت الراية العثمانية ، اما الغاية الرئيسية من هذا التوسع فلعلها لفكرة سامية كما يقول السياسيون في مصر كان محمد علي يعمل لاجلها هي محاربة تجارة الرقيق والعمل على سحقها وربط اجزاء المملكة المصرية وتوحيدها . اما الاحداث التاريخية تؤكد ان الدافع الرئيسي في فتح السودان هو تأمين منابع النيل ، خصوصا بعد ان فشلت بريطانيا في غزو مصر سنة ١٨٠٧ ، عقدت العزم على الاستيلاء على منابع النيل للاضرار بمصالح مصر والضغط عليها ، لعل في ذلك الضغط تأثيرا مباشرا يضر بمصالح مصر ويجعلها ترضخ للنفوذ الانكليزي ، وطمعا في مناجم الذهب التي كانت تحدث بها الاساطير بانها موجودة في أرض السودان .

قامت بريطانيا بعد ان فتح محمد علي السودان باتهامه انه تدخل في السودان ليستغل تجارة الرقيق ويشجع ممارسها على

نطاق واسع ولاستعباد السودانيين .
مهما قيل عن هذه الحملة فهو مجرد افتراضات ... لكنه ظهر في الافق ان تجارة الرقيق اخذت في الازدياد والانتعاش ، كما نسقت هذه « الصناعة المربحة المغرية » فاصبح لها وكلاء في مناطق مختلفة .
سال اللعاب البريطاني رغبة في احتكار هذه المهنة ـ مهنة التجارة بالرقيق ـ لكن الظروف عاكستهم ولم يظفروا بها الا بعد ان شقت قناة السويس وبسط الانكليز نفوذهم على مصر . وسأتكلم عن النفوذ البريطاني في السودان حين أتحدث عن العلاقات بين السودان وانكلترا قبل الحكم الثنائي .
خضع السودان للحكم العثماني بعد الحملة التي قادها الوالي محمد علي منذ عام ١٨١٢ وعرفت السودان الحكم الثنائي حكما مصريا عثمانيا ، فأدخلت مصر معها نظام النقد ، القضاء ، الادارة ، المؤسسات والقوى المسلحة الى السودان بعد ان كان الحكم فيه للمشايخ وناظري القبائل ورجال الصوفية . كما تجند السوداني وقاتل في الجانب المصري وعرفت « الاخوة في السلاح » واصبح السوداني ينظر الى المصري نظرة الاخ لاخيه .
في عام ١٨٣٠ اسست العاصمة في الخرطوم (دعيت الخرطوم لان ارضها تمتد على شكل خرطوم الفيل عند اقتران النيل الابيض بالنيل الازرق ) .
اخذت العاصمة بالازدهار الجزئي لفطرية الاساليب الاقتصادية والاجتماعية ولاقتناع السوداني « بخبزه اليومي » بينما انتشرت الحركات الاحتكارية الاقطاعية بكثرة بين اصحاب السلطة وخصوصا في الجنوب ـ في تجارة الرقيق .
مات محمد علي عام ١٨٤٨ واعتلى العرش ابنه عباس . لم يهتم عباس بشؤون السودان وفي عام ١٨٥٤ جاء سعيد الى الحكم وعرف عنه اهتمامه في السودان . فزار السودان واصدر مجموعة

من القوانين تمنع التجارة بالرقيق ، كما قسم السودان الى اربع مديريات ترتبط بالقاهرة رأسا .

في عام ١٨٦٣ استلم اسماعيل ــ حفيد محمد علي ــ السلطة واطلق يده في شؤون مصر والسودان ومنحه الباب العالي العثماني لقب « خديوي » وباشر مفاوضاته مع دولسبس حول امكانيات شق القناة ــ قناة السويس ــ التي اصبحت حقيقة عام ١٨٦٩ .

رزح اسماعيل تحت اعباء الديون الضخمة التي استدانها من الخزينة البريطانية ومن فرنسا . وأصبح نفوذ الدولتين ، فرنسا وبريطانيا ، يتحكم بالخديوي اسماعيل وتزاحمه على حقوقه في السودان وتحاول الحصول منه على امتيازات هناك !

## العلاقة بين انكلترا والسودان قبل الحكم الثنائي

في احدى الامسيات من حكم الخديوي اسماعيل تعرف اسماعيل على السير صموئيل باكر وحرمه ، فأعجب الخديوي به واسند اليه منصبا في الجيش وطلب منه ان يتوجه الى جنوب السودان ويضم مقاطعة جوندوكورو الى المملكة المصرية . فأعجب باكر بهذه المغامرة الى قلب افريقيا وقاد الجيش المصري وسار . كان البريطاني الوحيد في هذه الحملة وكان قد منحه الخديوي لقب « باشا » وعينه حاكما عاما لحوض النيل الاستوائي ولمقاطعة جوندوكورو قبل ان يصلها . وفي عام ١٨٧١ وصل باكر جوندوكورو ظافرا ، فطمع وتابع حملته الى ان وصل خط الاستواء . وبعد سنة اعتزل وظيفته وعاد الى لندن . فقام الخديوي يفتش عن خلف له . فتحقق حلمه في ينـاير عام ١٨٧٤ في شخصية شارل جورج غوردن ، كان غوردن في ٤١ من عمره ، وكان قد حصل على اوسمة عالية لاشتراكه في حرب القرم، فيسبستبول، وفي بسرابيا

وفي اسيا الصغرى كما حطم الثوار في شنغاي عام ١٨٦٣ ، فرحب به امبراطور الصين والملكة فكتوريا أيضا ، كما اصبح « مواطـن شرف صيني » ، فاستماله اليـه الخديوي وعينـه حاكما عامـا للمديريات الجنوبية .

## جوردن في الحكم :

انفرد جوردن في حكم الجنوب وبنى قلاعا على شواطىء النيل اذ كان الخديوي قد اذن له بتحصين نفسه على طول النيل .

وفي عام ١٨٧٧ ، عينه اسماعيل حاكما عاما عـلى السودان بأسره . فبدأ عندها بتنفيذ اغراضه ، فأختار معاونيه من الاوروبيين وفصل المصريين ، كما قضى على تجارة الرقيق ليثير التجار الكبار على الثورة ، ولجأ الى اساليب العنف ، واحتكر تجارة العاج . امـا الغايات الرئيسية لسيـاسة جوردن فهي الانفـراد الفعلي بحـكم السودان وبهذا يتعذر على السودانيين تحقيق اي نوع من الوحدة مع مصر . ثم حث على قيام ثورة داخلية جارفة ترمي مصر خارج البلاد وعندها يتسنى لبريطانيا التدخل « رسميـا » ، مع مصر ، لاعادة الحياة في السودان الى سابق عهدها وتكون بذلك شريكة في الحكم !..

استقال جوردن من منصبه وذهب الى فلسطين تاركا السودان يئن تحت اساليب الضغط التي استعملها .

وما ان مضى سنتان حتى ظهرت بوادر الثورة في السودان وكانت الغاية منها فصل السودان عن مصر .

فشل رؤوف باشا في اخماد ثورة المهـدي فارسلت وزارة البارودي التي كانت في الحكم بمصر ـ ارسلت عبد القادر حلمي بدلا منه ولما اوشك الاخير على قمع الثورة استدعاه الخديوي الى القاهرة ـ بأمر من لندن . وفي تلك الاثناء قامت ثورة تحريرية

اخرى في مصر تحت قيـــادة احمد عرابي عام ١٨٨١ . خـاف الخديوي منها على نفسه فطلب المعونة من بريطانيا التي باشرت بانزال جيوشها في مصر لقمع الثورة كما انها اتمت احتلالها لمصر منفـذة بذلك سياسة تحطيم وحدة وادي النيل . وفي عام ١٨٩٤ كانت ثورة المهدي قد اجتاحت غربي السودان بكـامله وسارت الامـور بسرعة حين بدأ المهدي زحفـه نحو الخرطوم . وسارع الخديوي بالاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعادة تعيين جوردن حاكما عاما للسودان .

## ثورة المهدي :

انبعثت ثورة المهدي لتحرير القبـائل السودانيـة ولتجميع اشلائها بعد ان انقسمت على نفسها . وكانت بحـاجة ماسة الى زعيم يقودها ويخلصها من « حكم الترك » فانبرى محمد احمـد ليحتل هذه المكانة . قام المهدي بثورته ليتخلص من كل «تركاوي» اذ كان المهدي لا يفرق بين من لونـه أبيض مـن مصريين واتراك وبريطانيين ، فجميعهم بعرف المهدي « تركاويون » .

قامت دعوة المهدي باسم الدين والعودة الى الدعوة الاسلامية . وذلك بعد ان سيطر على قلوب واذهان تلك القبائل البدائية .

## حياة المهدي ونشاطه :

ولد محمد احمد في جزيرة صغيرة بالقرب من دنقـلا تدعى لبب في عام ١٨٤٤ . ترعرع في بيت والده ودرس عليه صنـاعة بناء المراكب ، وكان والده يردد انه من سليلة النبي الشريف فأثارت فضول الشاب محمد احمد الناشيء . بعد مدة من الزمن نزح ابو محمد احمد من دنقلا الى امدرمان وما لبث ان توفي . فترك محمد

احمد عمله بعد موت ابيه .. ولجأ الى احد المساجد ليدرس القرآن وتعاليم الاسلام . وبعد أن تلقى علومه الدينية ، غادر محمد احمد امدرمان الى جزيرة « ابا » الواقعة الى جنوب امدرمان على النيل الابيض ، ذهب هناك للعزلة والتأمل واستعدادا لخوض المعركة المنتظرة ..

لم يرحب السودانيون بوعوده في البدء ، بعد ان هاجم مدرسة الشيخ محمد الشريف نور الدايم وانفصل عنه . انتشرت اشاعات كثيرة حول هذا الخلاف وقد كان العصيان على رجال الدين معدوما في الماضي على الاطلاق ، فكيف يجرؤ محمد احمد على انتقاد مدرسة ؟ ولهذا عرف بالرجل الغامض .

تابع محمد احمد رسالته وتحريضه على الثورة ، والتقى برجل قوي العزيمة عرف بالبطش والقسوة فحالفه ، اما حليفه فهو عبد الله التعايشي . فاعلنا العصيان وانتقلا الى كردفان وهناك بدأ محمد احمد يلهب الناس حماسا ويبعث فيهم روح التمرد والثورة باسم الدين والشريعة . فانتشر خبره وصعب خداعه ، فاستعد لقتال عنيف ضد الحملات العديدة التي نظمها الحاكم العام . فلجأ المهدي الى الجبال – جبال النوبة – واستقر فيها ليجمع رجاله وكان قد تغلب على احدى الحملات والتي ناهز عدد افرادها الف واربعمائة مقاتل ، فمهد هذا الانتصار الطريق امام المهدي كما تلبد في افق السودان علامات استفهام واستفسار حول هذا الثائر الغامض . دب الايمان فيقلوب القبائل السودانية واعلنت تأييدها للمهدي وقدمت نفسها لتقاتل باسم « انصار المهدي » . سجل ذلك الحادث اول تكتل سوداني قائم على الدعوة الدينية وشمل السواد الاعظم من مديريتي كردفان ودارفور في غربي السودان . وباشر الزحف نحو الشرق . فحاصر المهدي مدينة الابيض بقوة تزيد على ٣٠ الف محارب ، سقطت الابيض في شهر آب عام ١٨٨٢ بعد مقاومة عنيفة . وباستيلاء المهدي على الابيض اصبح

الحاكم في غرب السودان دون منـازع .. واستمر الزحف نحـو الخرطوم .

في تلك الاثناء ، عين جوردن حاكما عاما وحضر الىالخرطوم بمفرده على امل بان تنظم حملة معاكسة ، بعد ان استهان بأمـر المهدي ، وقال مرجع بريطاني « ان الحكومة البريطانيـة ارسلت جوردن محملا بالايمان والوعظ بدلا من السلاح والعتاد (!) »

استمر الزحف واقترب المهدي من مشارف العاصمة. فقامت الصحافة البريطانية تهاجم حكومتها ، « كيف تجرؤ بريطانيـا على ارسال بطلها الشجاع جوردن ليواجه الموت وهو اعزل . »

فثار الرأي العام البريطاني وتبرع بمبالغ تفوق الثلاثماية الف استرلينية لتعبئة قوة كبيرة لنجدة جوردن وسحق المهدي ... فات الوقت وكان المهدي قد حاصر الخرطوم وفتح ثغرة بين القوى المقاومة ، فعاد الانصار من الثغرة يحملون رأس جوردن على رأس حربة وهو يقطر دما . والحقيقـة تقال ، ان ذلك المنظر اغضب المهدي لانه اراد ان يقع جوردن اسيرا بين يديه يعرف كيف يستغله. اما وقد تأخرت الحملة عن الوصول في الوقت المناسب ، فقد عادت وانسحبت من حيث اتت . وذلك في ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٨٥ 1885 حين اصبح المهدي حاكم السودان الوحيد . اما المهدي فلم يعمر طويلا بل فارق الحياة بعد دخوله الخرطوم بخمسة اشهر فقط . لم يعرف بالتمام سبب موته ، قالت الشائعات انه مات مسموما وقالت المصادر المقربة منه انه مات من حمى التيفوئيد .

## حكم الخليفة عبد الله التعايشي :

مات المهدي وخلفه عبد الله التعايشي الذي تربع فوق المسرح السياسي في السودان مدة من الزمن كـانت كافية لتثير حركـة الانفصال عن مصر . فقد تحررت السودان فعليا من البريطانيين

والمصريين .

قلنا ان الخليفة عبد الله التعايشي كان ذا بأس وعناد . فقالت المصادر البريطانية « ان الخليفة اقام الشريعة على البطش والقتل والدم وليس على تعاليم الاسلام والقرآن» . وقالت المصادر ايضا « أن شخصية الخليفة عبد الله قد امتازت بالتنكيل بمن يعارض ارادته والضرب بيد من حديد لكل منتقد لسياسته ، فكان دوما يهدف الى تحطيم العقبات التي ترتفع في طريقه ويمحو كل حركة مناوئة له فقد ارسل جيشه الى حدود اثيوبيا وقتل ملكها جون في عام ١٨٨٩ حين وصله ان الاخير كان قد تذمر من تصرفاته . حكم الخليفة بالسيف والنار ولم يرض الا بالحروب حلولا وبتقطيع الاعناق كخير وسيلة وانبل حكمة . » وقد امعن احد القادة البريطانيين في وصف الحالة في السودان ابان سيطرة الخليفة عبد الله وكان ذلك القائد قد اعتنق الاسلام . ولم يمنع اسلامه من سجنه وجلده ، وعندما هرب بثياب بدوية لجأ الى مصر ووضع كتابا عرف ب « النار والسيف في السودان » .

شاءت الطبيعة ان تساعد الخليفة عبد الله على تخفيض عدد السكان من حوله واذا بالقحل والمرض والجوع ترتفع نسبها . وفي تقرير كتشنر عن الحالة الاقتصادية وميزانية السودان بين الاعوام ١٩٠٠ — ١٩١٠ جاء في مقدمة التقرير « ان تعداد السكان في السودان كان يزيد عن التسعة ملايين قبل ان حكمت المهدية وبزوال الحكم المهدي أصبح تعداد السكان في السودان ما يقارب المليونين» اي ان سبعة ملايين من بني البشر كانت قد ضاعت او طارت بين ضرب السيوف وانتشار الامراض .

تحدثت عن الثورة المهدية واظهرتها تحت العلاقة بين السودان وانكلترا ، لان بريطانيا كانت قد شجعت في البدء الثورة لكي تصفي النفوذ المصري من السودان . بعد ان قامت هذه الثورة واجتاحت السودان وانتصرت ، عادت بريطانيا وفكرت بتعبئة حملة جديدة

بالاشتراك مع مصر لتثأر من قاتلي جوردن ! ولاستعادة السودان !!
وسأتحدث عن هذه العملية الحربية المشتركة حين اتكلم عن العلاقة
بين مصر وانكلترا من حيث تأثيرها في تطور السودان السياسي .

وقبل الاسترسال في هذه التطورات اعرج على تطور الوعي
الديني ـ الاجتماعي في القرن الماضي لكي اوضح التغـيرات التي
طرأت على عقلية المواطن السوداني البسيط .



## تطور الوعي الديني ـ الاجتماعي في القرن الماضي

### المعتقدات البدائية :

عاشت افريقيا السوداء في غفلة وغموض طيلة القرون الماضية عن مفهوم التعاليم الدينية السماوية ، وكانت تفتقر الى عقلية تفكر وتدبر اذ كانت عقليتهم لا تستنبط ولا تستخرج بل كانت عقلية تقليد واتباع . فهذه العقلية البدائية لا يمكن ان تخطيء لانها تعيش على ما تحس وتشعر به . فقد جـاءت ابحاث عديدة في علمي النفس والاجتماع تعبر عن هذه العقلية وهذا المعتقد بنص يكاد ان يكون هكذا :

« ان معتقدات الجماعات البدائية ليست ناتجة عن ادراك خاطيء او غامض وانما هي اثر من اثار حاجاتهم ورغباتهم واثر لما يساور خيالهم من القلق وعدم الطمأنينة . هـذا الخيال الذي لم يهذب منه الواقع او القدرة على النقد والذي يقويه اجتماع الناس على صحته ، وان خيال الرجل البدائي تثيره حاجتـه الملحة في الحياة اليومية الى الصيد والحب والزراعة . نعم يثيره ايضا ضميره ووجدانه اللازم لما يشعر به من جوع وشهيـة وكراهية وحزن وخوف . فان هذه المقومات الاساسية تنمو مع الطبيعة نموا تلقائيا تفرض على هذا الرجل البدائي هذا العيش المتخلف . » هـذا التفسير العلمي يشمل السودان ايضا منذ ان كانت افريقيا حتى يومنا هذا خصوصا في المناطق الجنوبية والغربية النائية منه .

فاحتكاك السودان بالمدنيـات الملاصقة له من فرعونيـة واغريقيـة ورومانيـة ثم الحضارة العربيـة ودين الاسلام ، اثرت هـذه الاحتكـاكات في العقلية البدائيـة السودانية وميزتها عـن باقي مناطق مجاهل افريقيا . كـان لمملكة الفونج التي حكمت

السودان في القرن السادس عشر حضارة ذات طابع مميز ، وفي اواخر حكمها كانت قد دخلت « فلسفات » جديدة هي التعاليم الصوفية .

## الصوفيـة :

للصوفية مفهوم شعبي خاص هو « التجرد والخلوص ». اما مفهومها الادبي فهو انها العلم الباطن الذي يقوم على الاتصال المباشر بالله عن طريق الكشف والالهام . نشأت هذه الطرق في الحجاز وبغداد والشام ثم انتقلت الى شمالي افريقيا .

دخلت الصوفية ارض السودان ليس بمفهومها الادبي الفلسفي او بمعناها الباطني بل بعد ان تعدت هذه المرحلة واصبحت «مهنة» تستغل استغلالا ماديا وسياسيا ، واصدق مثل على ما اقصد منظمة الحشاشين والقرامطة ، اذ كان يجتمع الشباب في حلقات ويأخذون « الحشيش » أو « حشيشة الكيف » . ثم يتمايلون في هرج ومرج .

هذه هي الصوفية التي دخلت السودان على يد الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي منذ القرن السابع عشر وعرفت بالجيلانية او القادرية نسبة لمعلمها الشيخ عبد القادر الجيلاني . ولم يبق من انصارها الا العدد القليل لكثرة الطرق الجديدة الاكثر اعتدالا وتهذيبا

دخلت بعدها طريقة المرغنية في مطلع القرن التاسع عشر على يد محمد عثمان الذيعرف بخاتم الرسل واخر اولياء الله الصالحين ولا يزال اتباعه يقدمون الولاء للسيد علي المرغني الحالي المرشد الروحي للطائفة الختمية او المرغنية . ثم جاءت المهدية بقيام ثورة المهدي الكبير وتكتل الانصار من حوله .

اما كيف وجدت الصوفية في السودان ارضا خصبة تفتحت فيها وترعرعت وانتشرت ، فلأن التعمق الفلسفي كان معدوما

وفطرية تفكيرهم كانت تقوم على البساطة والدروشة مع ما تحدوهم من رغبة ملحة في معرفة ما يشمل عليه الدين من غموض ، وما يستهوي قلوبهم وعواطفهم واخيلتهم من آمال وامنيات سريعة التحقيق ووعود خلابة مزخرفة .

كانوا يجتمعون حول المريد او الصوفي وينشئون علاقات غامضة معه قائمة على اتباع طريقته فاصبح الناس يصدقون ما يقوله لانه فقيه ومتصوف ، كيف لا ، وهو من الطبقة التي فتح الله عليها ، وان تعاليمها هي الحق وهي الرسالة ! وهم قوم صالحون لا يأتون منكرا ولا يطمعون في غنم دينوي !.. هذه هي الوجهة التي ينظر منها الى رجال الصوفية ــ رجال مقربون من الله منهم يستمد الخير والبركة ، فكل ما يصدر عنهم هو صالح وصادق ــ وهكذا اصبحت الطبقة الحاكمة تخشاهم وتخاف غضبهم ، فوجدت الصوفية في قلوبهم مقررا والى عقولهم ممرا .

ومن المذاهب التي عرفها السودان ، وتستحق الذكر ، مذهب « الفلاتة » ــ المذهب الذي يشمل جميع بائعات « الفستق العبيد او الفول السوداني » اللواتي يقفن عند منعطفات الطرق في بيروت وغيرها من المدن الرئيسية في دنيا العرب . يؤمن اتباع هذه الطريقة انه يجب على الانسان ان يحتفظ بالخير لنفسه ويبقيه مستترا في قلبه ولا يظهر الا الشر حتى لا يدري الناس بما يكنه « الفلاتي » من خير واخلاص لله ورسوله ، فهو مثلا يفطر في رمضان ويصوم في محرم او صفر !..

وكان اصحاب هذا المذهب ذوي نفوذ قوي تخشاهم السلاطين وكان هذا منذ نصف قرن على الاكثر .

من امتيازات الصوفي بقاء طريقته بعد زواله والاحتفاظ بادواته . اما الادوات فكانت تختلف باختلاف الطريقة المتبعة ، وتنتقل هذه الادوات ــ او كما يسمونها « الآلات » الى خليفته ، وقد يكون الخليفة اكثر من واحد وقد يكون في الطريقة اكثر من

شيخ ومع هذا فلكل شيخ آلاته . هذه الآلات عبارة عن رايات ذات لون خاص يمثل لون الطريقة التي يسلكها وعلى هذه الرايات كتابات خاصة بالطريقة ، وكرسي وكاره او ككر ليجلس عليها الشيخ عادة، وبعض آثار من الشيخ كجبته او طاقيته او حزامه ... كل هذه تشكل « الذكر والبيان » ، يجتمع من حولها الجماعات للصلاة والتطلبات ... فلا عجب فان هذه الطرق والعادات والمسالك لا تزال منتشرة في جميع انحاء السودان وفي العاصمة حتى يومنا هذا . ويعتبر الانصار « قبر المهدي الكبير » و « دائرة المهدي الحالي » كعبة يحجون اليها . ويرى اتباع الختمية او المرغنية في السيد علي المرغني الحالي وقبر والد جده ، وجده ، وابيه ، فردوسا فيه الخير والطهر والبركة .

## الحركة المهدية :

حين تحدثت عن ثورة المهدي ، قلت ان لفيف من الرجال التف حول المهدي وعرفوا « بانصاره » . فانهم يمارسون تعاليمه ويتطلعون الى الغايات التي كان يهدف اليها . وقد تطورت المهدية واندمجت في حزب الامة الحزب السياسي الذي يحكم البلاد ، كما يتابع السيد عبد الرحمن المهدي ( ابن المهدي الكبير ) استكمال طريقة والده وجمع الانصار من حوله ، ويشترك حزب الشعب الديمقراطي في الحكم ايضا مع حزب الامة ويسانده السيد علي المرغني والختمية . فهذا الثنائي الحاكم الممثل في ائتلاف السيدين السيد عبد الرحمن والسيد علي المرغني هو خلاصة ما وصل اليه التطور والوعي الديني ــ الاجتماعي ــ السياسي في السودان من حيث ائتلاف الطائفية ، وسيأتي الحديث عنها في مرحلة الاستقلال وفي معرض الحديث لا بد من التحدث عن تطور الطريقة المرغنية بعد ان اتطلعنا على المهدية وانصارها .

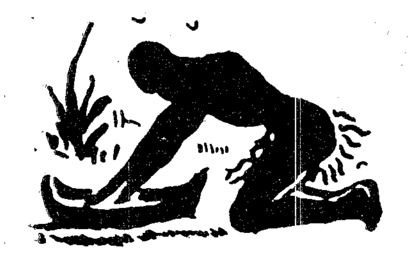
## الطريقة المرغنية :

ورث السيد علي المرغني الزعامة الروحية عن جد ابيه الذي دخل السودان في مطلع القرن التاسع عشر ، كان السيد محمد عثمان المرغني ـ الجد الثاني للسيد علي الحالي ـ من أولياء الله الصالحين ، فقد امتاز ذلك المريد باستنباط الاشعار في الصبابة وفي العشق الروحي والتغزل بالله ورسوله . وباختصار نهج نهج عمر إبن الفارض في هذا اللون من الشعر وقد جمع اتباعا كثيرين من هواة الشعر العاطفي واصحاب العقول البسيطة ، فانطلق السيد محمد عثمان المرغني في بقاع السودان متنقلا ينشر طريقته ويجمع الاتباع ويبشر بالاسلام ، كما ادخل بني عامر والهدندوة في دين الاسلام . تنتشر هذه القبائل المذكورة في شرقي السودان في مديرية كسلا ، حيث بنى محمد عثمان قرية صغيرة دعيت بالختمية للدلالة على ان السيد محمد عثمان المرغني هو خاتم المرسلين واخر اولياء الله الصالحين ، وعرف اتباعه بالختمية ، بعد ان درسوا طريقة المرغنية التي دعيت كذلك نسبة لجده علي المرغني الذي عاش طيلة حياته في الحجاز . اصبحت المرغنية الطريقة الدينية التي تتبعها الختمية في شرقي السودان وشماليه واواسطه والجدير بالذكر انها قوة لا يستهان بها .

ثم انتقل السيد محمد عثمان من شرقي السودان الى غربيه يعلم الناس طريقة القوم كما تزوج امرأة من قرية بارا في مديرية كردفان . وما لبث ان قفل راجعا الى الحجاز ، تاركا زوجة له وجنين يتحرك في احشائها . وما ان وصل البلاد المقدسة حتى اعتدى عليه احد السلاطين الاتراك وقتله للتخلص من نفوذه وذلك في اواسط عام ١٨٥١ .

نعود الى « بارا » حيث وضعت تلك المرأة طفلا دعي «الحسن»

ترعرع الحسن في كنف امه وعندما عرف حقيقة امره صمم على الالتحاق بأبيه التقي الصالح . لم يجد الحسن اباه في مكه لكنه علم ان والده قد مات قتلا .. مكث في مكه المكرمة ودرس طريقة والده على يد احد الاتباع . رجع الحسن الى السودان ليتابع رسالة ابيه ... تزوج وانجب طفلا هو محمد عثمان . اما السيد علي المرغني الحالي فهو ابن محمد عثمان البكر والسيد علي المرغني يلعب اليوم دورا رئيسيا في توجيه سياسة السودان كما انه بدأ هذا الدور منذ عهد بعيد وهو في ريعان الصبا والفتوة حين عاد الى السودان ـ وكان قد نزح الى مصر ابان الحكم المهدي ـ عاد الى السودان في طليعة الحملة المشتركة وسيأتي الحديث عنها فيما بعد ، وبعد أن نستعرض المرحلة الاولى من العلاقات بين مصر وانكلترا من حيث تأثرها على وضع السودان الداخلي .



## المرحلة الاولى من العلاقات بين مصر وانكلترا

## من حيث تأثيرها على تطور السودان السياسي

اتعرض في هذه السطور للخطوات التي اتخذتها كل من بريطانيا ومصر من عمليات حربية لاقتحام السودان . فتذرع الانكليز بمقتل جوردن لاحتلال السودان وبهذا تتمكن الحكومة البريطانية من تسيير دفة الحكم في السودان مباشرة مؤمنة بذلك على مصالحها بافريقيا . وقبلت مصر الاشتراك في هذه العملية الحربية لاستعادة نفوذها ايضا . وكان قبولها كافيا لكي تتحمل معظم اعباء الحملة ومصاريفها وتكاليفها .

### الحملة المشتركة لاستعادة السودان :

استمرت الاستعدادات لهذه الحملة اكثر من عشر سنوات متواصلة وقد سلمت القيادة للقائد كتشنر الذي عرف بمقدرته على تأمين وصول الذخيرة والمؤن للجيش اكثر مما عرف عنه فى قيادة المعارك .

اعتمد كتشنر في حملته على السودان على مد خطوط السكة الحديدية ، فكان اول عمل قام به هو مد خط القاهرة ــ حلفا. هذه الخطوة جعلت الصفوف الامامية للحشد البريطاني المصري على الحدود السودانية ، ثم باشر عمله في بناء خط حديدي ضمن المناطق التي كان يحتلها من الاراضي السودانية ، حتى وصل الى عطبره على بعد ٢٠٠ ميل من الحدود المصرية . فأصبح الانتقال من القاهرة الى خط النار يسير بسرعة القطار الذي ينقل الجيوش ومعداتها من القاهرة الى عطبره . فأصبحت الخرطوم مفتوحة امام الغزو البريطاني ــ المصري الجديد .

لم يستسلم الخليفة عبد الله بسهولة بل كبد البريطانيين والمصريين خسائر فادحة فقد أشعل الخليفة سلسلة من المعارك على طول النيل من الخرطوم الى عطبره ، كما نشبت معارك عديدة في مناطق مختلفة من السودان . وكانت اخر معركة فاصلة هي معركة امدرمان الشهيرة التي قادها الخليفة عبد الله بنفسه للمرة الاولى. وقد ترأس ٥٢ الف محارب تجمعت كلها كتلة واحدة متراصة على عرض خمسة اميال واندفعت الى الامام لتواجه الحملة المشتركة . فانخدع الخليفة عبد الله ، وفوجيء بالسلاح الجديد الذي استعمله المهاجمون حين تصدت له المدافع ، واسفرت الساعات الاولى من المعركة عن استشهاد ما لا يقل عن ١٠ آلاف مقاتل ، وجرح ما يزيد عن العشرين الف . وفي حمى المعركة ضرب البريطانيون بقنابلهم بيت الخليفة وقبر المهدي الذي أصبح خرابا مبعثرا . وهكذا استسلمت المدينة الخالدة امدرمان بعد ان هرب عبد الله التعايشي من المعركة والتجأ الى كردفان .

وفي سياق الحديث اود ان اذكر تلك الحادثة التي شاهدتها في ٢٠ نيسان عام ١٩٥٨ على الضفة الغربية من النيل الابيض وعند التقاء النيلين بالقرب من الجسر الحديدي الضخم الذي يصل امدرمان بالخرطوم . شاهدت هناك جمعا من الناس ، فدفعني حب الاستطلاع وروح المغامرة الى الاندفاع بين الجمهرة الشعبية لأستطلع الخبر . فاذا بي امام مقبرة مفتوحة ملأى بالجماجم والعظام التي تقدر بما يزيد عن الالف . وهنا تبادرت الى ذهني تلك المعارك الخالدة التي اتحدث عنها في هذا الصدد والضحايا التي كانت من جرائها ، وتقوم الان الحكومة الحاضرة بنقل تلك الهياكل الى امكنة تخلدها .

اعود الى الخليفة عبد الله الذي لم يثن من عزائمه الهرب ، بل عاد على رأس سبعة آلاف مقاتل من ابطال كردفان وجدد معركة امدرمان التي قاوم فيها ببسالة وعناد واستشهاد . انتهت المعركة

حين وجد الخليفة عبد الله راكعا على سجادة الصلاة وعلى يمينه علي ود حلو والى يساره احمد الفاضل، وقد اسلم الروح ثلاثتهم وهم في ارض المعركة ، وفي استشهاد هذا المحور الثلاثي المقاتل الذي قاوم وقاتل واستشهد لمنع التدخل الاجنبي ، استشهدت معه حركة المقاومة وصفى الجو للبريطانيين في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني ( نوفمبر ) عام ١٨٩٨ .

كلفت الحملة البريطانية ـ المصرية ٢،٣٥٤،٣٥٤ جنيها ساهمت فيها بريطانيا بمبلغ ٨٠٠ الف فقط . وهكذا انتصر البريطانيون لروح جوردن واستحقوا احتلال السودان !!..

عادت بريطانيا ومصر ( والاخيرة كانت حليفة تركيا ورافعة علمها ) . عاد الثنائي المنتصر الى القاهرة لتوقيع الاتفاقية الثنائية لادارة السودان وتم ابرام الاتفاقية في التاسع عشر من كانون الثاني ( يناير ) عام ١٨٩٩ .

لا بد من هذه الملاحظة التي سمعتها ، ولا يمكنني حفظها سرا وقد مارست الصحافة ! « قيل ان السيد ونسطن تشرشل كان ضابطا صغيرا في تلك المعارك التي دارت على ضفاف النيل والتي مكنت البريطانيين والمصريين من السيطرة على السودان .

وبينما كان ونسطن تشرشل منهمكا في القتال ، انقض عليه احد الانصار واغمد خنجره في قلبه ، نجا تشرشل من الموت المحقق باعجوبة ، بعد أن جرح جرحا طفيفا في صدره . فعلق خبيث على هذا الحادث قال : لو تمكن هذا «الانصاري» من دفع خنجره خمسة سنتمترات الى الامام لكان خلص العالم واراحه من شرور وويلات الحروب العالمية التي عاناها البشر في الخمسين سنة الماضية .. ومن يدري ؟!..

## الحكم الثنائي :

بعد ان نجحت الحملة الحربيــة لاستعــادة السودان وهزم التعايشي بدأت المأساة السياسية في اتفاقية عام ١٨٩٩ التي ابرمت على دفعتين في يناير ثم في يوليو . في يناير ١٨٩٩ اعطيت السلطة التامة للحاكم العام البريطاني بأن يصدر ما يشاء من قوانين كمـــا اعلنت الاحكام العرفية وبدأت الحملة السياسية في استخدام كل الامكانيات التي تحتفظ بها بريطانيا لجعل السودان يختلف تمـام الاختلاف عن مصر ، للحيلولة دون اتحاد وادي النيل في المستقبل.

اصبحت الاتفاقية الثنائية دستور السودان الجـديد الذي تسعى الادارة البريطانية ــ المصرية المشتركة اتباعه رغم المناقضات الواضحة فيه . وفي عام ١٨٩٩ علق كرومر عــلى ميثــاق ١٨٩٩ بقوله : « للحقيقة ان هذا الحكم الثنائي غريب من نوعه اذ انه مزيج وخليط لم يعرف القضاء الدولي مثله من قبل . ومثلا على هــذا «الخلط» ما جاء بالاتفاقية من ان الحكم الثنائي هو المشاركة في الحكم بين المملكة المتحـدة ومصر لادارة شؤون السودان ، ثم ينص في الوقت نفسه ان هذا الحكم المشترك لا يحد من السلطة المصرية ولا يؤثر على حكمها فوق الاراضي السودانية ! ونصت الاتفاقية عــلى ان تحكم بريطانيا السودان باسم مصر وبواسطة حاكم عام بريطاني يعينه الخديوي بمرسوم خاص بعد ان توصي به الحكومة البريطانية! ويسمى هذا الحاكم العام بالسردار البريطاني والقائد العام للجيش المصري ! ومقابل هذه الامتيازات المصرية (!!) يحكم السردار البريطاني باسم مصر ! واحتراما لهذا « الشرف الرفيع » تتقدم مصر بدفع نفقات الجيش السوداني وبدفع التغطية المالية في الموازنة السنوية التي تحتاجها السودان ..

كما ردد كرومر نفسه في عام ١٩٠٥ انه لفخور بأن اصبـح السودان قطعة من التاج البريطاني !!..

مرت الأيام وتحكمت بريطانيا فعليا في السودان نتيجة لضعف الحاكمين في مصر والعجز في جيوبهم فنتج عنه أن اصبح الحكم الثنائي بريطانيا اكثر منه مصريا .

بدأت بريطانيا تحيك مؤامراتها لفصل السودان نهائيا عن مصر فقامت بجعل خط عرض ٢٢ شمال السودان الحد الفاصل بين حدود مصر والسودان .. أي بدأت بريطانيا في تخطيط خريطة السودان الحالية. ولم تكتف بريطانيا بهذا بل اقامت الحواجز في قلب السودان وفصلت جنوبيه عن شماليه ومنعت الاختلاط بين المنطقتين الا بتصريح رسمي من الامن العام والقيادة البريطانية . ثم دعمت روح التفرقة العنصرية وبثت الكراهية والبغض بين شمالي السودان وجنوبيه. كما نعتت السلطة البريطانية الجنوبيين «بالهمج» و «بالعبيد» . فاصبح الشمالي ينظر الى اخيه الجنوبي نظرة السيد الى خادمه .

واليوم ، يجني السودان بذور التفرقة التي زرعها الاستعمار حين يطالب الجنوب بالانفصال وبتأليف حكومة فدرالية .

اما الخدمات التي قدمها الاستعمار للشعب السوداني فتكاد تكون معدومة في الحقل السياسي والاجتماعي والاخلاقي . الا انهم نظموا ونسقوا الادارة الحكومية . وعززوا زراعة القطن وعملوا على ازدهارها ، فأنشأوا مشروع الجزيرة . كما بنوا بعض المدارس القليلة منها كلية غردون التذكارية في عاصمة السودان فيالخرطوم وقام التعليم على كبت اللغة العربية وقد سمعتها من الكثيرين انهم عندما كانوا طلابا في الكلية كان يتحتم على الطالب الذي يخطىء فيتكلم لغته العربية أبان اليوم الدراسي ان يلبس في عنقه لوحة كتب عليها « لقد تكلمت اللغة العربية » او ان ينال نوعا خاصا من العقاب نظير ارتكاب خطأ الحديث بلغته الوطنية . لقد كان هذا منذ ربع قرن على الاكثر ان يعاقب من يتكلم العربية ويا له من عقاب ويا لها من جريمة !!..

ولا ننكر ان البريطانيين عقّدوا ازمــــة مياه النيل وطريقــة اقتسامها فأصبحت قصة المفــاوضات اليــوم بين مصر والسودان شبيهة الى حد بعيد بقصة «ابريق الزيت» المشهــورة . وبقيــت شبكة المواصلات معطلة في السودان كما ترك البلد متخلفا لعــدم تنظيم المواصلات وتعبيد الطرق ، وحتى الان لا يوجد طرق معبدة في السودان الا في الخرطوم وفي شوارعها الرئيسية فقط ! وعدم تأمين المسافات ، هذا كان بسبب عدم احتكاك ابناء الوطن الواحد ، وعدم تسرب الاخبار بسرعة .

وأطلقت بريطانيا لنفسها العنان في حكمها للسودان . كمــا ساهمت باعادة مجد السيــد عبد الرحمن المهدي بعد ان حطمته وحجزت على املاك ابيه . اما دعم الانكليز للسيد عبد الرحمن فمعناه الاحتفاظ بالقوة الطائفية في الميزان وقسمة الرصيد الشعبي بين علي المرغني وعبد الرحمن المهدي .

## الحرب العالميــة الاولى

## وفرض الحماية البريطانية على مصر

توترت الاوضاع العالمية في عام ١٩١٤ واغتنمت بريطانيــا فرصة جديدة لكي تتصرف في شمال افريقيا كما يطيب لها وتشاء . فأعلنت ان مصر تحت « الحماية » البريطانية . وكان لهذا «الفرض الاجباري » تأثيره السيء في قلوب المصريين والسودانيين عــلى السواء .

اشتعلت الحرب العالمية، وخاف الشعب المصري من القيام بأي انتفــاضة شعبية فالتجأ الى الحركــة الثورية السرية في تنظيم انتفاضة تأتي في وقتها المناسب .

ففي عام ١٩١٩ كانت الحرب قد انتهت ، وساعة التحرر قد

اقتربت . فقام يجتاح مصر انفجارات وثورات وموجة من الغليان الشعبي تطالب برفع الحماية والتخلص من التعسف البريطاني .

خضع المندوب السامي لارادة الشعب وشكل لجنة لتفاوض الجماعة التي دعاها « مسببي التمرد الشعبي في القاهرة» . فرفض المفاوض المصري البحث في اي موضوع غير قائم على اسس الحرية والاستقلال، والجدير بالذكر ان سعد زغلول ، بطل المظاهرات في ١٩١٩ كان يمثل شعب مصر المصر على الغاء هذه « الحماية او الوصاية البريطانية المصطنعة » . فشل وفد المباحثات البريطاني من الوصول الى نتيجة مثمرة . فكان سعد زغلول يلجأ الى اثارة عاطفة الشعب وشعوره حيث كان يعتمد على اذاعة ما كان يجري من محادثات في الخفاء .

## الغاء الحماية

استمرت الاوضاع معلقة الى اليوم الخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٢ حين تقدم اللورد اولمبي باستقالته الى حكومة صاحب الجلالة ان لم تجب اقتراحاته ، فرفضت الحكومة البريطانية البت بأمر الاستقالة ، وفي اخر شهر شباط من العام نفسه اقتنعت الحكومة بمقترحات اللورد اولمبي بوجوب الموافقة على مطالب الشعب المصري . وصدر بيان يكاد ان يكون نصه هكذا : ان حكومة صاحب الجلالة راغبة في حفظ الصداقة مع المملكة المصرية، وهذا ما تتطلبه مصلحة الامبراطورية العظمى ، اذ تعلن بريطانيا انها وافقت على :

١ ــ الغاء الحماية عن مصر ــ وهذا يعني ان مصر اصبحت ذات سيادة مستقلة .

٢ ــ الغاء الحكم العسكري الذي كان قد اعلن عند نشوب الحرب العالمية الاولى

٣ ــ افساح المجال امام حكومة صاحب الجلالة وحكومة مصر

للوصول الى اتفاقيات تدور حول المواد التالية :

ا ــ تأمين المواصلات لكل ما يخص الامبراطورية البريطانية

ب ــ الدفاع عن مصرعند اي غزو خــارجي كان مباشرا او مواربا .

ج ــ حفظ الاجانب من اي اعتداء ، والسهر على راحة الرعايا البريطانيين والاقلية في البلاد المصرية .

د ــ قضايا السودان .

ومن هنا يتبين لنا ان مشكلة السودان لا زالت معلقة ومرهونة بمصير القضايا المصرية . وسأتحدث عن ردة الفعل في السودان عندما اعالج كيفية التطور السياسي .

في ١٥ اذار ( مارس )اعيد لقب صاحب الجــلالة ملك مصر للخديوي . ورفض طلبه ان يكون ملكا لمصر والسودان معا . اذ كانت بريطانيا تهدف من هذا فصل السودان عن مصر والحاقه بالكمنولث البريطاني .

## مقتل ستاك وانذار اولمبي

في اليوم التاسع عشر من شباط عام ١٩٢٤ حدث ما لم يكن بالحسبان ، فقد اغتيل في القاهرة السير لي ستاك ، الحاكم العــام البريطاني في الخرطوم ، وسردار ( القائد العام ) للجيش المصري . ووقع هذا الاغتيال عندما كان يحاول أن يركب في سيارته الواقفة بالقرب من وزارة المعارف المصرية .

هذا ما كانت تنتظره بريطانيا لكي تسفر عن وجهها الحقيقي وتكشف النقاب عن نواياها المستترة نحو مصر . فاستغلت الحكومة البريطانية هذا الحادث ــ ان لم يوعز اليه من جانبها ــ استغلالا يسمح لها بالمطالبة بغنائم ومطامــع اكثر في السودان ، وبامــلاء شروطها بقصد التخلص من الاتفاقية الثنائية الواردة في ميثــاق ١٨٩٩ ، بعد ان حاولت بريطانيا التحكم في السودان بمفردها .

جاء مقتل الحاكم العام البريطاني ، الحجة الرئيسية لكيل التهم والاهانات للحكومة المصرية ولادانتها بالاخفاق وعدم احترام الاتفاقات .

ومن المستحسن ان اذكر الانذار الذي بعثه اللورد اولمبي لرئيس وزراء الحكومة المصرية ، لان هذا الانذار يعرفنا على الطرق « الثعلبية » في اغتنام الفرص ... ومن المستحسن ايضا أن تراجع الانذار الذي يستحق الدراسة والحفظ للاتعاظ به ..

جاء الانذار على الشكل التالي :

« ان الحاكم العام البريطاني في السودان وسردار الجيش المصري، واحد القادة الابطال في جيش الامبراطورية العظمى (!) قد لاقى حتفه وقتل بوحشية في شوارع القاهرة . تعتبر حكومة صاحب الجلالة هذا العمل الوحشي الاجرامي استفزازا لها وتحديا، فان دل على شيء انما يدل على مدى استهتار سيادتكم في الحكم وعدم حفظ الامن في البلاد ، وعدم حماية الرعايا البريطانيين والاجانب على السواء . لهذا ، تحملكم حكومة صاحب الجلالة مسئولية الحوادث الاخيرة في مصر وفي السودان وقد انذرناكم سابقا ولم تسمعوا ولم تعوا . فقد قررت حكومة صاحب الجلالة بأن تطالب حكومة مصر بالاذعان لهذه الرغبات :

١ ــ تقدم حكومتكم اعتذارا بسرعة لهذه الجريمة الشنعاء النكراء التي ارتكبها أهمالكم .

٢ ــ تلاحق الفاعلين المجرمين وتحاكمهم مهما علت مراكزهم .

٣ ــ تقمع حكومتكم بالقوة كل حركة سياسية او مظاهرة شعبية مناوئة لبريطانيا .

٤ ــ تدفع حكومتكم لحكومة صاحب الجلالة مبلغ قدره ٥٠٠ الف جنيه جزية الجريمة المؤلمة التي ارتكبتمونها بسبب تصرفكم الارعن .

٥ ــ الامر بسحب وطرد جميع الضباط المصريين في الجيش

السوداني في مدة اقصاها ٢٤ ساعة .

٦ ـ السماح للدوائر المختصة والمسئولة في حكومة السودان من زيادة الاراضي التي تروى وتزرع قطنا في ارض الجزيرة من ٣٠٠ الف فدان الى اي ساحة اوسع تتمكن حكومة السودان من ادارتها .

٧ ـ مقاومة كل حركة معارضة لرغبات حكومة جلالته وكل ما يختص بحماية المصلحة البريطانية والاجنبية في مصر . »

وقد جاء في الانذار ايضا : « ان لم تتقيد حكومة سيادتكم في حذافير هذا النص فان حكومة جلالته سوف تغضب (!!) وستفرض ارادتها وقوتها للوصول الى هذا الحل الوحيد المعقول(!) الذي سبق ذكره ، فمن واجب حكومة جلالته ان تؤمن مصالحها في مصر وفي السودان (!) . »

**انتهى نص الانذار**

هذه صورة طبق الاصل لما يصدر عن بلد ديمقراطي يؤمن بالحريات والمساواة ! بل يفسح هذا الانذار المجال لمعرفة الغاصب على حقيقته .

هذا لون من الوان التعسف الذي كان يفرض فرضا على العرب ولا تزال اثار هذه الانذارات تتردد في بعض اجزاء الوطن العربي التي سمحت ، أو سمح « المتحكمون » وليس حاكمون فيها للاجنبي بالتربع معهم على « عرش » الحكم احتفاظا بالصداقة التقليدية (!!) واي صداقة ؟!..



## الافادة التي جناها السودان

## من توتر العلاقات بين مصر والانكليز

بعد دراسة الالتباسات والملابسات في المرحلة الاولى من العلاقات بين مصر وانكلترا ، وفي جميع مراحل هذه العلاقات ، نبدأ باستطلاع تأثيرها من حيث التطور في السودان. يستطيع المراقب ان يلاحظ سياسة فصل السودان عن مصر هذه ، ثم يستقصى من الخلافات التي كانت تنشب بين الثنائي الحاكم في السودان ، انها كانت تعود بالفائدة والنفع على شعب السودان . المسألة بسيطة للغاية ، بريطانيا تريد كسب ود السودان لغايات « استعمارية » مفضوحة تعود عليها بالنفع والفائدة وتمكنها من البقاء في قلب افريقيا لتسيير مصلحتها في تلك القارة . بينما تحاول مصر الانفراد بالسلطة لكي توحد البلدين وبالتالي تؤمن مياه النيل لانعاش زراعتها وتساهم كذلك في استخراج موارد السودان الطبيعية البكر .

والقول بان الحكم الثنائي كان احد العوامل الرئيسية لا بل العامل الهام في جر السودان نحو الاستقلال هو قول والحق يقال صادق وصحيح الى ابعد حد .

فعندما كان ينشب خلاف بين الموقعين على معاهدة ١٨٩٩ ، كان الحل يأتي لمصلحة السودان لا لمصلحة مصر ولا لمصلحة بريطانيا. وهكذا نما وترعرع استقلال السودان على اكتاف الخلافات المصرية البريطانية فوق اراضيه . وان انذار اولمبي يؤكد هذا الرأي كما تؤكده الاحداث التي سبقت الحكم الذاتي في السودان بأشهر قليلة وسيأتي ذكرها عندما نصل الى تلك المرحلة .

اقف عند هذا الحد لاعود الى استعراض الاحداث التي قامت في السودان في هذه الفترة ولنراقب مدى تطور الوعي في السودان ومبلغ استفادته من التطاحن والتنافس بين بريطانيا ومصر !

# تطور الوعي « الاصلاحي »

# في السودان

دخلت الحضارة المصرية الفرعونية والاغريقية والرومانية والمسيحية السودان منذ قديم الزمان ، ومرت به عهود كثيرة وحضارات مختلفة ، كانت الحضارة الاسلامية العربية اكثرها تأثيرا وانتشارا . وبالاشارة الى الوضع الجغرافي للبلاد ، يتبين لنا ان السودان تحيط به البلاد الافريقية الزنجية والحامية من الجنوب والشرق والغرب ، ومصر من الشمال ، التي تعتبر المنفذ الرئيسي للسودان . من هذا المنفذ دخلت معظم الحضارات الى السودان . ولا بد من الاعتراف ان مصر كانت ولا تزال الجسر الذي يربط السودان بالعالم اجمع . ومع هذا بقيت المميزات الرئيسية للشخصية السودانية على حالها مع انها تفاعلت مع الثقافات والحضارات البريطانية والمصرية الحديثة التي دخلتها في ركاب الفتح الانجليزي المصري عام ١٨٩٨ ومميزات الشخصية السودانية انها حضارة اسلامية في وسط ثقافي افريقي تربطه معظم عادات وتقاليد المناطق الاستوائية الافريقية .

اما قبل الفتح المشترك في ١٨٩٨ اي في عهدي التركية والمهدية فكان الخمول الاجتماعي والثقافي والاهمال الاقتصادي ، كما تركت البلاد مسرحا للصوفية والطرق المذهبية لتهذب الجماعات وتجرهم في طريق القوم . كما استمرت الدراسة في الخلوة للاطفال وفي المسجد للبالغين او في المسيد ــ المسجد الذي يفسح المجال للطلاب للدراسة والمنامة فيه . اما مادة الدرس فكانت العلوم الدينية والمبادىء الاسلامية . وقد خصصت للصوفية فصلا كاملا في مطلع الكتاب ضمنته انتشار اهم الطرق ، منها المرغنية والمهدية .

وخلاصة القول ان الوعي في السودان كان لا يتعدى كونه جزءا من الديانة او بالاصح ما يلتف حول هذه الديانة من سبل ومسالك .

انتشرت المرغنية في العهد التركي وجاء العهد المهدي بحركته. اما العهد المشترك فجاء بالسيدين علي المرغني وعبد الرحمن المهدي. ذكرت سابقا أنه من اهداف انكلترا في دخولها للسودان العمل على فصلها عن مصر ، لهذا رأت بريطانيا أن تحد من نفوذ السيد علي الموالي لمصر والذي دعمته الحملة المشتركة في بادىء الامر .

فعملت بريطانيا على خلق زعيم أخر ليحفظ التوازن بين مصر وبريطانيا من جهة وأن يسير عدد لا بأس به من السودانيين على هواها من جهة اخرى . فكان ذلك الزعيم الجديد ابن المهدي الكبير، فعززته وقامت بجمع الانصار من حوله ، هؤلاء الانصار الذين شتتتهم الحملة المشتركة .

والان أصبح ضروريا أن اتعرض الى السيدين علي المرغني وعبد الرحمن المهدي فمن يعرف مركزهما وأوضاعهما وكيفية نشوئهما يفهم بسرعة الحالة الراهنة في السودان ويتعرف على النظام السياسي الحاكم القائم على ائتلافهما وبهذا يكون قد تعرف على مشاكل السودان .

## السيد علي المرغني :

اما الاسم الكامل للسيد علي المرغني فهو السير السيد علي المرغني باشا حامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج وفارس من فرسان الامبراطورية البريطانية .

ولد السيد علي عام ١٨٧٩ في دنقلا ، ونشأ وترعرع وتتلمذ في مصر ، بعد ان هرب به والده عندما ظهرت بوادر الثورة المهدية التي وضعت حدا لاي نفوذ غير نفوذ المهدي . سافر محمد عثمان



الى مصر خوفا من الخطر الذي داهمه وهدد كيانه ومركز اولاده من بعده .

عـــاد السيد علي الى السودان يجر وراءه طليعـــة الحملة البريطانية ــ المصرية المشتركة لاعادة احتلال السودان . لا ينكر ان السيد علي لعب دورا هاما في كشف الطريق امام الغزاة . وفيعام ١٨٩٩ صفا له الجو وعاد يتزعم اتباع الطريقة المرغنية جماعـــة الختمية .

من مزايا السيد علي انه احد اولياء الله الصالحين وصاحب طريقة صوفية ابا عن جد ولهذا ينظر اتباعه اليه بأنه أعلى من مستوى البشر ، أنه في مصافي الالهة ، يخشون غضبه لانه من المقربين لله . تدور احاديث كثيرة عنه واسجل هنا ما سمعته من رئيس الوزراء السابق ( الذي كان من اتباعه المخلصين قبل عام ١٩٥٦ ) قـــال : « يصعب على أي مخلوق الاجتمـــاع بالسيد علي بسهولة ، فـــان سيادته لا يتحدث مع أحد حتى ولو كان رئيس وزراء ، وان تحدث فالحديث يأتي باتجاه واحد فقط ، اما تجاذب اطراف الاحاديث فليس وارد في « دستور » السيد علي . ثم تساءل السيد ازهري

اذا كان هنــاك سوداني واحــد ساقته الظروف لكي يتنــاول وجبة الطعام معه !.. فانه لا يسمح لاحد مشاركته في الطعام للدلالة على مستواه الرفيع !..

**السيد عبد الرحمن المهدي :**



يطلق على السيد عبد الرحمن المهدي اسم السير السيــد عبد الرحمن المهدي باشا حامل نيشان الامبراطورية البريطانية من درجة فارس . واليك كيف اصبح من حاملي الاوسمة البريطانية .

بعد ان سحقت الحركة المهدية وشتت شملها حتى اصبحت اشلاء مبعثرة ابان الحملة الحربية المشتركة والهجوم على امدرمان، امــر كتشنر بنبش قبر المهــدي الكبــير بعــد أن دمرته قنــابل الانكليز ، وبالقاء العظام ــ رفات المهدي ــ في نهر النيل .

ثم أسر كتشنر عبد الرحمن المهدي ووضع يده على امــلاك المهدي الكبير ، وحرمه من حقوقه المدنية ، ولم يترك الانكليز للمهدي

الصغير الا حماراً وثيابا رثة ومعاشا شهريا رمزيا يقدر بحوالي خمسة جنيهات كان يستغلها عبد الرحمن في تجارة الذرة . استمر عبد الرحمن على حاله فترة طويلة من الزمن حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى حين قامت بريطانيا وساندته فأنعشته من جديد .

وخلاصة القول ، حين وجدت بريطانيا ان السيد علي المرغني بقي مخلصا لمصر رغم العطايا والاوسمة التي وهبته اياها ، ورغم المجاملات والاحترامات التي لا تقدر ، بقي السيد علي على خصام مع الانكليز ، وكان نفوذه قد ازداد واصبحت المرغنية قوة روحية كبيرة تقاد باشارة منه . عمدت بريطانيا للحد من هذه القدرة ، فجاءت بالسيد عبد الرحمن المهدي — ابن المهدي الكبير — واطلقت له العنان لكي يعمل ما في وسعه لاسترداد مجد والده . فانتقل عبد الرحمن الى ود مدني وانقلب من تاجر للذرة الى زعيم روحي وفقيه . اغتنم السيد المهدي الفرصة وأملى مطالبه على الحاكم العام . وطالب « بجزيرة ابا » لكي تصبح ملكا له ويتخذها مقرا له، اذ كانت في الماضي مقر قيادة الانصار وحصن المهدي .

استغل السيد عبد الرحمن جزيرة ابا استغلالا ماديا ومعنويا . ومن الاساطير التي تحكى عنه ، انه «وعد اتباعه بمكافأة فجعل لكل من يفلح مترا من ارض الجزيرة ، في مقابل عمله هذا مترا من الجنة » سمعت هذه الاسطورة من عامة الشعب كما سمعتها من شخصيات مسؤولة في السودان وهذه الاسطورة تردد للدلالة على طريق الاقطاع التي اتبعها عبد الرحمن المهدي ليصبح اغنى رجل في السودان

كما اصبح من اقوى الشخصيات السودانية على الاطلاق يتمتع بعاطفة السواد الاعظم من الشعب السوداني وبتأييد الانصار له . وكتب ج.س.ر. دنكن في كتابه « السودان ، سجل اعمال » عن السيد عبد الرحمن المهدي يقول :

« ساهم البريطانيون في ايجاد قوة دينية في السودان تناهض قوة الخديوي المصري وسلطانه ، اذ ان المسلم السوداني يطمئن كثيرا لوجود هذه الزعامة فهو يرضى بها ويحترمها ، مما جعل بريطانيا العظمى تتبع أقصر الطرق لايجاد هذه الزعامة وهي اظهار السيد عبد الرحمن المهدي . فالتف من حوله جماهير مؤمنة ، وهكذا حصلت بريطانيا على ما تصبو اليه كما حققت ما تريد من السودان بفضل المساعدات التي قدمها هذا الرجل القوي القدير . فالشعب البريطاني يكن اخلص ايات الاحترام للسيد الكبير الذي لا يزال يسعى ويعمل جاهدا لاسعاد ولرفاهية شعب السودان . »

والجدير بالذكر ان السيد عبد الرحمن يمتاز ببعد النظر وبعمق التفكير ، انه يستقبل النقد بروح عالية ونفس ابية ، فهو يجاذبك أطراف الحديث كما يخوض معك في نقاش طويل . ويعرف « بحاتم طي » بلاده فما تطرق بابه الا وتجد من المساعدة والعطف الشيء الكثير ، فلا عجب ان ينال المركز الاول في البلاد ـ اي رئاسة الجمهورية ـ بعد ان يتم وضع الدستور الدائم في القريب العاجل . ان زعامته المدنية هذه لا تحد من كونه زعيما روحيا ايضا ومثلا على هذا ، ان ابنه السيد الصديق لا ينادي والده الا بلفظة « سيدي » تجنبا للعلاقة الابوية التي تربطهما ، بل للدلالة على ان العلاقة بينهما هي علاقة العبد لسيده، ومن عادات نساء السيد عبد الرحمن ان يركعن ارضا ان مر من امامهن لتمجيده واحترامه ويحكى ايضا ان جماعة الانصار كانت تنتظره لكي ينتهي من «الوضو» لينالوا جرعة من مائها تهبهم الحياة والبركات ! لهم ولعائلاتهم ! ويعرف هذا الحادث معظم السودانيين ومن هو على مقربة من آل المهدي .

اما الالتفاتة الى الصراع القائم داخليا بين السيدين رغم الائتلاف الحالي فسيأتي ذكره مع عرض التطور السياسي في السودان .

هناك مجهودات فردية ثوروية قامت ابان الحكم الثنـائي سأذكرها مع تطور الوعي السياسي ، اما الوعي الاصلاحي فيتمثل بنادي الخريجين .

## تكوين نادي الخريجين

دأب الحاكم العام البريطاني منـذ ان تسلم زمام الحكم في السودان على تجميد الاوضاع فيـه من أجتماعية وسياسيـة واقتصادية ، خوفا من ثورة جديدة . فخنق انفاس السودانيين .

كانت العمليات الحربية المشتركة التي جاءت في نهاية القرن الماضي ، كافيـة لازالة العراقيل التي ستقف في طريق أعمالهم . باشرت الحكومة في تطبيق برامجها الاصلاحية والاقتصادية من اجل ان تؤمن على مصالحها تاركة الجمود مستتبا .

ففي العشرين سنة الاولى من مطلع هذا القرن ، همدت جميع اوجه النشاط من العاب رياضية واصلاحات اجتماعية او ثقافية. كما حرمت الحكومة لفظة « سياسة » من المداولة ، ومنعت الجماعات من الاجتماعات ، ولم يسمح لاي نشاط الا في عام ١٩١٨ ، حـين اذنت الحكومة لبعض الشباب المثقف بتأسيس جمعية صغـيرة على شكل نادي عرفت « بنـادي الخريجـين » او نادي متخرجي مدارس السودان .

ترأس نائب مدير وزارة المعارف الحفلة الافتتاحية للنادي ، والقى كلمة الحكومة وجاء فيها « أن هذا النادي سيلعب دورا هاما في حياة هذه البلاد » . ومع مرور الايام اصبحت هـذه الجملة « شعارا » للنادي وذرعا يحتمي وراءه الزعماء السودانيون « وكلمة السر » لكل مطلب من مطالب القائمين والمشرفين على النادي .

أكد لي اسماعيل ازهري في عدة مناسبات انه تذرع بهـذه العبارة مرارا وتكرارا وفي كل خطاب القاه منـذ ان تولى رئاسة

النادي الى ان اصبح رئيسا للوزراء ، ولم يزل يردد نفس العبارة في كل مجلس ، لكن في قالب فكاهي حين يحدثك عن قصة الاستقلال كاملة .

طالب اعضاء النادي باصلاحات اجتماعية وتنمية اقتصادية وبناء مدارس للثقافة والتربية .

ضم النادي كل فرد من ابناء السودان كان قد دخل المدرسة ولو لسنة دراسية واحدة ثم غادرها ، فهو يسمى متخرجا حتى ولو تخرج من الصف الاول الابتدائي .

يعتبر تأسيس النادي اهم حدث في تاريخ السودان لا بل كانت اهميته بالنسبة للمثقفين اعظم من الاستقلال نفسه .

**نشاط النادي :**

ارتبط نشاط النادي باديء ذي بدء في الاجتماعات المسائية للتسلية والترفيه عن النفس واحاديث الاجتماعيات فقط . ثم ظهرت بوادر اصلاحية عندما بدأ النادي يجمع التبرعات لبناء مدارس اهلية فكان ذلك النشاط يعتبر مجهودا ضخما .

وفي غضون العقد الرابع من هذا القرن دخلت اراء جديدة ومطالب معتدلة بعد ان ازداد عدد الاعضاء وبدأ تضارب النفوذ ، واهم نشاط قام به النادي هو تأليف مؤتمر تابع للنادي يشرف على اعمال الدولة في الحقل الداخلي ، وهنا نرى ان الوعي الوطني قد اقترب من النضج والتبلور ، ولكن اعمال المؤتمر انحرفت عن اتجاهها السياسي حين اعلنت الحرب العالمية الثانية ، اذ انها اتخذت اتجاها محايدا وهو العمل في حقل التعليم . بدأوا ينسقون اسبوعا كاملا من كل عام لجمع الاموال ولاستغلالها في بناء المدارس الاهلية ، وكان « الاسبوع » يضم أسواقا خيرية وحلقات ترفيهية . حتى هذه الخطوة كانت تلاقي صعوبات جمة وملاحقات عديدة من قبل السلطة ، ولم يلبث أن تشعب نشاط النادي ثم تشتت هذا النشاط ابان الحرب الكونية الثانية حين انشق على نفسه ونشأت الاحزاب

المختلفة . ولا تزال فروع هذا النادي تعم جميع انحاء السودان بعد ان أصبح الغرض من ورائه التسلية والترفيه واحياء السهرات ...

## الخلافات حول رئاسة النادي :

قلت ان نادي الخريجين كان النادي الوحيد او الجمعية الوحيدة التي كانت تضم الشباب المثقف والنخبة المختارة من ابناء السودان . فأصبح التزاحم على منصب رئاسة النادي شديدا بعد ان اصبح المثقفون ينظرون اليه كالغاية السامية والهدف الاعلى للوصول اليه . ومن كان يطمح حقا بهذا الكرسي فكأنه يتزاحم على كرسي رئاسة الجمهورية ، ومن كان بهذا المنصب الرفيع كان يحق له مقابلة « الخواجات » الانكليز . اذ كان السوداني الامي والمثقف يكتفي بشرف المقابلة او التحدث الى اي اجنبي ( خواجا ) .

فأصبح ، والحق يقال ، منصب رئاسة النادي نبراسا لكل طموح ولكل طامع بأعلى مركز يحصل عليه السوداني .

حدثني الرئيس الازهري بما هو اكثر من هذا قال : « كان السوداني يفتخر اذا عين باشكاتبا ، اذ أن اماله واطماعه لا تفوق هذا الطموح ، ومن كان نجمه لامعا يصبح مدرسا ومن خلق في « ليالي القدر » يعين ناظر مدرسة .

من هنا يتضح ان الخلافات التي قامت حول الرئاسة كان لها ما يبررها ، خاصة، بعد ان شمل النادي جماعة من المرغنية وجماعة اخرى من المهدية ، وبهذا انتقلت الحزازات والمزاحمات والزعامات الى داخل النادي ، وبدأ الانشقاق يظهر عند اقتراب انتخابات اللجنة التنفيذية في النادي . كانت تنظم لائحتان ، كل لائحة يدعمها احد السيدين . لقد تحدثت عن السيدين عندما ذكرت التطور والوعي الديني والاصلاحي وتحدثت عن الصوفية ، وبما ان ذكرهما جاء مرة اخرى ، لهذا ارغب في توضيح اتجاههما السياسي فانهما يقفان على طرفي نقيض .

كان السيد علي المرغني يكن الولاء لمصر ويسعى لتحقيق الاتحاد معها في وحدة وادي النيل . بينما كان السيد عبد الرحمن المهدي يحترم الانكليز ويرغب في الابتعاد عن مصر . كان لاختلاف الاراء بين السيدين ان شب النزاع بينهما ، واتسع هذا الشق بينهما وصعب ائتلافه ، فانعكس هذا الخصام في النادي .

استمرت الخلافات وتفاقمت في السنوات ١٩٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ وبدأت الاتهامات تنصب من كل جانب ونفذت الاحقاد في النفوس كما تجلت المنافسات والمعاكسات واتصلت الى الشتائم والاهانات ، ومن يلاحظ تلك التطورات منذ ربع قرن يستغرب هذا الائتلاف الحالي القائم بين السيدين وسآتي على ذكر الائتلاف والتقاء السيدين حين اصل الى فترة الاستقلال .

ومن الاسماء التي لمعت من بين اعضاء النادي اسم الرئيس اسماعيل الازهري الذي ترأس النادي لسنوات عديدة ، وكان له فضل كبير في تدعيم النادي وتحسينه .

**اسماعيل الازهري :**

ارتبطت حياة الرئيس الازهري بحياة النادي وبالحركة السياسية في السودان ارتباطا وثيقا منذ نشأتها وتبلور مفهومها .
حتى عام ١٩٢١، كان الازهري استاذا في مدارس السودان الوسطى، وكانت الحياة الاجتماعية والسياسية خاملة راكدة الا من اثر الجمعية التي عرفت باسم نادي الخريجين التي سبق ذكرها ، كانت الجمعية الوحيدة في السودان التي كان يلتحق بها الطلبة والمدرسون للمناقشة في الشؤون الادبية وللعمل في المشاريع الانعاشية الضيقة المحدودة ، كالمطالبة بفتح مدارس أهلية وحكومية ولتشجيع المباريات الرياضية .

في عام ١٩٢٤ اشترك الرئيس اسماعيل الازهري في عضوية النادي ، بدأ نشاطه بجمع الاصدقاء والاصحاب من حوله ليعملوا



كتلة واحدة . ثم باشروا في حث الحكومة على بناء المدارس واعطاء المشرفين على النادي الحق في تعليم بعض الطلبة ، كيف لا ، وقد جاء على لسان الحاكم العام البريطاني أن هذا النادي سيلعب دورا هاما في تقرير مصير السودان . وحدثني السيد ازهري نفسه ذات يوم ، قال : « كان الانكليز اشداء جدا وكانوا يراقبون كل حركة تصدر عنا بتيقظ وحرص حتى اذا بدا لهم شيء مريب يبطشون فينا ، فكنا نلجأ الى الحيلة ، « نتحايل عليهم » ، كنا نكرر كلمة الافتتاح التي صدرت على لسان النائب العام فكنا نطالب بما نحتاجه وكنا نحصل عليه بمقدار اعادة « الجملة » التي اصبح متفق عليها . فكان تكرار العبارة بمثابة البكاء عند الاطفال الصغار حين يعجزون عن الحصول على « قرش او قطعة من الحلاوة » ... » . كان الازهري وجماعته لا يرفضون طلبا للحاكم العام البريطاني (!) فهو اراد ان يلعب هذا النادي دورا هاما في حياة البلاد ، اذن فالمطالبة بالاصلاح هي من امنيات الحاكم العام التي ارادها ان تتحقق للسودان . كلما كان يذكر السيد الازهري امامي هذه « الالاعيب والحيل » كان يضحك على الماضي المرير وعلى بساطة السودانيين ،

ثم كان يضيف قائلا : ومع هذا استعدنا ارضنا ونلنا الاستقلال التام وها اننا نتنشق نسيم الحرية ، نسيم الحياة .

استمر نشاط اسماعيل الازهري في النادي حتى عين سكرتيرا له في عام ١٩٣٠ . بعد ان تخرج في الجامعة الاميركية في بيروت وعاد الى السودان .

## مكاسب المتخرجين ومؤتمرهم :

بدأ النادي يصطبغ تدريجيا بالاتجاهات السياسية الوطنية وقد نشأت احزاب عديدة تدعمها جماعات مختلفة ، واصبحت الشعارات تأخذ شكلا محسوسا فأصبح العمل المشترك ضيقاً في قلب النادي ، كما اصبحت قوانين النادي لا تفي بالاغراض والاهداف التي بدأ يتطلع اليها المثقفون في السودان .

وفي عام ١٩٣٨ ، تمخضت اجتماعات اعضاء المؤتمر مع القائمين عليه عن دعوة عامة لجميع المثقفين في البلاد للعمل يداً واحدة ولغرض واحد هو تقرير المصير، فدعا النادي الى عقد مؤتمر، كالمؤتمرات التي عقدت في الهند وغيرها في ذلك الوقت فجاءت الدعوة عامة وتحت اشراف لجنة من اعضاء النادي .

عقدت الاجتماعات ووافق المجتمعون على البنود التياعتبروها « دستور المؤتمر » وانتخب ٦٠ عضوا لكي يشكلوا « برلمانا » صغيرا يفتش مصلحة البلاد العامة . كما اختير ١٥ شخصا من بين«برلمان» المؤتمر ليشكلوا الهيئة التنفيذية فيه ، وانطلقت النداءات تحث الشعب السوداني على خدمة المصلحة العامة، وكان يقصد « بالمصلحة العامة » سياسة البلاد . اذ انلفظة « سياسة » كانت محرمة على السودانيين

جاء مؤتمر الخريجين عندما شعر الاعضاء أن النادي لا يفي بالغرض ولا يجاري الاحداث الناشئة في العالم وفي الشرقالاوسط

على الاخص ، فأراد السودانيون الاشتراك بادارة بلادهم والعمل على تقرير مصيرهم فعليا . جاء المؤتمر ليحقق هذه الغايات ، فتقدم المؤتمر باخطر قرار بالنظر لذلك الوقت وقدمت المذكرة الى السكرتير الاداري تشرح الخطوات التي اتخذها المؤتمر وتكاد ترجمتها ان تكون هكذا :

أمدرمان
في ٢ أيار ١٩٣٨

السكرتير الاداري
الخرطوم ،

سيدي ،

انه من دوافع الرغبة الصادقة والتفاهم الاكيد والشعور النبيل ، الذي نكنه نحن ، الطبقة المثقفة في هذا البلد العزيز ، بمثل هذه العاطفة نتقدم اليكم بهذه المذكرة التي نأمل ان تقرأونها بنفس الروح العالية التي كتبت بها .

ويشرفنا ان نطلعكم على أن خريجي مدارس السودان ، سمعوا صوت الواجب يناديهم ، فقرروا الاندفاع في تلبية الدعوة لخدمة بلادهم الحبيبة ، لهذا صمموا على التعاون مع الحكومة الحاضرة لتقديم كل تضحية من شأنها رفع المستوى الاجتماعي في البلاد والترفيه عن شعبه .

لتحقيق هذه الاهداف ، دعا نادي الخريجين في شهر شباط الماضي ، دعا لعقد مؤتمرا يجمع الاعضاء الخريجين الذين هم فوق الابتدائي ، ولب هذه الدعوة ١١٨٠ شخصا من أصل ١٦٠٠ عضو . اما الذين تغيبوا فكانوا في المديريات البعيدة ، وهذه المسافات حالت دون مجيئهم ، واسفر اجتماع المؤتمر على انتخاب مجلس استشاري يضم ٦٠ خريجا ، كما أختير من بينهم ١٥ ليشكلوا

الهيئة التنفيذية في المؤتمر ، وها هم الان يخاطبونكم ، وقد ارفقوا بطي هذه المذكرة « دستور المؤتمر » .

نعتقد ان واجباتنا نحو الوطن ، التي نؤمن بها ، وقد تلخصت في هذين البندين :

**اولا** — يحق لنا ان نسير امورنا الداخلية الخاصة بنا ، والتي لا تنحصر ضمن نطاق الدولة الرسمي، كالعمل الخيري والمساعدات الفردية للاصلاح الاجتماعي ... ونأمل التعاون معكم في تحقيقها دون عصيان القانون .

**ثانيا** — نأمل من الحكومة أيضا ، ان تطلع على وجهة نظرنا وتأخذ برأينا فيما يختص بالمصلحة العامة .

ليكن معلوما لديكم ان هدفنا ليس فرض ارادة ما ، ووضعكم تحت امر واقع ، او اتخاذ قرارات تعارضكم ... لكننا نشعر — نحن المثقفين — ان مسؤولية البلاد تقع على عاتقنا ، فعلينا ان نقدم ما فيه الخير والرفاهية لشعبنا الحبيب .

كما نؤكد لكم اننا لا نطالب بالمراكز العالية في الدولة الا ما سبق وذكرناه .

نطلعكم ايضا ان حكومتكم قد اعتادت استشارة بعض الافراد من بيننا ، ولكن الضرورة تفرض علينا الان ان نتقدم بالنصح كمجموعة — وليس كافراد — ها أن واجبنا الوطني قد دعانا لكتابة هذه المذكرة ، فلم يبق امامنا غير التفاهم الصادق الذي نأمل ان يسود علاقاتنا معكم لنعمل في سبيل المنفعة المتبادلة والتعاون المثمر في بناء علاقة وطيدة بيننا تأخذ بيد السودان ، والسلام

المخلص

اسماعيل الازهري

سكرتير عام مؤتمر الخريجين

مضى عشرون يوما قبل أن يتسلم المؤتمر ردا سلبيا معلقا لا يقر ولا ينفي بل ترك على شكل اشعار لا اكثر ولا اقل .

لم يعبأ المؤتمر ، فاندفع في مخططه الاصلاحي واسواقه الخيرية ، فأصبحت ارادة المؤتمر تتحدى مقاوميها .

ولم يحد من نشاط المؤتمر الا الحرب الكونية الثانية .

## ظهور الاحزاب السودانية

بدأ مؤتمر النادي يتمخض عن اتجاهات سياسية ملحوظة . كما ظهرت جبهتان رئيسيتان هما : الجبهة الاتحادية وقد ضمت جماعات مختلفة منهم من اطلق على نفسه « الاشقاء » وغيرهم « ألاتحاديون والاتحاديون الاحرار » والجبهة الثانية الجبهة الاستقلالية وقد ضمت بدورها « حزب الامة » و « الاحرار » و « الوطنيون » . وكان يدعم الجبهة الاولى السيد علي المرغني ويدعم الجبهة الثانية السيد عبد الرحمن المهدي . فكان ينظر الى التطورات السياسية في السودان بمنظار اتجاهات السيدين . لم يتردد السيد عبد الرحمن من اعلان مستقبل بلاده ، فأعلنها صريحة منذ البدء انه ضد الاتحاد مع مصر ، انه ضد هذا الاتحاد «المزعوم» الذي لا يمكن انجازه او الوصول اليه وهو على قيد الحياة، فالانصار قوة لا يستهان بها . وكان السيد علي يرى غير هذا ، كان ينادي بالتعاون وبالاتحاد مع مصر والختمية كذلك قوة لا تساوم .

استمرت الخلافات دون نتيجة تذكر . أما الاحزاب السودانية الرئيسية التي ظهرت في الطليعة فهي «الاشقاء» و «الامة» بعد ان شكلت نواة جديدة للاحزاب الحديثة ، واصبح المؤتمر لا يعبر عن الغرض المطلوب ولا يخدم الهدف السياسي المنشود . فجاءت الاحزاب السودانية تشق طريقها .

**الاشقــاء :**

كانت اول انتفاضة هي انتفاضة حزب « الاشقاء » الذي قام في عام ١٩٤٤ .

عرف الاشقاء قبل هذا التاريخ فــي عــام ١٩٣٣ لكن ليس كحزب بل « كجماعة » تربطهم الرابطة الاخوية . فهذه الحفنة من الاقارب التي قامت على شكل صداقات ضمت اسماعيل الازهري وشقيقه وابراهيم المفتي ، مبارك زروق وشقيقه ، يحيى الفضلي وشقيقه ، حسن عوض الله وشقيقه ...

كانت هذه «المجموعة» او هــؤلاء « الاخوان ــ الاشقاء » لا يتعدون الاثني عشر شخصا كانوا يشكلون وحدة قوية تؤمن بالاتحاد مع مصر . ومما قاله لي الازهري : « كنا اشقاء ولا زلنا كذلك وكانت الفكرة مبنية في الاساس على اننا اشقاء فحسب » . أما مصادر حزب الامة فتقول : « انهم « اشقاء » بمعنى « اشقاء مصر » وكانوا ينادون بوحدة وادي النيل تحت التاج المصري وبقوا كذلك حتى يوم الاستقلال »

وكان السيد علي المرغني يساند كل من يدعو الى الاتحاد .

اما مبادىء حزب الاشقاء الذي نشأ عام ١٩٤٤ ، فكانت تنادي بالاتحاد مع مصر تحت التاج المصري ، وكــانت نظرتهم الى هــذا الاتحاد كوسيلة لطرد المستعمر البريطاني وليس الغاية المنشودة . جاء على ألسنة زعماء الاشقاء على انهم اعــداء الحكم الثنائي الذي ظل قائما في ذلك الوقت وعلى انهم يعملون لتخليص السودان مــن قبضة الاسد البريطاني الذي كان يستأثر بالحكم ، فقد أوضحها لي الازهري بالحرف الواحد : « ان عدو السودان المباشر هو بريطانيا وان تفكيرنا في الماضي كان ينحصر في التخلص مــن الاستعمــار الانكليزي ــ كحل وحيد ــ وهذا يترك المجال امامنا للتفاهم مــع حكومة مصر على ان يحقق النفع للشعبين الشقيقين » . فأصبحت

اهداف الاشقاء تأييد مصر تأييدا مباشرا والتعاون معها الى ابعد الحدود ، وفي جميع مراحل الكفاح » .

**حزب الامة :**

في شباط ( فبراير ) ١٩٤٥ ظهر رسميا حزب سياسي اخر دعي « حزب الامة» . طالب حزب الامة بحفظ السودان للسودانيين وبتقرير المصير والاستقلال التام في اقصى سرعة ممكنة .

اما العوامل التي ساعدت حزب الامة السوداني على الانبعاث فانها تشبه الى حد بعيد تلك الدوافع التي ادت الى بعث حزب الامة المصري عام ١٩٠٦ . عندما ارادت بريطانيا مقاومة الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ، جاءت بحركة مناوئة يتزعمها كامل لطفي السيد والباشوات الكبار في القطر المصري، فنادوا بالتعاون الكلي مع المستعمر بعد حصولهم على جزء من مطالب الشعب المصري . اما حزب الامة السوداني فكان رد فعل لحزب الاشقاء من جهة ، وبعد ان شعرت الحكومة ان المؤتمر قد تنصل من يدها واصبح بأيدي الاشقاء الموالي لمصر من جهة اخرى . نجح الانكليز في خلق قوة توازن حزبية عقائدية بين الاشقاء والامة . وكل من السيدين كان يدعم جهة منهما . بهذا كان التوازن السياسي في السودان هو التوازن بين السيد عبد الرحمن والسيد علي ، وكل تطور او تغيير كان يطرق في السودان يجب ان يطرق على تفكير السيدين اولا .

استمر الوعي الاصلاحي في تلك الفترة ممثلا بنشاط «نادي الخريجين» . ارتبطت مرحلة الاصلاح هذه وتطورت مع النادي ثم تبلورت واخذت اتجاها شرعيا بعد ظهور الاحزاب لاختلاف التيارات التي قامت في داخل النادي .

اصبح الوعي في السودان بعد هـذه المرحلة سياسيا تديره الاحزاب التي نشأت وسأتحدث عن تبلور الوعي السياسي المذكور بعد أن اعيد النظر في العلاقات التي قامت بين مصر وانكلترا في الفترة التي نشأ فيها النادي وتنشط ثم تفكك .

## المرحلة الثانية من العلاقات بين مصر وانكلترا

## من حيث تأثيرها على تطور السودان السياسي

تحدثت في المرحلة الاولى من هذه العلاقات عن التزاحم بين مصر وانكلترا منذ ان قامت الحملة المشتركة لاستعادة السودان واقيم الحكم الثنائي ، وكيف انذر أولمبي حكومة مصر بعد اغتيال السردار الحاكم العام البريطاني في السودان عام ١٩٢٤ . في تلك الاثناء كان دور السودان سلبيا حيث كان الطرفان يتزاحمان على اكتساب صداقته ويتظاهران بالاخلاص نحوه وعدم سلب حقوقه ، بل انهما يفكران به في كل مناسبة . كما ظهر هذا التفكير في معاهدة ١٩٣٦ !

**معاهدة ١٩٣٦ :**

استمرت الخلافات بين مصر وانكلترا منذ مقتل ستاك الى ان استقرت اخيرا في معاهدة ١٩٣٦ .

جاءت معاهدة ١٩٣٦ لتعلن ان النزاع بين المملكة المتحدة والمملكة المصرية قد انتهى ، وان مفعول هذه الاتفاقية سيسري لمدة عشرين سنة ، وهي قابلة التعديل بعد مضي عشرة سنوات من تاريخ توقيعها . كما جلت بموجبها القوات البريطانية عن الاراضي المصرية الا انها تركزت في ارض القناة !.. كما سمحت للمصريين بالعودة الى السودان .

اما ما يهمنا من هذه المعاهدة فهو القسم الذي يتعلق بالسودان، والذي ينص هكذا :

١ ــ يؤكد الطرفان المتعاقدان ما جاء في ميثاق ١٩ كانون الثاني وفي ٣٠ تموز عام ١٨٩٩ حول ادارة شؤون السودان التي تهدف الى رفاهية شعبه واسعاده .

٢ ـ يسند حق تعيين الوظائف في حكومة السودان للحاكم العام الذي يحرص على تعيين السودانيين أولا واذا بقي وظائف شاغرة تصعب على السودانيين، عندها يشغلها المصري أو البريطاني.

٣ ـ يضاف فريق من الجيش المصري واخر من البريطاني الى الجيش السوداني، ويتلقى جميعهم الاوامر من الحاكم العام لحماية السودان من أي تدخل خارجي .

٤ ـ يسمح للرعايا المصريين بالتنقل بين مصر والسودان دون قيود .

٥ ـ يحق لكل بريطاني او مصري التملك او التجارة أو الهجرة الى السودان بدون عراقيل ايضا .

نلاحظ ان هذا التعديل في معاهدة ١٨٩٩ لم يتعرض للسيادة السودانية فوق اراضيها ، فثار النفر القليل من المثقفين في السودان واعضاء النادي . لكن لا حياة لمن تنادي ! فقد بقيت بريطانيا ومصر تتصرفان في السودان دون الرجوع الى مطالب شعبه .

## اهمال مطالب السودان

وفي الموعد المحدد لاعادة النظر بمعاهدة ٣٦ ، حاول السودانيون الوقوف على مقربة من المباحثات لكن مصر وبريطانيا لم توافقا بل حاولتا المماطلة والاتفاق فيما بينهما ، وقد عوضتا عنه في مباحثات جرت بين رئيس وزراء مصر اسماعيل صدقي والمستر ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت ، وفي ٢٦ اذار عام ١٩٤٦ كان قد اتفق الطرفان على « وضع خاص » للسودان واصدرا بيانا عرف ببروتوكول صدقي ـ بيفن .

## بروتوكول صدقي ـ بيفن :

ينص هذا البروتوكول هكذا :

« ان السياسة التي يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان اتباعها

في السودان هي ضمن نطاق وحدة مصر والسودان وتحت تاج مصر المشترك ، ومن اهدافها الاساسية تحقيق رفاهية السودانيين وتنمية مصالحهم واعدادهم عمليا للحكم الذاتي وتبعا لذلك ممارسة حق اختيار النظام المستقل بالسودان ، والى أن يتسنى للطرفين الساميين المتعاقدين الاتفاق التام المشترك بينهما لتحقيق هذا الهدف الاخير بعد التشاور مع السودانيين تظل اتفاقية سنة ١٨٩٩ سارية وكذلك المادة ١١ من معاهدة سنة ١٩٣٦ مع ملحقها والفقرات من ١٤ الى ١٦ من المحضر المتفق عليه للمعاهدة المذكورة نافذة وذلك استثناء من حكم المادة الاولى من المعاهدة الحالية .»

كان يهدف هذا البروتوكول الى تحقيق وحدة وادي النيل لوقت محدد لاسترضاء مصر وترك تقرير مصير الوحدة تتحقق في المستقبل. وهذا يعني اعتراف ضمني بوحدة وادي النيل .

كما نوه البروتوكول باحتفاظ السودانيين بحقوقهم في الحكم الذاتي وتقرير المصير ، وكان يهدف البروتوكول ايضا الى ترك المجال امام بريطانيا لتحافظ على الوضع الراهن وفتح المجال امام التفاهم المصري ــ البريطاني .

لكن هذا البروتوكول لم يعمر طويلا فقد الغي بعد الانتفاضة التي قامت بها الاحزاب السودانية في الخرطوم ولجهود السيد عبد الرحمن المهدي وسيأتي ذكرها حين أعود الى تبلور الوعي السياسي في السودان .

## عودة الخلافات بين مصر وانكلترا

بعد ان عطل مفعول البروتوكول عادت العلاقات المصرية ــ البريطانية وانتقلت من سيء الى اسوأ . ثم استمر الخلاف هذا كما اصبح ايجاد الحلول والتساوي امرا مستحيلا ، فلم تقتنع مصر بأي حل بل رفعت المشكلة الى مجلس الامن للنظر فيها .

## الشكوى الى مجلس الامن :

سافر في شهر آب سنة ١٩٤٧ النقراشي باشا الى مجلس الامن وصحبه بعض الزعمـــاء السودانيين للنظر في الاختلافــات البريطانية ـ المصرية حول السودان ، وسمح الحاكم العام البريطاني في الخرطوم لحزب الامة بأن يشكل وفداً يترأسه السيد الصديق المهدي والسادة عبد الله خليل ومحمد أحمد محجوب للذهاب الى نيويورك لمقاومة الاتجاه المصري وللمطالبة بالاستقلال ، وهكذا انتقلت القضية السودانيـــة الى الاروقة الدولية وقد ساندتهـــا الكتلة السوفياتية التي تبين لها أن مطالب الشعب السوداني تتفق مـــع المبادىء التي ينادي بها الاتحاد السوفياتي ، المبادىء القائمة عـــلى التعايش السلمي وحق كل شعب من تقرير مصيره والتحرر مـــن الاستعمار ، وثم تمشيا مع سياسة السوفيات في مساعدة الشعوب الضعيفة المتخلفة . بعد اخذ ورد بقيت « مشكلة السودان » معلقة في اجندة الامم المتحدة . فكسب السودانيون من جراء هـــذا ان جعلوا قضية تقرير مصيرهم فيالنطاق العالمي .

## الملك السابق يعلن وحدة مصر والسودان :

في عهد النحاس باشا وفي عام ١٩٥١ ألقي خطـــاب العرش المصري من داخل البرلمان واعلن ادخال تعديلين اساسيين على الدستور المصري وجاء التعديل على الشكل التالي :

نحن فاروق الاول

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القـــانون الاتي نصه واصدرناه :

المادة الاولى ــ تلغى المادة ١٥٩ من الدستور ويستعاض عنها بالنص التالي :

« تجري احكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها ومع ان السودان ومصر وطن واحد يقرر نظام الحكم في السودان بقانون خـاص . »

المادة الثانية : تلغى المادة ١٦٠ من الدستور ويستعاض عنهـا بالنص التالي « الملك يلقب بملك مصر والسودان » .

## بريطانيا ترفض الوحدة المصرية السودانية

ما ان وصل خبر الوحدة المصرية السودانية تحت التاج المصري واعلانه في داخل البرلمان حتى جن جوون الانكليز ، وعلى الاخص تصرف الحكومة المصرية دون الرجوع الى حليفتها بريطانيا وتكون بهذا قد حطمت المعاهدة الثنائية التي ابرمت عـــام ١٨٩٩ وكذلك اتفاقية ١٩٣٦ .

كان من «ثورة» الحاكم العام البريطاني وحكومته ان صدر النداء التالي الى الشعب السوداني في الثامن من تشرين الاول عام ١٩٥١، هذه ترجمته : «أن قرارا ملكيا قد صدر اليوم في مصر يعلـــن الغاء المعاهدة الثنائية التي إبرمت عام ١٨٩٩ وكذلك الغاء اتفاقيـــة التحالف في عام ١٩٣٦

« اما حكومة صاحب الجلالة فتعتبر المعاهدة سارية المفعول اذ لا يمكن الغاؤها الا بموافقة الطرفين .

« ففي مثل هذه الظروف الراهنة ، نعلمكم ان حكومة السودان ستواصل ادارة شؤون البلاد تحت سلطة الحاكم العام ، لكي يتسنى

لها المحافظة على القوانين والانظمة الشرعية ، وتؤكد انها ستواصل مجهودها لتحقق سياستها التي أعلنت عنها وهي مساعدة شعب السودان والسير معه في خطوات ثابتة حتى يحصل على السلطة المطلقة فيحكم نفسه بنفسه .

فاني أدعو الشعب السوداني لمؤازرة حكومته والوقوف بجانبها بحزم وعزم وان يضبط شعوره ويحتفظ بحسن سلوكه وهو ما عرف عنه في العالم . الرجاء عدم اللوء الى اساليب العنف أو التمرد على القوانين الشرعية اذ ينتج عنها صعوبات تعوق اللجنة التشريعية من التقدم في انجاز أعمالها الدستورية التي تهدف الى وضع دستور وادخال التعديلات التي تتناسب مع مصلحة الشعب السوداني والتي يرضى عنها السودان في سبيل المصلحة العامة .

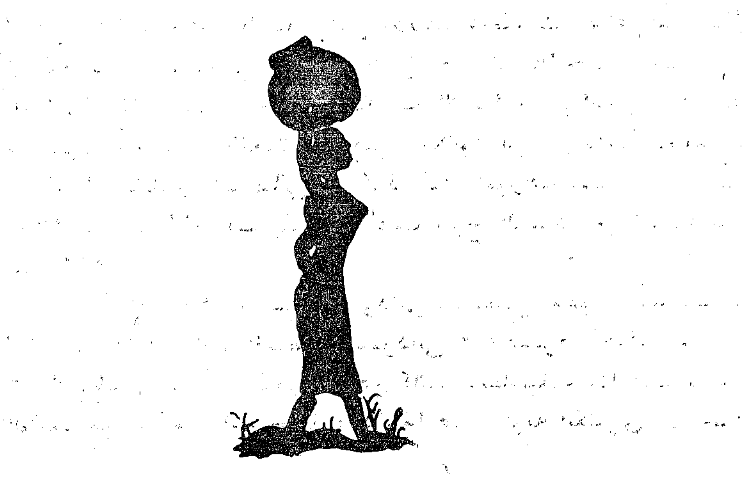
« كما اكدت حكومة جلالته في ١١ تشرين الاول ١٩٥١ ، انها لا تتراجع عن المبادىء الرئيسية التي رسمت عليها سياسة الحاكم العام ومنها ان حكومة المملكة المتحدة لا ترضى بأي تغير يطرأ على الوضع الراهن في السودان الا بارادة السودانيين انفسهم .

ان المملكة المتحدة تضع الحق بين يدي الشعب السوداني لكي يقرر مصيره ويختار الوضع الذي يناسبه . ان حكومة جلالته تدعم الحاكم العام لمواصلة جهوده في سبيل رفاهية الشعب السوداني والمحافظة على الامن في البلاد . كما جاء في المعاهدة الثنائية لعام ١٨٩٩ » .

كما سارعت بريطانيا برد الفعل واثارت الرأي العام السوداني والعالمي مطالبة بتقرير مصير السودان . واسرع رئيس وزراء بريطانيا المستر ايدن والقى بيانا قال فيه : « بالنظر لما يسود السودان اليوم من قلق وعدم طمأنينة للخطوة التي اتخذتها مصر فى الغاء معاهدتها معنا ، ترى حكومة جلالته انه من الضروري بقاء الحاكم العام قائماً بمهام الحكم في السودان . يسر حكومة جلالته ان تعلن ان السودان يتحفز اليوم ويسير بخطوات سريعة نحو الحكم

الذاتي ، نظرا للتقدم الذي احرزه السودان في هذا الطريق تعطي حكومة جلالته سلطات ايضافية للحاكم العام ليتمكن بها من الوصول بالسودان الى الحكم الذاتي وتقرير مصيره بنفسه والان نحن في انتظار تقرير لجنة تعديل الدستور ، وانا اعبر عن ابتهاج حكومة صاحب الجلالة بان اللجنة تعتقد ان الدستور قد يتقرر ويبدأ الشروع به في انتهاء عام ١٩٥٢ . وعندما يصبح للسودان حكومة ذاتية يمكنها عندئذ من تحديد علاقاتها مع بريطانيا من جهة ومع مصر من جهة اخرى . كما ان حكومة جلالته تساند الحكومة السودانية الى تلك المرحلة من النضج والتقدم وانها ستبقى معه حتى يصل الى الامنية الاخيرة التي ينشدها ، وهنا ان حكومة جلالته تتكفل بالدفاع عن السودان وحفظ الامن فيه فى مرحلته التحضرية هذه التي سيمر بها ...»

من ثم بدأت مرحلة تقرير المصير وسيأتي الحديث عنها فيما بعد .



## تبلور الوعي السياسي
## في السودان

سبق وتحدثت عن التطور الاصلاحي في الربع الاول من هـذا القرن من حيث نشوء النادي وما تضمنه من برامج اصلاحية ، ولم اتكلم عن الجهود الفردية والجماعية التي قامت في تلك الفترة لتناوىء البريطانيين مباشرة ، وسيأتي ذكرهـا مع تبلور الوعي السيـاسي الذي اعتبره متمما لامتداد الوعي الاصلاحي .

منذ مطلع هذا القرن ، عرف السودان الحكم المشترك البريطاني ـ المصري ، وكان قد سبقه رباط تاريخي وتفاعل متبادل بين مصر والسودان ، فجاء الحكم المشترك بدخـول البريطانيـين الى البلاد رسميا مما جعل السودانيون ينظرون الى « الانكليز » كمستعمرين معتدين ثم ازداد هذا الاحساس المعادي لبريطانيا .

نشأ الزعماء في السودان على كرههم للمستعمر البريطـاني وحاولوا دفع السودان في وحدة وادي النيل .

قامت المظاهرات والثورات في مصر بعد الحرب العالمية الاولى لالغاء « الوصاية البريطانية » عن بلادهم ، فقامت مظاهرات مماثلة في الخرطوم تطالب برفع الحماية عن مصر ثم بالاتحـاد معهـا . ولم يترك السودانيون فرصة مناسبة الا وكانوا يؤكدون فيها انهم حريصون جدا على الاتحاد مع مصر ، فكانوا يقومون دائما بمظاهرات مناوئة للاستعمار البريطاني ، وكرد فعل لثورات مصر في عـام ١٩١٩ سارت الاحداث بسرعة وعلت روح التمرد بين السودانيين ضد الانكليز .

في عام ١٩٢٢ ، اصدر سوداني متحمس يدعونه عبداللطيف، كتابا اسماه « مطالب الشعب السوداني » فاعتبره الحاكم العام من باب الخيانة والتمرد ، فأمر بسجن كاتبه وتعذيبه ، ولما هـرب عبد اللطيف من السجن اصبح يكره كل ما هو « لونه انكليزي » وهـذا

الاحساس نفسه كان يعم نفوس الجماهير الشعبية كلها .
كما الف السودانيون جمعيات سرية تناوىء الاستعمار وانتشرت في معظم المناطق والمدن السودانية ، عرفوا « بجماعة العلم الابيض » . طفح الكيل بالنسبة للحاكم العام واستفحل الأمر بعد ان اصبحت البلاد في عصيان موحد ، فلجأ الحاكم العام لسياسة التروي ، فأمر بالاحجام عن ملاحقة الزعماء والكف عن الكبت الا ان اساليب الضغط زادت الحركات السرية انتشارا ، كما اثبت الواقع ان اعتقال زعيم يعطي الشعب الفرصة لاظهار عشرات جدد من القادة الشعبيين ليحتلون مكان زميلهم المعتقل .
كف الحاكم العام عن ملاحقاته على مضض ، فكانت الانفجارات والاضطرابات والمظاهرات تتجدد في الخرطوم وامدرمان عفوا دون سابق انذار مع كل مطلع شمس .
في عام ١٩٢٤ اغتيل السير لي ستاك في القاهرة . فسارعت حكومة جلالته الى اصدار الانذارات والقرارات التي لا ترحم في كل من السودان ومصر .

## العصيان المسلح عام ١٩٢٥ :

باشرت حكومة السودان في تطبيق انذار اولمبي وامرت الجنود والضباط المصريين بمغادرة السودان في مدة لا تتجاوز الساعات . تمرد فريق من الجيش المصري المرابط في منطقة الخرطوم ـ بحري (حاليا) ، فاضطر الجيش البريطاني الى محاصرة الثكنات المصرية وقصفها بمختلف انواع السلاح .
هب الجيش السوداني لنجدة اخيه في السلاح من الضغط الانجليزي ، قام وحاصر ، بدوره، الجيش البريطاني واشتبك معه في معارك ضارية . تقول المصادر السودانية ان الجيش المصري لم يتحرك لمساعدة الجيش السوداني الذي هب للدفاع عنه وبالاخص

كان الجيش المصري يملك « البطرية الوحيدة » في ارض المعركة ، وكان المهاجمون قد اتكلوا على القوة المصرية لتشق طريقها خارج الحصار الانكليزي ، فاصيب الجيش السوداني بخيبة امل بعد ان خذله الجيش المصري فانسحب وفي قلبه غصة ولوعة .

كانت الصدمة الاولى في تاريخ السودان الحديث ، وشعر السودانيون من بعدها ان الاعباء يجب ان يتحملها السودانيون انفسهم فقد ضعفت ثقتهم بالمصريين وكانت نقطة التحول في العلاقات المصرية ـ السودانية . اعلنت الحكومة السودانية ـ البريطانية الاحكام العرفية على اثر حادث عام ١٩٢٤ والعصيان المسلح عام ١٩٢٥ وبطشت بالسودانيين والمصريين على السواء . كما منع الحاكم العام ارسال البعثات السودانية للدراسة في مصر فقرر ارسال البعثات الى اي مكان ما عدا القاهرة والاسكندرية ، واصبحت لندن والهند والباكستان الامكنة المرشحة للبعثات الدراسية السودانية .

**الاتاه نحو لبنان بعد تدهور العلاقات المصرية ـ الانكليزية :**

عندما جاءت مشكلة البعثات الى الخارج ، وقف البريطانيون في طريق ارسالها الى لندن ، فكيف يحق « للملونين » مشاركة البيض في جامعاتهم البريطانية ! فرفض الاقتراح . توجه نظر وزارة المعارف الى الهند والباكستان ، فكانت اللغة هي العقبة الوحيدة ، اذ لا بد للطالب من تحصيلها اولا ، فارتسمت علامة استفهام كبيرة في دوائر المعارف السودانية ، لكنها زالت عندما تقدم احد افراد الجالية اللبنانية بالحل واقترح ارسال الطلبة الى الجامعة الاميركية ، فقد شغل اللبنانيون مناصبا عالية في الدوائر الحكومية السودانية ولهم الفضل في تنظيم وتنسيق معظم المصالح .

نظمت البعثات الدراسية الى بيروت وضمت البعثة الاولى في

عام ١٩٢٥ اربعة اعضاء فقط وقد تعرفت على احدهم هو السيد عبيد عبد النور عميد مدرسة « بيت الامانة » في امدرمان وزميل عادل عسيران رئيس المجلس النيابي اللبناني ، وارسلت البعثة الثانية في عام ١٩٢٧ ومن بين اعضائها محرر السودان واول رئيس لوزارة الجمهورية السودانية المستقلة اسماعيل الازهري وزميل النائب اميل البستاني في الدراسة !

توالت البعثات لكن ليس كل عام بل قبل ان تعود البعثة بعام دراسي كانت تنظم بعثة اخرى وترسل لتلتقي البعثتان فتحل البعثة الجديدة مكان المتخرجة وهكذا استمرت الى اليوم .

## تعاون مؤتمر الخريجين مع الحكومة ابان الحرب العالمية الثانية

اندلعت الحرب وهمدت الحركات السياسية التي كان يقوم بها مؤتمر الخريجين ، ولم تتجدد الا في عام ١٩٤٠ عندما زار رئيس الوزراء المصري علي ماهر السودان . اقام المؤتمر « حفلة شاي » على شرف الرئيس علي ماهر ، وتكلم في الحفلة بعض الخطباء الذين اكدوا ان امنياتهم تتحقق حينما يتحقق الاتحاد مع مصر . اعتبر الحاكم العام هذا القول مخلا بالامن وداعيا الى الفوضى ، واعلن انه اضطر لاتخاذ الاجراءات القانونية بملاحقة المسئولين عن حالة عدم الاستقرار تلك .

في عام ١٩٤٢ اصبح الايطاليون على حدود السودان الشرقية ـ الجنوبية في اثيوبيا وارتريا ، مما جعل البريطانيين يتحفزون لمجابهة الحشد الايطالي ، فحاولوا جمع قوة دفاعية من السودانيين ... ولكن كيف ؟ لا يمكن تحقيق ما يريدون الا بموافقة المؤتمر الذي رفض التعاون معهم رفضا قاطعا .

حاول البريطانيون شتى الوسائل لحمل المشرفين على سياسة المؤتمر على التعاون معهم ، فالحاجة بنظرهم اصبحت تستحق

استدعاء الشعب السوداني الى التحرك والا خسر السودان سودانهم ! ! ــ على حد تعبير الانكليز ــ وخسر البريطانيون مستعمراتهم في أفريقيا. واوعز الحاكم العام الى عملائه من السودانيين على تجسيم الاخطار المحدقة وان يحاولوا اقناع الهيئة التنفيذية في المؤتمر لتساهم في الدفاع عن الوطن وحمايته . فالقضية ابعد ما تكون عن التهريج ، بل انها حقيقة تستحق التضحية .

لم يوافق المؤتمر الا حين جاء « البعض » يعلن « انها فرصة ذهبية يتيح للمؤتمر التقدم بمطالبه ، فالحكومة على استعداد للموافقة على ما يريده زعماء البلاد » . اعجب المؤتمر بهذه الفكرة وتقدم بمطالبه على امل ان تتحقق او ان ينظر فيها ومن ثم يشجع النادي الشباب السوداني للتطوع وللذود عن الوطن وللمساهمة فى بناء قوة دفاعية تذهب الى حدود اثيوبيا . تقدم رئيس المؤتمر ــ وكان السيد ابراهيم احمد رئيسا للمؤتمر في تلك السنة ــ تقدم بالمذكرة التي صيغت بقالب جدي تشمل على ١٢ بندا ، وضعت بشكل شروط رئيسية منها :

ــ حق تقرير المصير

ــ رفع ميزانية التعليم الى ١٢ ٪

ــ انتخاب مجلس تشريعي لادارة البلاد

ــ اعطاء الوظائف للسودانيين الخ . . .

كلها شروط قاسية وقعت على المستر سلر السكرتير الاداري البريطاني ، وقع الصاعقة ، فلم يحترم المذكرة ولم يعرها اهتمامه حتى انه لم يلقها في « سلة المهملات » بل اعادها بغضب من حيث اتت . . . هاج الزعماء السودانيون لهذه الاهانة التي وجهت اليهم ، انها اهانة ما بعدها اهانة ، كيف ترد مذكرتهم بهذه الصورة الجارحة، فعز فى نفوسهم هذا الاحتقار الموجه، فقرروا مقاطعة البريطانيين الى ان يستجاب طلبهم دون قيد او شرط .

شعرت الفئة المتعلمة في البلاد ــ اذ ظل الوعي الوطني

محصورا فيما بينهم ردحا طويلا من الزمن ـ شعروا ان ما جاء فى الميثاق الاطلسي في عام ١٩٤١ كان حبرا على ورق وما اعلنتـــه بريطانيا وحلفاؤها على اسماع العالم أجمع كان مجرد « كلام فارغ »» وان الحرية لا تعطى ولا توهب بل تؤخذ بالكفاح وبالاجتهاد .

شعر السودانيون ايضا انهم ضعفاء ، وان دورهم كان سلبيا حين ابرمت معاهدة ١٩٣٦ ، فقرروا مضاعفة جهودهم لكي يتمكنوا في عام ١٩٤٦ من الاشتراك الفعلي في تقرير مصيرهم ، جـاءت السنوات المتتالية لعام ١٩٣٦ في صالح الشرق الاوسط ، وقـد ظهرت شخصيات كبيرة كغاندي ونهرو وغيرهما ، وكان قد عقـد مؤتمر الهند ، فاتعظ الزعماء السودانيون من مواقف رجال الهنـد الثوريين ، فصمموا على اثبات وجودهم في كل مناسبة ...

## موقف السودانيين في عام ١٩٤٦

جاء عام ١٩٤٦ وهو موعد « اعادة النظر » فى المعاهدة التي ابرمت عام ١٩٣٦ ، وكان المؤتمر في اوج نشاطه يتزعمه اسماعيل الازهري وجماعته ، فقرر المؤتمر بان يكون الشعب السوداني « على مقربة » من المحادثات الجارية في القاهرة والاتطلاع على ما سيقرره الثنائي الحاكم حول مصير السودان بالرغم انـــه لا يحق للشعب السوداني ان يقول كلمته ولا يحق لوفده الاشتراك في المفاوضات رسميا . اجتمعت الاحزاب وشكلت وفدا يضم ١٢ عضوا بعد أن اتفق على المطالبة بالاتحاد مع مصر والتحالف مع بريطانيا ارضـاء لجميع الاحزاب .

في صبيحة قيام الوفد ، زحفت الجمـــاهير السودانية في العاصمة المثلثة ، زحفت امدرمان والخرطوم والخرطوم ـ بحري ، لتودع الوفد الذي تم اختيــــاره ليمثل الشعب السوداني وليقرر مصيره . كان السودانيون ينتظرون تلك الساعة ، فجاؤوا الى محطة

السكة الحديدية في الخرطوم بمظاهرة شعبية لم يسبق أن شاهدها تاريخ السودان من قبل ولم تتكرر حتى اليوم .

حدثني الشيخ النصري حمزه من كبار موظفي وزارة التربية في ذلك الوقت ونائب عميد مدارس الاحفاد حاليا وحامي خزينتها ــ كما حدثني الازهري ــ عن هذا المشهد الرائع البديع لمئات الالوف من ابناء السودان الزاحفة لتبدي رأيها وتعلن تقرير مصيرها وتحاول بشتى الوسائل الوصول الى القاهرة ، قال : «كان من بين المودعين احد اعضاء مجلس السيادة السابق السيد عبدالفتاح المغربي الذي مال الي والدموع تتساقط من عينيه وهو يرتعش من شدة الفرح والسرور ، فأفصح عما يجول بخاطره حين أعرب عن هذا المشهد المثير قائلا : « انها نقطة الانطلاق، نقطة التحول في مصير شعب السودان ، اليوم ، وقد قوي ايماني وشدد عزائمي ، انني ارى امامي ابناء وطني في مثل هذا الوعي القومي الفريد الذي لم احلم به قط، ولم اعتقد يوما انه انتشر بين صفوف الشعب بهذه السرعة . آمنت الان ان الشعب الصامت الساكت يخرج عنه المعجزات اذا تحرك فكيف اذا تحرر ؟ ! . » .

فعلق الشيخ النصري : « للحقيقة كان مشهدا نادرا لم يسبق له مثيل، فقد سررت به جدا » . واستطرد يقول « بالمناسبة كان هذا بعد الانتهاء من مآسي الحرب العالمية فقد صدر على أثر سفر الوفد الى القاهرة مرسوم يقضي بزيادة الماشات واعطاء غلاء معيشة مما سبب لي سرورا اعظم وعلقت على تلك الصدفة قائلا : « ما فيش مكان ابعد من القاهرة يسافر اليه وفدنا !.. لعل الماشات ترتفع اكثر !! » فليعذرني الشيخ النصري فقد اعجبت بتعليقه وسجلته ، كما اعجبت بحب الشيخ النصري في جمع « القروش » !...

اعود بسرعة القطار ايضا ! لنلتقي فى القاهرة ونشاهد الاستقبالات الشعبية التي استقبل بها اول وفد سوداني دخل مصر

رسميا ، وجاء ليحقق اهداف وحدة وادي النيل !.. ما لبث الوفد السوداني ان شعر بان الحكومة المصرية غير راضية عن تصرفاته كما اقفلت الطريق فى وجهه ومنعتـــه من الوقوف على « مقربة مــن المفاوضات » فكانت خيبة الامل عظيمة . لم ييأس الوفد السوداني حين شعر بحرارة الترحاب في الاستقبال الشعبي لاعضائه . وفي الايام الاولى ظهر اختلاف بين اعضاء الوفد السوداني كمـا صمم ممثلو حزب الامة على الانسحاب والعودة ، ففسر الازهـري هــذه « المناورة بمؤامرة حزب الامة مع البريطانيين » .. هذا رأي فحسب اما الحقيقة فتختلف ، اذ ان المبادىء التي قام عليها حزب الامـة قبل الاستقلال كانت تنادي به كما كانت تنادي بعدم الارتباط مع مصر بل بالتحالف مع الانكليز لرفاهية الشعب السوداني !

اصبح بقاء الوفد السوداني في مصر لا يجدي نفعا وقــد انسحب منه اعضاء حزب الامة ، فعاد منكوس الرأس ، وهذه المرة الثانية التي تجرح فيها كبرياء السوداني وتثيره عـلى القائمين في الحكم بمصر .

برر صدقي باشا موقفه الجارح من الوفـــد السوداني بان « القضية » تتطلب هكذا ! ان تتحرر مصر من الاستعمار ثم تقـوم مصر بمساعدة السودان على التحرر !..

## ردة الفعل لبروتوكول صدقي - بيفن في السودان :

اقام « البروتوكول » اضطرابات جديدة في الخرطوم ، فقــد ثار « الاستقلاليون » الذين لا يريدون الارتباط مع مصر ، واشتعل حقدهم حين تناقلت وكالات الانباء العالمية ومحطات الاذاعة والصحف الاخبار حول البروتوكول وكلمة صدقي باشا التي القاهـــا بـين مستقبليه فى مطار القاهرة بعد ان عاد من لندن ، قال صدقي في كلمته « لقد اتيتكم بالسيادة على السودان وها هي الان في جيبي»

وقد جاء بالبروتوكول ان تكون ادارة السودان في نطاق وحدة مصر والسودان .

وقع تصريح صدقي في نفس السيد عبد الرحمن المهدي وقع الصاعقة وفي نفس اعضاء حزب الامة وقعا عظيما ، فثارت الانصار غيظا وغضبا . فانطلقت المظاهرات في كل مكان من ارض السودان تنادي بسقوط البروتوكول وكان على رأس الثائرين بالطبع السيد المهدي .

اما الاحزاب الاتحادية فقد اعتبرته نصرا لرأيها ومتمما لمبادئها القائلة بالاتحاد والتعاون مع مصر ، فقامت تنظم المظاهرات المضادة، ترحيبا بالبرووتوكول واعزابا عن ابتهاجها وتأييدها له — ومن البديهي ان يؤدي هذا الوضع المعـــاكس الى احتكـــاك — فوقعت بعض الاصطدامات الخطيرة من جراء المظاهرات المتناقضة — وكان من جملة الحوادث حريق نادي الخريجين في امدرمان — والمعروف ان نادي الخريجين من مؤيدي الاشقاء والاتحاد . كما تحفز قادة حزب الامة لتعلنها ثورة شعبية كما اعلن ان اتفاقية صدقي — بيفن لن تتم الا وهم اشلاء مبعثرة !... شعر السيد عبدالرحمن بالخطـــر الداهم بعد ان ثار الانصار وجاءوا من مختلف المناطق وتجمعوا في العاصمة المثلثة . كان لحالة القلق والتوتر هذه وقعها في نفسه ، فأصـــدر البيان التالي لتهدئة الاحــوال وهذا هو البيان :

« عدت للخرطوم مسرعا عندما بلغني انباء اضطرابات العاصمة وقد اقلقني كثيرا ما وجدته من حـــالة عدم الاستقرار وعوامـــل الاستفزاز بين المواطنين .

« انكم تعلمون موقفي من مستقبل السودان وتمسكي بمبدأ السودان للسودانيين ونيل الاستقلال التام ، واني لا ازال مصرا على ذلك ولن آلو جهدا في سبيل تحقيق هذا المبدأ ولا شك انني سألقى عون كل المخلصين المؤمنين بحقهم من المواطنين في جميع الاحزاب .

«ولذا ادعوكم جميعا الى تقدير دقة الموقف ومعالجته بروح

الاخلاص والحكمة وتجنب كل ما من شأنه ان يوسع شقة الخلاف بينكم ويضاعف المسئولية للذين يعملون لخير السودان كما أدعوكم للهدوء حتى تنجلي الامور التي لا تزال غامضة ولنعمل جميعا لمستقبل بلادنا .

« وانني لواثق ، من ان الجهود التي نبذلها الان، والتي سيساعد الهدوء على القيام بها ، ستؤدي الى نتائج حسنة .

« وأخيرا اتقدم بطلب لجميع الاشخاص الذين أتوا الى المدن الثلاث من المناطق الخارجية ان يرجعوا الى محل اقامتهم ويستأنفوا اعمالهم الخاصة . »

السيد الامام عبد الرحمن المهدي
٣ نوفمبر ١٩٤٦

## سفر المهدي الى لندن :

لم ينته بعد دور السيد عبد الرحمن ، انه في اول الطريق ، فاتصل برقيا برئيس الوزراء المصري طالبا مقابلته، فلم يوافق الاخير، وتجاهل صدقي الاحداث التي قامت في الخرطوم .

اتصل السيد عبد الرحمن بالمستر اتلي طالبا منه زيارة لندن فوافق ، وقبيل سفر السيد عبد الرحمن الى لندن حاول الاتصال بالسيد علي المرغني للاتفاق معه ففشل ، لان السيدين كانا قد اتفقا سابقا بأن لا يتفقا على شيء ، وكان كذلك في هذه المرة ايضا .

سافر المهدي الى بريطانيا عن طريق القاهرة ، وكان عليه ان يقضي ليلته في القاهرة ، وهناك لم يقابله احد سوى الحاكم العام البريطاني في السودان السير هيوبرت هدلستون الذي كان قد عاد من لندن على اثر الحوادث والمظاهرات ... ثم تابع رحلته الى لندن، حيث قابل المستر كلمنت اتلي رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت

... واسفر الاجتماع ، بعد مناقشة حامية ، عن اقتناع المستر اتلي بحجج وبراهين السيد الجليل ، وقد وقع بين يدي منشور من مناشير « حزب الامة يقدم كفاحه اتاريخي » جاء فيه الحديث والجدل الذي دار بين السيد واتلي حول «البروتوكول» ومنها ان السيد اصر على ان يعرف النتائج التي ستنجم عن البروتوكول واستوضح فقراته كما طالب بحق تقرير المصير، واخيرا وافق اتلي على أن للسودانيين الحق في تقرير مصيرهم كما وافق ان يبقى السودان للسودانيين . اما وزير خارجية بريطانيا فلم يقابل السيد عبد الرحمن رسميا غير ان المقابلة تمت بطرق غير رسمية رضخ بها بيفن للامر الواقع وخصوصا بعد موافقة اتلي .

عاد المهدي الى الخرطوم بعد ان ساعد فى تحطيم بروتوكول صدقي – بيفن ، وبعد ان اشتركت عدة عوامل فى معركة تحطيم البروتوكول منها :

١ – الاضطرابات العاكسة التي قامت في السودان ، تطالب الانصار بالغاء البروتوكول وتطالب الختمية بالاتحاد مع مصر بأي وسيلة ممكنة .

٢ – رغبة بريطانيا في تغذية الاضطرابات لكي تساعدها على سياسة ابعاد السودان عن مصر وتكون قد اكتسبت الرأي العام العالمي ايضا .

٣ – قيام المظاهرات في القاهرة لابطال مفعول البروتوكول لان الشعب المصري كان يريد وحدة تامة بالحقوق والواجبات مع السودانيين ، فكان تحطيم البروتوكول حل مشكلة وتهدئة خواطر . فاعتقد كل فريق انه انتصر .

**التطورات الدستورية التي اشتركت فيها الاحزاب :**

تبلورت الفكرة الحزبية وبدأت اوضاع السودان منذ عام

١٩٤٥ تأخذ أشكالا شرعية فقد انتخب مجلس استشاري ثم حل محله مجلس تشريعي كما تمخض الوعي عن حركات وطنية انصهرت في احزاب سياسية .

كان قد قام في السودان نظام جديد عرف « بالحكومات المحلية » منها ١٧ حكومة محلية في المدن و٣٩ في المناطق الريفية والغرض منها الاهتمام في شؤون الداخلية بالبلاد وكانت كل حكومة محلية تجمع رصيدها الخاص وتصرفه في سبيل المنفعة الجماعية في منطقتها ، فنجح هذا البرنامج الاصلاحي ، وعلى اثر نجاحه حاول الحاكم العام البريطاني خلق مجلس استشاري في مطلع عام ١٩٤٦ ، وأراد ان يمثل هذا المجلس الناحية الشرعية في البلاد يستغلها لفرض ارادته . تقول المصادر البريطانية ان الحاكم العام كان قد دعا ، في ذلك الوقت ، جميع الاحزاب للاشتراك في المجلس الاستشاري ما عدا حزب الاشقاء المناوىء لبريطانيا . اما المصادر الوطنية فتقول ، ان الاحزاب القومية رفضت الاشتراك في هذا المجلس الاستشاري الالعوبة في يد المستعمر ، كما قاطع جماعة الازهري الانتخابات ، وجرت انتخابات شكلية اسفرت عن قيام مجلس هزيل ضعيف وكان من جرائها ان سجن اسماعيل الازهري مدة اربعة اشهر كاملة ، كانت من دعائم قوة هذا الرجل الصامت . ضم المجلس الهزيل اعضاء نصفهم من البريطانيين والنصف الاخر من الموالين لهم . وفي تموز عام ١٩٤٧ تقدم الحاكم العام بشكل مشروع قرار ـ يقال انه صدر عن المجلس الاستشاري ـ الى الدولتين الحاكمتين مصر وبريطانيا يقترح فيه ما اتخذه المجلس من قرارات لتشكيل مجلس تشريعي وآخر تنفيذي للوصول بالبلاد بالطرق الدستورية السليمة الى مرحلة تقرير المصير . وافقت بريطانيا ، وعارضت مصر ، فلم توافق الا بعد ان ادخلت بعض التعديلات التي لم تعجب الجانب البريطاني بدوره ، فغرقت الحكومة المصرية مع حكومة جلالته في بحر من التصاريح والاحاديث

والمجاملات فتحت المجال امام الحاكم العام كي يتصرف بالسودان كما يشاء . لجأ الحاكم العام الى مجابهة الحالة المتدهورة فأفرج عن الازهري وحاول ان يجمع بين القوى المعارضة والقوى الموالية وقبل شروط الاشقاء واستبدل بالمجلس الاستشاري مجلسا تشريعيا ضم ٨٠٪ من السودانيين و٢٠٪ فقط من البريطانيين . كما انتخب اعضاء المجلس التنفيذي وترأسه السيد الشنقيطي ( رئيس مجلس النواب الذي حل بعد الانقلاب الاخير ) وكان من بين اعضائه الزعيم عبد الله خليل الذي لاحق الشكوى التي تقدمت بها حكومة النقراشي في عام ١٩٤٧ ( رئيس مجلس الوزراء السوداني السابق ) ...

اما الدور الرئيسي الذي كان على المجلس التشريعي القيام به فهو تنمية المشاريع الاقتصادية في البلاد وتنسيق مشروع الجزيرة ثم الدمج بين شمال السودان وجنوبيه ونشر اللغة العربية هناك بعد ان ضمت بريطانيا الجنوب الى الشمال رسميا وسيأتي الحديث عنه حين اعالج مشاكل الجنوب .

في ١٩ حزيران عام ١٩٤٨ صدرت قوانين تشكل دستورا رسميا لانتخاب اول سلطة تشريعية في السودان ، وقد جاءت الانتخابات لتشمل جميع الاحزاب كما تسلم المجلس التشريعي سلطاته الرسمية وباشر اعماله في ٢٣ كانون الاول عام ١٩٤٨ ، بعد ان وضعت جميع السلطات المحلية بين يديه ، وهكذا ظهر البرلمان السوداني الاول ، لكن صلاحياته تحددت في الامور الاتية :

١ ـ عدم تعديل القوانين الدستورية .

٢ ـ عدم تحديد « نوع » العلاقة بين السودان وكل من بريطانيا ومصر .

٣ ـ عدم التدخل بعلاقة الحكومة السودانية مع غيرها من الدول الاجنبية .

٤ ـ عدم البت في جنسية السودانيين .

والحجة وراء هذه التحديدات والتحذيرات ان نفس الكونغرس

الاميركي في الولايات المتحدة لا يحق له تعديل دستوره ، واما البنود الثلاثة الباقية فهي رهن بالاستقلال ، عندهـــا يحق للسلطـات السودانية المستقلة تقرير مصيرهـا بنفسهـا بعد أن تصبح ذات سيادة .

## الاحزاب التي نشأت في الفترة الاخيرة

### الجبهة الوطنية :

عاشت الاحزاب السودانية في طوفان من الاراء المختلفـة والاتجاهات المتطرفة ، وفي شهر آب عام ١٩٤٩ قامت جبهة جديدة هي « الجبهة الوطنية » يترأسها مرغني حمزه ، وزير الري السابق، وكان قد تخرج مهندسا وهو في السادسة عشرة من عمره !! وقد جمعت الجبهة نخبة من المثقفين المعتدلين وطالبوا بالاتحاد مع مصر ضمن مفهوم الحكم الذاتي على ان تعترف به الحكومة البريطانية . واي اتجاه نحو مصر كان يباركه السيد علي وتقوم الختمية بتأييده.

### الجبهة المتحدة لتحرير السودان او اتحاد النقابيين :

بدأ تنظيم العمال في السودان عام ١٩٤٦ وبعد انتهاء الحرب تفشت العطالة بسبب التسريح من الجيش ومن هنـــا كانت نواة التجمع العمالي وتنظيم النقابات ، وفي تشرين الثاني من عام ١٩٥١ اخذ نشاط الاتحاد النقابي يغزو الميدان السياسي . وتصدوا لبيان ايدن مطالبين في حقهم بتقرير المصير ونيل الحكم الذاتي في اقرب وقت . كما طالبت جميع الاحزاب السودانية بتحقيق ما جاء على لسان ايدن ، وان يعلن اليوم الاول من كانون الثاني عام ١٩٥٣ يوم الابتداء والمباشرة في الحكم الذاتي، والحقيقة تقال ان النشاط العمالي لاقى عراقيل جمة من قبل الحكومة خوفا من تسرب «الشيوعيين»

الى صفوف العمال ومن ثم يتنشط الشعور المعادي للاستعمار البريطاني ...

## الجمهوري الاشتراكي :

في ١٨ كانون الاول عام ١٩٥١ شكل حزب جديد هو «الحزب الجمهوري الاشتراكي» بادارة سكرتيره ابراهيم بابكر بدري . قام الحزب على اساس ايجاد فئة واعية تؤمن بمبادىء علمية لتمكن السودانيين ـ مع الوقت ـ من استيعاب فكرة الحكم الذاتي ثم يحصل السودان على استقلاله بعد مرحلة من النضج والازدهار .. قيل ان الحزب قام بايعاز من الانكليز حين ادركوا أن حزب الامة لا يكفي ليمثل المهمة التي يعتمدون عليها ، وقد بدأ حزب الامة نشاطه مطالبا بمنح السودان حكما ذاتيا ، رغم أن رئيس وزراء الحكومة الانكليزية ألمح في بيانه الى الحكم الذاتي . غضبت حكومة بريطانيا على تصرفات حزب الامة الذي يطالب بالحكم الذاتي، فجن جنونهم وبذلوا ما في وسعهم للحؤول دون تنفيذ الحكم الذاتي بسرعة . باءت مساعيهم بالفشل اذ ان الاستقلال بعرف حزب الامة يأتي اولا بالنسبة للتعاون مع الانكليز . وادرك البريطانيون أن رصيدهم من المؤيدين قد ضعف ، فاصبح ضروريا قيام حزب قومي يفي بالغرض المنشود ، جاء الحزب الجمهوري الاشتراكي الى الوجود يزاحم حزب الامة ويحصل على التأييد الشعبي ويربط بين زعماء العشائر من الانصار وبعض قادة الختمية . نجح الحزب الجمهوري الاشتراكي بهذا الغرض .

وقع نشاط الحزب الجديد وقعا شديدا ومؤلما على السيد عبد الرحمن فقد اتضح له ان اعتماد حزب الامة على الادارة البريطانية والتعاون معها لا يصل بالشعب السوداني الى الحكم الذاتي والاستقلال المنشود ، غضب المهدي وكان من غضبه ان مهدت

الطريق امام حزبه للتفاوض مع مصر وسيأتي ذكرها في معالجة العلاقات المصرية السودانية .

اصبح في السودان في مطلع عام ١٩٥٢ اربعة احزاب جديدة هم الجبهة الوطنية ، الجمهوري الاشتراكي، الجبهة المتحدة لتحرير السودان ، والحزب الجنوبي الذي بدأ يضم مناطق الجنوب التي يبلغ عدد سكانها ٣ ملايين مواطن زنجي سوداني .

## اختلاف حزب الامة مع الحكومة البريطانية :

في تلك الفترة التي عاشها السودان على اعصابه وهو لا يعرف اين سينتهي به المطاف ، كانت الاختلافات بين مصر وبريطانيا على اشدها حين تقدم حزب الامة باقتراح يقضي باتخاذ أجراء اكيد في موعد سريع لتحقيق امنية السودانيين فيالحكم الذاتي. فتذمرت بريطانيا من هذا الاقتراح العاجل ولم توافق عليه ، غضب الزعيم الروحي لحزب الامة من تلاعب بريطانيا مما حدا به للسفر الى لندن وهناك قابل المسؤولين للمرة الثانية . كما اجتمع الامام المهدي بأنطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا واتهمه بتحيز حكومة بريطانيا ضده عندما ساعدت الحزب الجمهوري الاشتراكي، وهذا يعني انها تنكرت للوعود التي قطعتها على نفسها . واصر المهدي أيضا على اقتراحه الرامي الى اعطاء السودان حق السيادة على اراضيه ، فوعد المستر ايدن السيد عبد الرحمن خيرا ، كما طلب ايدن من الحاكم العام في السودان المباشرة في تهيئة الظروف ليحكم السودان نفسه بنفسه ولمس المهدي موافقة بريطانيا على الحكم الذاتي بيده ودك اول عقبة في طريق الحرية .

كانت الثورة المباركة في مصر قد اطاحت بعرش الملك الخليع، وجاء محمد نجيب الى الحكم ومهد الطريق امام الاحزاب السودانية لزيارة القاهرة والتفاوض فيما يختص بدستور الحكم الذاتي ، رحب

المهدي بالدعوة الخاصة به وحضر الى مصر حيث استقبل استقبالا لم يتوقعه احد . دارت المباحثات حول التطور الدستوري في السودان وسيأتي تفصيله عندما اتحدث عن العلاقات بين مصر والسودان . والجدير بالذكر أن السيد عاد الى الخرطوم واعلن للسودانيين انه رد اليهم سيادة بلادهم واصبحت الكلمة النهائية في مصير السودان للشعب السوداني وحده وان كل شيء يهون في سبيل تحرير الوطن وان يدرك الشعب السوداني ان الاستقلال لا يكون الا مرة وانه اذا افلت لا يعود الا بجهود مرة .

تبع هذا سلسلة من الاجتماعات الهامة في الخرطوم وامدرمان ولندن والقاهرة للوصول الى اتفاق يعطي السودان الحق في استقلاله وسيأتي في حينه .

## الحزب الوطني الاتحادي :

تألف الحزب الوطني الاتحادي من احزاب اتحادية عديدة كان اكبرها واقواها حزب الاشقاء وقد ظل حتى الان محتفظا ببعض العناصر – من غير الاشقاء – التي انخرطت في سلكه . اما الاشقاء فقد دخلوا الوطني الاتحادي عند قيامه وظلوا فيه حتى اليوم ، هم القادة وهم الطليعة منهم اسماعيل الازهري ، مبارك زروق ، يحيى الفضلي ، احمد محمد المرضي، حسن عوض الله ، ابراهيم المفتي وغيرهم . وعلى هامش الحديث هذه الاسماء المذكورة هي اسماء نواب العاصمة المثلثة في البرلمان السابق ، زعماء المعارضة في السودان .

يعود الفضل في جمع كلمة الاحزاب الاتحادية ودمجها في منظمة واحدة هي الحزب الوطني الاتحادي الى الجهود التي بذلها اللواء محمد نجيب الذي وكل مهمة تكوين هذا الحزب الى الصاغ صلاح سالم عندما اجتمعت الاحزاب كلها في القاهرة .

بدأ الصاغ صلاح سالم استشاراته فوضع ثقته بأشخاص غير الاشقاء في بادىء الامر فلم يسكت الاشقاء على هذا بل تقدم يحيى الفضلي وافهم محمد نجيب « ان أي اختيـــار لا يكون من صالح اسماعيل الازهري ـ رئيس الاشقـــاء في ذلك الوقت ـ لرئاسة الحزب الجديد لن يقوى على مواجهة شمس السودان » . هـــذه حقيقة لا تنكر وهي ان الاشقـــاء هم اصحاب نفـوذ وان كلمتهم مسموعة وسارية المفعول كما انهم عصب كل حزب يقوم على اساس « الاتحاد » ، جاء الحل عن طريق صلاح سالم حين تنازل عن رأيـه في شخصية رئيس الحزب ووافق بان يكون اسماعيل الازهـري الرئيس الذي يدير الجلسات فقط ، هكذا تم تأليف الحزب الوطني الاتحادي برئاسة اسماعيل الازهري بعـد ان جعـل صلاح سالم السلطة بين أيدي الرجال الذين وضع ثقتـــه فيهم وهم السادة الدرديري ، خلف الله خالد ، ومرغني حمزه . ثم اعلنت مصر الثورة انها لا تريد ان تفرض على السودان امرا لا يرضاه اهله ، لكنهـــا تعطف على الدعوة الاتحادية بعد أن تترك التفاصيل لاهل السودان ، وان تم اي اتحاد فسيكون اتحاد الند للند .

## اسباب انتصار الحزب الوطني الاتحادي في اول انتخابات برلمانية عام ١٩٥٣

عاد الحزب الوطني الى السودان وخاض المعركة الانتخابية في مطلع عام ١٩٥٣ تؤازره وتعاضده وتسانده عدة عوامل . منها ان السيد اسماعيل الازهري ـ الرجل الشعبي المحبوب ـ هو رئيس الحزب من الناحية الشعبية ، فاللجان والوفود والمظاهرات ومراسلو الصحف الاجنبية كانت كلها تؤم داره في امدرمان او مكتبـه في السوق العربي في الخرطوم . فأصبح الازهري يدير الدفة ويتصل بالجماهير ، اما الاموال والترشيحات فكـــانت تصدر مـــن منزل

الدرديري . انتصر الوطني الاتحادي في الانتخابات الاولى في السودان رغم حداثة الحزب وتعود معظم أسباب الانتصار الى :

١ ـ كراهية الشعب السوداني للاستعمار البريطاني، ورغبة اهل السودان في الخلاص من ذلك الاستعمار ، كما ان قادة الحزب الاتحادي خاضوا المعركة ضد الاستعمار مرارا وذهبوا الى السجون وعلى رأسهم الرئيس اسماعيل ازهري الذي سجن اكثر من مرة وكان يقضي عدة اشهر في كل مرة .

حدثني الازهري يوما ان اجمل ساعات عمره قضاها في السجن ، لانه شعر حقا ان الحرية والاستقلال لا يمكن الحصول عليها الا بالمرور في غياهب السجون .

٢ ـ التأييد المصري المادي والمعنوي . يقال ان مصر امدت الحزب الاتحادي بالمال وسخرت جميع اجهزة الدعاية التي تملكها لنصرته . لكن هذا السبب ضعيف نسبيا اذ كان على مصر التزام الجو الحر المحايد .

٣ ـ مقدرة الاشقاء على تنظيم وكسب التأييد الشعبي . فقد ادار الاشقاء الحملة الانتخابية بكل جدارة وثقة ، بالرغم من المعاكسات والمشاحنات التي ارادها الزعماء المناوئون للازهري والذين عملوا على اسقاطه لكي لا يؤلف الوزراء ، باءت محاولة بعض قادة الختمية وقادة الانصار لاسقاط الازهري بالفشل . نجح ازهري واختير رئيسا للوزراء في الوزارة السودانية الاولى .

اختار الازهري وزرائه بكل حكمة وبعد نظر اذ اشرك في وزارته تلك ، رجالا من جميع الاحزاب الاتحادية الماضية التي اندمجت في الوطني الاتحادي . اشرك معه محمد نور الدين الذي كان يتزعم جناحا في حزب الاشقاء واشرك ميرغني حمزه الذي كان يتزعم الجبهة الوطنية واشرك حماد توفيق الذي كان يتزعم حزب الاتحاديين . هؤلاء وغيرهم جمعهم الازهري معه في الحكم واثبت بذلك تضامن حزبه وتماسكه رغم الخلافات الماضية بين زعمائه .

## حوادث دامية واختلافات داخلية :

ما ان شكلت الوزارة وباشرت اعمالهــا بانسجــام حتى بدأت الفتن تحاك بين الوزراء انفسهم تساندهم جماعة حزب الامة الطامعة في الحكم ، وما ان مضى اسابيع معدودة على حكومة الازهري الاولى حتى حدث ما لم يكن في الحسبان ، قامت في الخرطوم حــوادث دامية كان ابطالها الانصار جماعة حزب الامة واصبح يوم اول مارس عام ١٩٥٣ ، ذكرى للحوادث الدامية وذكرى مئات القتلى من اجانب ومن مواطنين العاصمة المثلثة ، وكانت اولى الصدمات التي واجهها الازهري . خاف ازهري من استعمال القوة ومحاكمة الفاعلين وعلى رأسهم رئيس حزب الامة الصديق المهدي ، فان مثل تلك الاجراءات تسبب ثورة داخلية لا تعرف نتائجها ، بعد ان كادت البلاد ان تصبح على فوهة بركان ، كان لتريث الازهري ذلك ، ان اعاد وحدة الصف بين الشعب في الوقت الذي كانت فيه حكومة السودان تقدم ولاءها للحاكم العام . خـــاف الازهري ان ينقض الاسد الجاثم ويطيــح بالتحرر الذي اوشك ان يتم .

مرت الايام ورأى الازهري ان يرفع عدد الوزراء من ١٤ وزير الى ١٦ ، كما اتفق عليه في السابق ، اما الوزيران اللذان ارادهمــا الازهري فهما من زعماء الاشقاء يحيى الفضلي ومحمد احمد مرضي، بينمــا رأى مرغني حمزه وجماعتــه غير ذلك ورشحوا احمــد جلي وخضر حمد فبدأ الخصام من جديد بين الوزراء ، وكانت هذه الازمة الوزارية الثانية التي مرت بها حكومة الازهري في مــدة قصيرة ، فاصبح الكرسي الكبير يهتز من تحت الرئيس .

## سفر الازهري الى لندن وغضب نور الدين وصلاح سالم :

في اكتوبر عام ١٩٥٣ تلقى الازهري دعوة لزيارة لندن وقرر

السفر . اجتمع هناك بعدد كبير من المسئولين البريطانيين كما اجتمع بالجالية السودانية والطلبة السودانيين . وقد اوضح الازهري للطلبة السودانيين وجهة نظره في التصريح الذي ردده امامهم قال :

« انني اوافق ان دعوة الاستقلال كانت تحيط بها الريب في الماضي .. وأوافق ان هناك تغييرا واضحا في الرأي العام السوداني واتجاها نحو الاستقلال، خاصة الان وقد زال الريب ، غير ان الحزب الذي انتمي اليه لم يحدد بعد برامجه السياسية وذلك لانه حزب صغير العمر ، فقد تألف الحزب الوطني الاتحادي قبل الاتفاقية بوقت قصير، تألف من عناصر اتحادية مختلفة ، ولما جاءت الاتفاقية قضى بعض الوقت يدرس نصوصها ويقرر على ضوء ذلك ان كانت المصلحة القومية تقضي خوض المعركة الانتخابية أم لا تقتضيه . ثم جاء الاستعداد للانتخابات وانتهت الانتخابات في آخر العام الماضي لتقوم هذه الحكومة ، وقد اخذت منذ قيامها تواجه مسئولياتها الجديدة وتصرفها وهي ما زالت تفعل ذلك .

« وعليه فان الحزب الوطني الاتحادي لم يتح له ان يحدد برامجه السياسية او يعرف الاتحاد الذي ينشده مع مصر ، واني اعتقد ان الوقت قد حان الان لمثل ذلك التحديد ، وارى ان الحزب الوطني الاتحادي سيعلن برامجه بعد وقت قصير ليتمكن الناس من مناقشتها واستيعابها قبل تقرير المصير .

« واعتقد ان اي اتحاد نقرره مع مصر يجب ان يصون للسودان استقلاله وحريته وسيادته ، ويجب أن يكون هدفه تقوية مركز السودان الدولي لا اخضاعه لمصر او التأثير على حرية اهله .

« اننا نبحث الان عن رابطة مع مصر يكون معها السودان مستقلا وتكون مصر مستقلة ، واعتقد اننا سنصل الى رابطة تجعل من السودان بلدا مستقلا استقلالا تاما في شئونه عن مصر ، وتحفظ له كينونته وتبرز شخصيته ، وقد يكون ذلك الرباط كهذا الذي

يربط بين البلاد العربية .

« اننا الان نحكم انفسنا ونصرف امورنا والطريق امامنا مفتوح للمزيد من الحرية والاستقلال ، ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان نفرط في الانتصارات التي أحرزناها . »

هذا ما قاله الازهري في لندن وهـــذا ما اثار غليانا بـين الاتحاديين . فجاء رد الفعل من الخرطوم ببيـان اصدره محمـد نور الدين احد اقطاب الاتحاديين تعقيبا على تصريح الازهري امـام الطلبة السودانيين في لندن ، جاء في بيان نور الدين الصادر في الثالث عشر من نوفمبر عام ١٩٥٤ :

« درجت بعض الصحف في الايام الاخيرة على التحدث عـن الحزب الوطني الاتحادي حديثا اشتم منه أن الحزب قـد تنكـر لمبادئه وهي الاتحاد مع مصر وانه ربما عمل على الاستقلال وانه ربما التقى مع غيره من الاحزاب التي تنادي بالاستقلال الى غير ذلك مما لا يتفق والمبادىء التي عمل ويعمل لها .

« ان مبدأ الحزب هـو الاتحاد مع مصر ، وان أي اتصال أو تصريح فيما يتصل بالمبدأ أو تحديد نوع الاتحاد لا يعد معبرا عـن رأي الحزب الا اذا صدر عن لجنته التنفيذية والله المستعان . »

ان هذا البيان ينـاقض تصريح الازهري في لندن ويثـير الاتحاديين ضده ، كما قام صلاح سالم يثير الشائعات عـلى أن الازهري عقد اتفاقية سرية مع الانكليز وتنكر لمبادىء حزبه . هذه الاشاعة التي ترددت بسرعة فائقة في اوساط كثيرة .

كم اود مقابلة الصاغ صلاح سالم لاعرف حقيقة الخبر منـه وانني لواثق أن صلاح سالم قد ندم واستغفر الله لهذه الاشاعـة المغرضة ، انه يحاول أن ينسى الماضي الذي اخفق فيه كما اخفق في معالجة مشكلة السودان . فان صلاح سالم سيقول لي اذا قابلته :

« كنت منفعلا غاضبا على ازهري ، اولا لانه لم يستشرني حين ذهب الى لندن ! ولو كانت الزيارة للمجاملة ، كيف لا وانا الذي نصبتـه

رئيسا ' ثم ربطت بين رحلته الى لندن ومقابلته للحاكم العام البريطاني في مصيف اركويت وثم مجيء السير روبرت هاو الحاكم العام الى منطقة قناة السويس سرا ، ربطت بين هذه المصادفات واطلقت تلك الشائعة التي رأيت ان اذيعها في صحف لبنان وما أكثرها ! وما اكثر اخبارها !! ومن ثم تصدقه بسهولة صحف مصر وتنقل عنها صحف السودان !.. وهكذا كان ... »

هذا هو المنطق الوحيد الذي ينتهي عنده الصاغ صلاح ان لم يصل اليه بعد .

## انتصار الازهري واتجاهه نحو الاستقلال :

عندما عاد الازهري من زيارة لندن ، وجد الجو في الخرطوم مكفهرا غائما ومكهربا ، فلم يسأل الرئيس بل سافر الى دارفور ليفتتح معرضا قبليا . وبينما كان في المطار سلمه مرغني حمزه خطابا يقول فيه انه لا يقبل ان يكون مرؤوسا لاحد اثناء غياب الرئيس وجاء الخطاب على شكل مذكرة تنطق بألسنة مرغني حمزه ، خلف الله خالد ، واحمد جلي منها '

١ ـ أن يقرر الازهري ان مرغني حمزه هو نائب رئيس الوزراء لينوب عنه في غيابه .

٢ ـ ان يتولى مرغني حمزه وزارة الداخلية ايضا .

٣ ـ ان يتولى احمد جلي وزارة الحكومة المحلية .

اما ما هو الغرض من وراء هذه المذكرة ؟ التي كانت « لا على البال ولا على الخاطر » فلقد كان يكمن وراءها مؤامرة بريطانية لكي تعيق تقدم السودنة في الدوائر الحكومية . هذه السودنة التي ارادها الازهري ان تستمر بسرعة حتى يتم بعدها الجلاء زمن ثم يأتي الاستقلال نظيفا من غبار المستعمر الذي استغل خيرات البلاد حوالي ستين عاما .

لم يبطىء الازهري في اتخاذ قراره عند عودته من دارفور بل اصدر مرسوما يعلن فيه ابعاد الوزراء الثلاثة مرغني حمزه، خلف الله خالد ، واحمد جلي ، واعتمد في ابعادهم على بيان اذاعه قال فيه ان هؤلاء قد هددوا بتأييد حزب الامة وخرجوا على النظام ..

تابع الازهري سودنة الوظائف الحكومية متجها نحو الاستقلال دون عراقيل تذكر ، واصبح الازهري بطلا قوميا ، حينما ذهب كانت تستقبله الجماهير بالهتافات المؤيدة للاستقلال وبحياة الرئيس الازهري ومنذ ذلك الحين اصبحت احاديث الرئيس تدور حول الاستقلال فقط وكثرت تصاريحه حول جمهورية السودان التي ستقف امام مصر وقفة الند للند وكذلك عن رغبته بالارتباط بمصر بواسطة مجلس اعلى الخ . كلها اقوال تدل على رغبة الازهري بالاستقلال نزولا عند مطالب الجماهير الشعبية السودانية التي تكون مجموعة فريدة لها مميزاتها الخاصة ..

كما بدأت الهيئة البرلمانية في الحزب الوطني الاتحادي تعد العدة لكي تصدر بيانا يربط تصاريح الازهري ويجلي غوامض الامور المتعلقة بالاستقلال . فجاء البيان في ابريل عام ١٩٥٥ يعلن :

« ان الهيئة البرلمانية للحزب الوطني الاتحادي بعد ان استمعت لوجهات نظر اعضائها في مستقبل السودان السياسي ، قد اجمعت على ان اهم ما يجب ان يبرز في تكييف المستقبل هو استقلال السودان وسيادته التامة على ان تحدد العلاقة بين السودان المستقل الكامل السيادة وبين مصر بطريقة لا تمس ذاتيته ولا سيادته وقد اقتنعت الهيئة ايضا بان هذه العلاقة التي ستقوم بين السودانيين ومصر يجب ان تحدد من الان حتى يعرف الشعب السوداني وهو مقدم على تقرير مصيره اي نوع من العلاقة يجب ان يكون بينه وبين غيره لا ان يضلل او يؤخذ على غرة بروابط لم توضح له قبل ان يقول كلمته وقررت الهيئة بالاجماع ان التصريح الذي ادلى به الازهري رئيس الحزب الى الصحف السودانية في ديسمبر من العام

الماضي والذي اعتبره رأيه الشخصي يمكن ان يتخذ أساسا تبني عليه الهيئة قرارها في مستقبل السودان السياسي لان جوهر التصريح ينادي للسودان بجمهورية كاملة السيادة والاستقلال بحكومتها وبرلمانها متمتعة بكل مقومات السيادة من جيش وتمثيل خارجي وما شابهه . »

هكذا ابدت الهيئة البرلمانية للحزب الوطني الاتحادي تصريحات وتصرفات الازهري بوجوب استقلال السودان ، كما تقدمت الهيئة بهذا البيان الى اللجنة التنفيذية في الحزب لتأخذ القرارات اللازمة والمتعلقة بهذا الصدد ، وبعد أيام صدر برنامج حزب الوطني الاتحادي ينادي :

١ ـ ان يكون السودان جمهورية مستقلة كاملة السيادة .

٢ ـ تشكيل لجنة استشارية سودانية مصرية لتبادل وجهات النظر في شؤون الدفاع .

٣ ـ يترك رسم حدود التعاون مع مصر في السياسة الاقتصادية للحكومة .

٤ ـ يجب ان تحدد المسائل المتعلقة بمياه النيل عن طريق تنسيق المصالح وبواسطة اتفاقيات رسمية بين الحكومتين .

٥ ـ يكون نظام الحكم ديمقراطيا ... وثم يتبع هذا قوانين دستورية شرعية تتعلق في انظمة مختلفة للدوائر الحكومية الداخلية .

هذه البيانات والتصاريح قد شحنت الجو بالتوتر والقلق بين الاحزاب السودانية من جانب ، وحكومة مصر من جانب اخر . اذ جند الصاغ صلاح سالم الاذاعة المصرية لتهاجم تصرفات الازهري كما بدأت الاحاديث الاذاعية تحث الجنوبيين بلغاتهم المحلية على مقاومة هذا التيار الجديد والمطالبة بالاتحاد مع مصر ، فاصدر غوردن ايوم من اعضاء الحزب الوطني الاتحادي في ذلك الوقت بيانات هاجم فيها حكومة حزبه ووصفها باهمال الجنوب ونادى بالاتحاد الفدرالي

بين الشمال والجنوب ورغبة الجنوبيين بالارتباط مـع مصر ...
فباءت هذه المحاولة بالفشل ايضا ..

لم يهتم الازهري بكثرة الاتهامات بل تابع برامجه ، فسافر الى اثيوبيا ومنها الى باندونغ لحضور المؤتمر الاسيوي ـ الافريقي الذي عقد هناك . فلم يتجاوب الوفد المصري مع الازهري في المؤتمر وانصرف عنه . ثم عاد الازهري ومر في بيروت ( كانت اولى مقابلاتي له في الجامعة الاميركية ) وتابع سفره الى القاهرة ، حيث استقبل بالنداءات المناوئة ، لم يتغير الازهري بل زاد اندفاعه نحو انتهـاج سياسة استقلالية متجاوبة مع سياسته التقليدية المتماشية مـع ربط مصالح السودان بمصر وليس متنكرا لمبادئه بل حبا في عدم سفك دماء السودانيين بعد أن لمس رغبتهم في ابراز مكانتهم الدولية وتوحيد كيانهم . بينما خرج عليه محمد نور الدين ـ احد اقطاب الاشقاء ـ هو وجماعته واطلقوا عـلى انفسهم حزب « الاتحـاد القومي » وهدفهم الارتباط الكلي بمصر . امـا حزب الامـة فـلم يبدي تحمسا لفكرة الاستقلال الصادرة بسرعة عن الحزب الوطني الاتحادي ووقفوا مترددين بالرغم من انهم ساهموا كثيرا للوصول الى اتفاقية الحكم الذاتي والجلاء والاستقلال،كما نجح السيد عبدالرحمن في اكتساب موافقة كل من بريطانيا ومصر على النقاط الرئيسية التالية :

« ١ ـ التصديق على دستور الحكم الذاتي

٢ ـ الوعد باعادة النظر في قانون الانتخابات حتى يشمـل الانتخاب المباشر اكبر عدد ممكن من دوائر شمالي السودان .

٣ ـ تعيين لجنة سودانية دولية لمراقبة الانتخابات .

٤ ـ تقرير المصير في اي وقت يشاؤه البرلمان السوداني .

ثم جاء الازهري ليقود البلاد في طريق الاستقلال بسرعـة فائقة ونشاط ملموس واصبح الاستقلال حقيقة محسوسة يأتي بها الازهري، فلم يتحمس عندئذ حزب الامة لهذا الاستقلال في الوقت

الذي يحمل فيه حزب الامة شعارا كتب على جميع سيارات الحزب : « حزب الامة صانع الاستقلال » ، « حزب الامة رمز القوة » .

## مناورات لاسقاط حكومة الازهري

نعود الى البرلمان السوداني لنراقب التطورات السياسية بعد ان اجتمع البرلمان ليستمع الى بيان الحكومة حول حوادث الجنوب والتي سوف استقصي اسبابها عندما اتحدث عن مشكلة الجنوب . وما ان انتهى النقاش بدون نتيجة ، حتى تحرك الرجل الذي يطالب دائما « بالكرسي » المهندس مرغني حمزه الذي كان رئيسا لحزب الاستقلال الجمهوري في ذلك الوقت، فنهض وتقدم باقتراح الاستفتاء الشعبي حول الاستقلال ليحرج موقف الحكومة .

**محاولة الاستفتاء :**

لم يتحمس احد ايضا للاقتراح الذي تقدم به مرغني حمزه في الوقت الذي تتعرض فيه البلاد الى فتنة قاسية ومحنة توشك ان تضيع الفرصة لنيل الاستقلال . كما ان اختلافات جديدة قامت بين السيد علي وزعماء الحزب الوطني الاتحادي الذين كانوا يتوقعون من السيد علي ان يؤيد الاستقلال فجاء بيانه يؤيد الاستفتاء .

وهذا هو بيان سيادة المرغني :

« لما كان السودان مقبلا على فترة عصيبة في تقرير مصيره ولما يستشعره من خطر بالغ محدق بمصالح البلاد في امنها وسلامتها ووحدتها في حاضرها ومستقبلها ما لم يسلك السبيل السوي الحكيم في اجتياز تلك المرحلة ولما كان اكبر همنا ان نجنب البلاد اخطار التنافس الحزبي والتطاحن والمشاحنات والمزالق التي

تلازم المعارك الانتخابية عادة في مثل هـذا الامر القومي الحيـوي ليخرج السودانيون جميعا من هذه المعركة بسلام ووئام وان يحققوا مشيئتهم ورغبتهم الحقيقية في مصير بلادهم في جو صالح لذلك فان رأينا الذي نتوجه بالنصح الخالص به الى جميع افراد الشعب وجماعاته واحزابه وهيئاته أن يجمعوا رأيهم ويحزموا امرهم على ان يتخذوا لذلك طريقة الاستفتاء الشعبي المباشر في جو حر محايد لاختيار الوضع الذي يختارونه لبلادهم بدلا عن طريق انتخـاب جمعية تأسيسية لهذا الغرض كمـا هو في اتفاقية السودان وان يتمسكوا بذلك ويطالبوا الدولتين المتعاقدتين بالتعديل الذي يمكن مـن اجراء ذلك الاستفتاء كما ننصح الدولتين المتعاقدتين ان تقبلا هذه الطريقة وان تسهلا الامر لقبـول التعديل اللازم ، لذلك والله نسأل ان يحقق خير البلاد والعباد انه سميع مجيب . »

علي المرغني

يدل بيان السيد علي الذي يطالب بالاستفتاء على انه لم يحدد موقفه بعد لا بل بقيت رغبته الاكيدة في الاتجاه نحو مصر .

خيب البيان امل الاشقاء من الاتحاديين ، وقد دلت دعـوة الاستفتاء الشعبي على أن هناك اختلافا بين السودانيين حول مستقبل بلادهم .

كما ان نداء الاستفتاء قد اغضب قـادة الوطني الاتحادي ، ولكنهم لم يكونوا في موضع يستطيعون معه في ذلك الوقت معارضة علي المرغني . كانوا يخشون ان هم فعلوا ذلك أن يسحب نوابه منهم وبالتالي تسقط حكومة الازهري وتضيع فرصة الاستقلال .

جاء شهر ايلول واوشك على النهاية وكان حديث الشعب يدور حول حوادث الجنوب ثم تناول الحديث عن اعلان الاستقلال مـن داخل البرلمان واهمال دعوة الاستفتاء ومشاكله .

في تشرين الاول ألفت لجنة الاحزاب لدراسة اقتراح اعلان

الاستقلال من داخل البرلمان ، وفي نفس الوقت اعلنت بريطانيا على لسان المستر لوس المستشار السياسي للحاكم العام « أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترض على اعلان الاستقلال بواسطة البرلمان اذ رأى اهل السودان ذلك كما انها لا تعترض على دعوة الاستفتاء . »

كان الباعث الرئيسي لهذه السياسة البريطانية الحؤول دون دمج السودان بمصر . اما مصر فكانت تعتقد ان الشعب السوداني يعطف على الدعوة الاتحادية وان السيد علي المرغني قد أيد فعلا نداء مصر بالاستفتاء كما رحبت بريطانيا بتأليف لجنة دولية لكي تشرف على اجراء الاستفتاء . لكن الحزب الوطني الاتحادي كان قد اسرع وقطع خط الرجعة وصمم على اعلان الاستقلال من داخل البرلمان .

## خروج المرغني حمزه على الاتحادي :

في تشرين الثاني عقد البرلمان جلسته لمناقشة الميزانية ... وهذه فرصة سمحت للمعارضة باستجماع قواها لاسقاط الحكومة .. وساعد المعارضة في هذا ، موقف الحكومة الذي مال الى الضعف بعد ان خرج مرغني حمزه على الحزب الوطني الاتحادي وكون حزب الاستقلال الجمهوري وترأسه وكذلك فعل محمد نور الدين وتزعم حزب « الاتحاد القومي » مع بعض نواب المديريات الشرقية واصبح للحكومة في مجلس النواب اغلبية ضئيلة . تجلت هذه المناورات للازهري وتبين له ان الامل في استمراره على رأس الدولة اصبح امرا خطيرا ، ولم يفاجأ في الثامن من تشرين الثاني عندما تقدم اربعة من الوكلاء البرلمانيين باستقالاتهم من مناصبهم ، وجاء في البيان الذي اصدره عقب الاستقالة :

« ان المرحلة القادمة تحتاج الى تضافر الجهود ووحدة البلاد ومشاركة الاحزاب السياسية جميعها في تحمل مسئولية الحكم حتى تمر التجربة بسلام ويخلص الوطن مستقلا حرا في يسر واخاء

وحتى تتمكن حكومة موحدة وشعب موحد من سد جميع الثغرات في وجه المؤامرات والفتن والقلاقل الداخلية . » فاغتنمت المعارضة الفرصة واقترحت سحب الثقة من حكومة الازهري وفي العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٥٢ بحث الاقتراح وهزمت الحكومة بأغلبية اربعة اصوات ، وقف معها ٤٥ نائبا وعارضها ٤٩ .

## استقالة حكومة الازهري :

قدم الازهري استقالة حكومة للحاكم العام عندما حجبت عنه الثقة ، وعاد الى كتلته وقرر مع زملائه الوزراء عدم الاشتراك في اية حكومة قومية تسعى المعارضة لتأليفها . فقد عزت في نفس الازهري تلك المؤامرات التي كانت تحاك في الخفاء بينما كان هو يسعى الى دفع البلاد نحو الاستقلال . وما كاد الازهري يعود الى منزله حتى نظمت المظاهرات الشعبية تؤيده في نضاله وتطالب بعودته الى الحكم . كانت الهتافات بحياة الازهري تشق عنان الفضاء . واستمرت المظاهرات اياما تلوم نواب الختمية التي اسقطت الازهري وادت الى تبلبل الافكار .

في ١٢ تشرين الثاني اصدر السيد علي بيانا جديدا جاء فيه : « ان الظروف الخطيرة التي تواجه البلاد الان في مرحلة تقرير المصير المرتقبة بالاستفتاء المباشر ووضع دستور نهائي لحكم السودان واجراء الانتخابات للبرلمان المقبل كلها أمور في النهاية القصوى من الاهمية لمستقبل هذا القطر

ولا شك في انه يهم جميع السودانيين ان تتم هذه الخطوات بتضامنهم وتكاتفهم جميعا على اختلاف مذاهبهم ومبادئهم السياسية حتى تتوفر لهم الحياة التامة والنزاهة والحرية تحت اعينهم وباشتراكهم ، وتتجنب البلاد بذلك النزاعات والهزات التي قد تحيق بأمنها وسلامة اهدافها العليا ، لذا فاننا نرى وننصح الى جميع

الاحزاب والهيئات ان تنهج سياسة قومية لتضطلع بهذه المهام الجسام وبادارة البلاد في هذه الفترة العصيبة بما يحقق اهدافها بامان وسلام وفي جو من الهدوء والاستقرار والطمأنينة ، والله الهادي لأقوم سبيل . »

١٢ نوفمبر — علي المرغني

**عودة الازهري :**

نرى من بيان المرغني انه ينادي بسياسة قومية وليس بحكومة قومية ! كما قلت سابقا أن الهيئة البرلمانية للحزب الوطني الاتحادي كانت قد اتخذت قرارا بعدم الاشتراك في حكومة قومية ، وجاء في بيان المرغني الاخير انه يؤيد انتهاج سياسة قومية ، وهذا ما يهدف اليه الحزب الوطني الاتحادي . وفي اليوم التالي اصدر الوكلاء الاربعة المستقيلون بيانا اعلنوا فيه انهم قرروا العودة الى صفوف الوطني الاتحادي وهذه العودة كانت رد فعل للمظاهرات الشعبية والالتباسات التي وقعت بين المعارضة والحكومة المستقيلة من جهة ، وبين الزعماء الروحيين من جهة اخرى .

عندما عاد البرلمان الى الاجتماع رشحت المعارضة مرغني حمزه لرئاسة الوزراء ورشحت الحكومة المستقيلة الرئيس اسماعيل ازهري ليشغل منصبه من جديد ، وتم الاقتراع واعيد الازهري الى الحكم بأغلبية ضئيلة جدا . فخرجت المظاهرات تنادي بحياة الازهري وبحياة الاستقلال من جديد . فالعاصمة المثلثة تؤيد الحزب الوطني الاتحادي بأكثرية ساحقة .

**تأليف حزب الشعب الديمقراطي والتقاء السيدين :**

لم ينته تشرين الثاني هكذا ، بل اسفر عن انشقاق وتحالف ،

فقد خرج عن صفوف الاتحادين حزب جديد عرف « بحزب الشعب الديمقراطي » الذي حاول التقرب من حزب الامة . اما الدوافع التي مهدت الطريق امام تأليف حزب الشعب فيعرفها السواد الاعظم من الشعب السوداني ، وهذه طائفة من الاسباب وقد سمعتها من عامة الشعب واهمها ان السيد علي المرغني قد شعر بخطورة موقفه وخطورة الهتافات التي اجتاحت العاصمة وكانت تنادي « **لا ضلال ولا تضليل يحيا الشعب مع اسماعيل** » هذا الشعار الذي يكف من سلطته ومكانته السياسية والاجتماعية والدينية ، وأن الحركات التحررية التي يحمل لواءها الازهري قد تؤدي بزعامته ومكانته . خاف المرغني على نفوذه الطائفي بعد ان سرت الانتفاضة التقدمية في العاصمة المثلثة تهاجم الطائفية ومن يتزعمها . فقرر المرغني التحالف مع « الشيطان » على اذلال الازهري وتشتيت نفوذه . فصمم على التقرب من المهدي وجمع القوى الطائفية وربطها بأي رباط يبعد بواسطته الازهري وجماعته وخصوصا يحيى الفضلي الذي هاجم الطائفية في ادق المراحل وفي الظروف التي لم تساعد عامة الشعب على استيعاب مثل هذه الاراء « الهدامة » لرواسب الماضي . فالشعب السوداني بكثرته الساحقة يدين بالطائفية كما انهم يخشون من غضب زعمائها ، فاراد السيد علي أبعاد الاشقاء عنه وعن الحكم ثم يسعى الى تحطيمهم ، هذا من جانب ، وكان قد حاول مرارا السيد عبد الرحمن المهدي التقرب من المرغني ، لجمع شمل « الطائفية » ومن ثم جميع السودانيين حول زعيمين دينيين كبيرين يحملان البلاد في سياسة خاصة تخدم مصالحهما الخاصة. تقاربت المصالح بين السيدين على الرغم من ان شخصيتهما انطوتا على الحقاد بغيضة ونزاع مستتر .

عكف علي عبد الرحمن — وهو من الاتحاديين ومن اتباع علي المرغني المخلصين — عكف على رسم سياسة لحزب جديد ، كما اراده سيده المرغني ، كانت الغاية من تكتل الختمية حول المرغني

هي ترك الازهري وحيدا لا يؤيده احد غير « الشيوعيين » على حد زعم اقطاب الشعب الديمقراطي . وهكذا وجد حزب الشعب الديمقراطي . لكن الايام اثبتت عكس هذا وبقي الازهري قويا يسانده عدد كبير من المثقفين ومن عامة الشعب ووقف الاشقاء بقربه وقفة تحفز وانقضاض يدا واحدة وقلبا واحدا يشكلون خطرا على ائتلاف السيدين معا .

فوجيء المجتمع السوداني برجال الختمية يتجمعون ويفترقون عن الاتحاديين بزعامة علي عبد الرحمن ، مرغني حمزه ، حماد توفيق ، خلف الله خالد ، احمد جلي ، امين السيد وغيرهم ويؤلفون حزبا جديدا . وكانت المفاجئة اعظم قبيل اعلان الاستقلال عندما اعلن السيدان انهما في طريق المفاوضات بعد أن التقيا للعمل معا لاول مرة في تاريخ السودان السياسي والاجتماعي . هكذا قام الحزب الجديد وبمعاونة الاحزاب المعارضة بنشاط ملحوظ وواصلوا اجتماعاتهم ولكنهم لم يتوسلوا الى نتيجة تطيح بالازهري وحكومته

اما ميول الحزب السياسية فانقسمت على نفسها فقد بقي علي عبد الرحمن اتحاديا ويتزعم جناحا في الحزب واصبح مرغني حمزه استقلاليا وتزعم جناحا اخر ايضا .

نعود الى موقف مصر من السودان بعد هذه الملابسات لهذا اتقدم بموجز يشمل المراحل الرئيسية التي مرت بها العلاقات المصرية السودانية حتى مرحلة الاستقلال ثم اتحدث عن استقلال السودان التام



# المراحل الرئيسية في علاقات مصر بالسودان حتى الاستقلال

منذ أن كانت الحضارات الاولى والتي قامت على شواطىء الانهار ، كانت العلاقات المصرية ـ السودانية قائمة مستمرة . فالموقع الطبيعي يحتم الاتصال المتبادل بين البلدين وما جاء في مطلع الكتاب يكفي ليعكس الاضواء على هذه العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

وفي التاريخ الحديث غزا محمد علي بلاد السودان وكان جيشه الجيش النظامي الوحيد في ارض تلك البلاد .

اما التداخلات الدولية والصراع المتواصل لتأمين المصلحة الخاصة وفرض السلطة ، هذا الصراع الذي استغل خديوي مصر وتسرب منه الى ارضها الطيبة ومنها الى السودان لينتقم من قاتلي جوردن !! الذي اطاحت به ثورة شعبية شاملة ، كان من جرائها ان قامت التعبئة البريطانية ـ الخديوية وقادت عمليات حربية هائلة لتحكم السودان .

كان الغرض المصري من دخول السودان في بادىء الامر تأمين منابع النيل ، ثم انتقل الى مشاركة البلاد خيراتها ، ومع هذا كانت العلاقة اخوية تشهد عليها الاخوة في السلاح والتعاون المصري السوداني في طرد الغاصب . أما وقد شاركت مصر الغاصب ودخلت معه السودان، فاصبحت مصر عندها مستعمرة تشارك بريطانيا في هذا النعت ، ومع هذا كان السودانيون ينظرون الى المصري نظرة مخلص وليس مستعمر ، اخ وليس عدو . وكانت اول الصدمات التي لوت ذلك الاتجاه حوادث عامي ٢٤ ـ ١٩٢٥ عندما هب الجيش السوداني ليدافع عن اخيه في السلاح المصري، خاب امله اذ لم

يدافع عنه الجيش المصري عندمـــا اعمل البريطانيون فيه فتكـا وتمزيقا . كانت خيبة السودانيين قاسية، فاكد لي اسماعيل الازهري ان حادثة عام ١٩٢٥ غذت وقوت حركة الانفصال عن مصر كما انمت الاحاسيس الخفية المعادية لمصر وهمدت الشعلة المندفعة من السودانيين المطالبين بوحدة وادي النيل ، وكان لوجود السيد عبدالرحمن المهدي في السودان اثر بالغ في الابتعاد عن مصر ، كان ينادي بـ«السودان للسودانيين » واصبحت العلاقـات بين مصر والسودان ابان الحكم الثنائي علاقات شرعية مسلكيـة تشارك بريطانيا فيها .

حدث في عام ١٩٤٦ ان تدهورت العلاقات الرسمية المصرية السودانية عندما رفض صدقي طلب الوفد السوداني من اجل الوقوف على مقربة من المفاوضات ، وجاء بروتوكوله المكروه وكان لمعـاملة صدقي تلك أثر سيء في العلاقة بين البلدين .

حاول الهلالي بعد صدقي كسب ود حزب الامة السوداني ، فوجه دعوة للسيـد المهدي الذي ارسل في ٢٧ ايار ١٩٤٧ وفـدا برئاسة عبد الله الفاضل ليتفاوض مع مصر لتقرير مصير السودان ولم يكن الهلالي اصدق من سلفه صدقي ففشلت مباحثاته ومحاولاته للوصول الى حل يربط به السودان بمصر . كانت مصر تصر عـلى ربط السودان بتاج ملكها ، ولو رمزيا .

سقطت حكومة الهلالي وحلت محلها حكومة حسين سري ثم جاء النحاس ... وسارت الاوضاع في مصر نحو التقهقر وفي اقل من ستة اشهر تعـاقب عـلى مصر خمس حكومـات مختلفـة وكان فاروق ملك العهد البائد قد دمج السودان وجللها بتاجـه واصبح ملك مصر والسودان ارضاء لاطماعه ودون العودة الى شعب السودان لمعالجة مشاكله او فهمها او العطف عليها .

كان لسلوك الفاروق اثر سيء اخـر في قلوب السودانيـين وخذل من كان يحاول ربط السودان بتاجه ، وحين ظهرت بوادر الوعي بين المثقفين من السودانيين خجلوا من فساد الملك الفـاسق

وباشروا بالعمل للتهرب منه ومن حكمه وسلطته وبلغ التــذمر في السـودان اشده حين انتشرت اخبار حريق القــاهرة الذي ادى الى خسارة تفوق العشرين مليون من الجنيهات المصرية .

جاء ٢٣ يوليو ليضع حدا لبغي الفاروق وفسقه وخلع الملك الخليع ، فأنبعثت الامال الحلوة من مصر مع نهضتهــا المباركة ، وقطعت المفاوضات التي كانت جــارية بين جماعــة الملك المخلوع وحزب الامة . وقد اصبح على رأس مصر حكومة واقعية ثورية تحاول الحد من الدبلوماسيات الفاشلة والمساومات المبتذلة بــين المصريين والسودانيين . فاعتلى محمد نجيب كرسي الرئاسة الاولى في جمهورية مصر فهلل له السودانيين وكبروا .

كان محمد نجيب يتمتع بذكريات جميلة في ربوع السودان ، فعاش فيها ايام صباه كما تزوج والده من امرأة سودانية . فأحب السودان واخلص له ولهذا لم تزل صوره تزين قاعات المنازل والمكاتب في مدن السودان .

تحسنت العلاقات المصرية السودانية في تلك المرحلةواجتمعت الاحزاب الاتحادية في القاهرة وصهرت نفسها في قالب واحد هو الحزب الوطني الاتحادي للتعاون مع مصر معاملة الند للند .

كان محمد نجيب مخلصا جدا نحو السودان فترك الامــور تسير سيرها الطبيعي مؤمنا ايمانا راسخا ان السودانيين سينضمون الى مصر للعمل المشترك ، وعين صلاح سالم ليقوم مقام الاخصائي فى شؤون السودان . ولكنه ما ان تدخل واضطلع على اوضاع السودان حتى وجد ان الحلم الذهبي فى الاتحاد ابعد مما كان يتوقع فقد نمت وترعرعت فكرة « السودان للسودانيين » كما شجعت بريطانيا هذا الشعور ودعمته وحاولت فصل السودان نهائيا عن مصر ، لقــد سبقت بريطانيا صلاح سالم في هذا المضمــار بنصف قرن مــن السنين ، وما لبث صلاح ان وقع في اخطاء كثيرة ، منها فرض ارادته التي كان يعتقد انها ارادة السودانيين ، واخطأ في تقدير الظروف

الدولية والمراحل التي سبقته ، واخطأ في تهجمه على الازهري ، كما اخطأ حين رقص في جنوب السودان على انغام الطبول والزمامير .

ان البذور التي زرعتها بريطانيا كانت قد نبتت وصلب عودها فصعب قطعها .

جاءت المطالبة بتقرير مصير السودان في الوقت الذي راح فيه صلاح سالم يشدد على وحدة وادي النيـــل كمطلب رئيسي لشعب السودان . فتدخل الرئيس الملهم جمال عبد الناصر ووضع حدا لتصرفات صلاح المرتجلة واطلق العنــان لشعب السودان في تقرير مصيره لحكم نفسه بنفسه وشجعه على نيل استقلاله بسرعة، فقد تبين للرئيس عبد الناصر ان امامه برامج اصلاحية كبيرة يجب ان ينجزها بسرعة وان لا تعرقه مشكلة السودان التي كانت قد تعقدت فلجأ اولا الى طرد الاسد البريطاني الجاثم في السودان وفي ارض القناة، وترك الامــور في السودان تنجلي وتحل عقدها بنفسهــا ، فكــان استقلال السودان .

نال السودان حكمه الذاتي في اول كانون الثاني عــام ١٩٥٣ تحت ادارة حكومة الازهري ، كما تحقق الجلاء بعده متمما بذلك الحكم الذاتي فاتحا الطريق امام تقرير مصير السودان بالاستقلال التام .

عمل الازهري بكل قواه لمجابهة جميع الاحتمالات ومراقبــة السودنة في جميع الوظائف الهامة في البلاد حتى يستقبل السودان استقلاله وهو كامل السودانية نظيفا من كل بقايا ورواسب الماضي المظلم .

في يوم الخميس الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٥ وقف السيد الرئيس اسماعيل الازهري، وقف في مجلس النواب امــام عاصفة من المعارضة القوية ، لكنه تمكن منها حين اعلن « ان يــوم الاثنين المقبل ( اي فى ١٩ كانون الاول عام ١٩٥٥ ) سيكون يوم هذا البرلمان حين يقرر الهدف الثالث بعد الحكم الذاتي والجلاء الا وهو

الاستقلال » . هكذا تمكن الازهري من دحض خصومه وحملهم على تأييده ، اذ أن عدم التأييد كان يعني التنكر للمبادىء التي كانوا ينادون بها .

وساعد الازهري في خطوته الجريئة ، استقالة الحاكم العام البريطاني نوكس هلم ، كما عارضت بريطانيا في تعيين حاكم جديد ، بينما كانت مصر حريصة على استقلال السودان في حال استقالة الحاكم العام البريطاني، وجاءت الاستقالة حلا للاختلاف الذي قام بين مصر وبريطانيا .

في اليوم الذي اعلن فيه الازهري رغبته في أعلان الاستقلال من داخل البرلمان وبعد ان ترك الاستفتاء جانبا ، أرسل احد رجاله الاوفياء محمد احمد المرضي، وزير الحكومة المحلية في ذلك الوقت، ارسله الى القاهرة لينقل الى حكومة مصر عزم حكومة السودان على اعلان استقلالها من داخل البرلمان يوم الاثنين الموافق ١٩ كانون الاول عام ١٩٥٥ وليناشد مصر بالاعتراف بجمهورية السودان الفتية .

قابل المرضي في القاهرة الصاغ صلاح سالم فساعده على مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر في اسرع وقت ممكن وكان صلاح قد ابعد عن منصبه الوزاري عقب فشله في معالجة قضية السودان جاءت موافقة جمال عبد الناصر على استقلال السودان بمثابة الحجر الاخير في بناء صرح الجمهورية السودانية وذلك بعد اجتماع المرضي وصلاح سالم بالرئيس عبد الناصر وفي تلك المناسبة ابدى صلاح سالم رغبته ان يكون أول المهنئين لاهل السودان بالاستقلال التام وبسيادته المطلقة . كما الح على جمال لكي يعينه اول سفير لمصر في السودان ولكن العوامل الماضية حالت دون تحقيق امنية الصاغ صلاح سالم

عاد المرضي الى الخرطوم يحمل معه موافقة مصر ، كما حصل الازهري على موافقة بريطانيا ايضا . فوقف أسماعيل الازهري في اليوم التاسع عشر من كانون الاول عام ١٩٥٥ – في الموعد المحدد –

وقف اسماعيل الازهري يصرخ صيحة النصر ...

فأجاز البرلمان السوداني قرارا ينص هكذا :

« نحن اعضاء مجلس النواب في البرلمان مجتمعا نعلن باسم الشعب السوداني ان السودان يصبح دولة مستقلة ذات سيادة ونطلب من معاليكم أن تطلبوا الى دولتي الحكم الثنائي الاعتراف بهذا الاعلان . »

لم يحتاج الازهري الى طلب الاعتراف بالاستقلال من دولتي الحكم الثنائي فقد اصبح اعترافهما بالجمهورية السودانية فيجيبه.

## مجلس السيادة وعلم السودان

قرر البرلمان تأليف لجنة خماسية لتباشر سلطات رأس الدولة بواسطة دستور موقت يضعه البرلمان الى أن يتم انتخاب رأس الدولة رئيس الجمهورية السودانية الاول، حسب نصوص الدستور الدائم. وقرر البرلمان أيضا أن تدرس قضية «الفدريشن» التي يطالب بها نواب الجنوب . وحدد يوم الاحد اول يناير عام ١٩٥٦ موعدا لمولد الجمهورية الجديدة والاحتفال بالاستقلالاحتفالا رسميا وشعبيا يشمل جميع مناطق السودان .

وفي الموعد المضروب لاعلانالاستقلال اجتمع البرلمان بمجلسيه فأجاز الدستور الموقت ، وعين اعضاء مجلس السيادة وهم : احمد ياسين، الدرديري محمود عثمان ، عبد الفتاح المغربي ، احمد محمد صالح وسرسيو ايرو . الى ان قام الانقلاب العسكري .



سرسيو ايرو



احمد محمد صالح



احمد ياسين



عبد الفتاح الغربي



الدرديري محمود عثمان

كان هؤلاء الخمسة هم اعضاء مجلس السيادة قبل الانقلاب الذي اعفاهم من مناصبهم وعين مجلس عسكري اعلى .

وفي نفس الجلسة التاريخية سمع اعضاء البرلمان رئيس الوزراء الازهري يقرأ اعترافات مصر وبريطانيا باستقلال السودان استقلالا تاما . ثم خرج اعضاء البرلمان في موكب ضخم وعلى رأس مظاهرة من الحشود الشعبية التي كانت تصرخ من اعماقها بهتافات النصر والاستقلال حتى وصلوا الى سراي الحاكم العام . هناك وقف الازهري لينزل علمي بريطانيا ومصر ويرفع علم السودان بألوانه الثلاثة : الازرق يرمز الى النيل والاصفر يرمز الى الصحراء والاخضر يرمز الى الزراعة والى ادغال الجنوب وخصبها .

تقدم رئيس الحكومة الازهري ووقف بجانبه زعيم المعارضة

المحجوب ليرفعا العلم السوداني المثلث الالوان وحيدا خفاقا في سماء افريقيا ليعلن مولد جمهورية عربية الطابع تمتاز بسمرتها هي الجمهورية السودانية .

## اول خطاب تاريخي يخلد الاستقلال

في الحفلة التاريخية ، في ذكرى الحرية وفرحة الاحرار وبين دموع الشعب المبتهج اغرورقت عينا الازهري، والمهدي، والمرغني، والمعارض وابن الشعب عندما وقف اسماعيل الازهري يخاطب السودان وعلمه المرفرف في سماء افريقيا معلنا استقلاله التام .
خطب الازهري قائلا :

« اللهم يا ذا الجلال، يا مالك الملك ، يا واهب العزة والاستقلال، نحمدك ونشكرك ونستهديك ونطلب عفوك وغفرانك ونسأل رشدك وعونك انك انت الموفق المعين .

« ليس اسعد في تاريخ السودان وشعبه من اليوم الذي تتم فيه حريته ويكتمل فيه استقلاله وتتهيأ له جميع مقومات الدول ذات السيادة . ففي هذه اللحظة التاسعة تماما من اليوم الموافق اول يناير سنة ١٩٥٦ الموافق ١٨ جمادى الثاني ١٣٧٥ تعلن مولد جمهورية السودان الاولى الديمقراطية المستقلة ويرتفع علمها المثلث الالوان ليخفق على رقعته ليكون رمزا لسيادته وعزته .

« اذا انتهى بهذا اليوم واجبنا في كفاحنا التحريري فقد بدأ في حماية الاستقلال وصيانة الحرية وبناء نهضتنا الشاملة التي تستهدف خير الامة ورفعة شأنها ولا سبيل لذلك الا نسيان الماضي وطرح المخاوف وعدم الثقة ، وان تقبل على هذا الواجب الجسيم اخوة متعاونين وبنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا وان نواجه

المستقبل كأبناء امة متماسكة قوية . ولا يسعنا في هذه المناسبة الا ان نحمد هذا الشعب الابي على حيويته وايمانه وجهاده الذي اثمر اطيب الثمرات .

« وارى واجبا علي في هذه اللحظة التاريخية ان ازجي الشكر لكل من جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة اللتين وفتا بعهدهما وقامتا بالتزاماتهما التي قطعتاها على نفسيهما في اتفاقية فبراير ١٩٥٣ وهما اليوم في هدوء ونفس راضية تطويان علمهما اللذين ارتفعا فوق ارض هذا الوطن ستا وخمسين عاما .. ليرتفع مكانهما عاليا خفاقا علم السودان الحر المستقل .

« ويهمني ان اسجل شكر السودانيين للهند والباكستاناللتين شاركتا في جهود لجنة الانتخابات الاولى ولجنة الحاكم العام . كما اسجل شكري للجنة السودنة وللدول السبعة التي قبلت مساعدتنا ورضيت بالاشتراك في اللجنة الدولية التيكان مقدرا ان تشرف على اجراءات تقرير المصير . ولا انس أن اسجل شكري للدول التي سارعت بارسال ممثلين لها للسودان حتى قبل اتمام الاستقلال . ويشرفنا أن يكون ممثلوها من ضباط الاتصال السابقين بيننا الان .

« أن شعبنا قد صمم على نيل الاستقلال فناله وهو مصمم على صيانته وسيصونه ومـــا دامت ارادة الشعب هي دستورنا فسنمضي في طريق العزة والمجد .

« والله هادينا وراعينا ومؤيدنا وناصرنا « وأن ينصركم الله فلا غالب لكم » والسلام عليكم . »

الخرطوم في ١٨ جمادي الثاني ١٣٧٥
اول يناير (كانونثاني) سنة ١٩٥٦
اسماعيل الازهري
رئيس الوزراء

نال السودان استقلاله بعد جهود كبيرة بذلهـا الازهري ، وحاولت مرارا ان احصل من اسماعيل الازهري على حقائق تكمن وراءها دوافع انحرافه عن السياسة الاتحادية .. فكـان يجيب : « لم ازل من انصارها واسعى لتحقيقها ولكني امثل رغبة شعبي ومن هذه القاعة ( قاعة داره حيث تتم اجتماعات اللجنة التنفيذية ) تصدر الدوافع الرئيسية ، ان دستوري هو مطالب الشعب ولا يمكن الوقوف امام هذا التيار ومطالبه ولو كان مخطئا . فانا من الشعب والى الشعب . وقد تأكدت من رغبة شعبي في الاستقـلال » . وتابع اسماعيل قوله : « انا اعذر هذا الشعب ، الذي وجد طرق الوظائف الحكومية تفتح له واصبح يقرر مصيره بنفسه فتمسك بهذا الامل الذي يرفع من طموحه واطماعه الى درجة وزير ونائب او مدير بينما كان في الماضي باشكاتبا او مـدرسا ولا ننسى ان المستعمر الانكليزي اجتهد في تشجيع التفرقة وبث الشعور المعادي لمصر ، هكذا كان ، ثم جـاءت الملابسات في احـداث مصر وابعـاد محمد نجيب ، تشجع الانفصال ، كما خاف السودانيون من اليـد الحديدية التي فرضها الرئيس عبد الناصر على الزعماء المصريـين وجماعة الاخوان المسلمين لكي يتسنى له السيرَ في طريق الاصلاح والازدهار وكمـا استفز « الانصار » الشعب واثـاروهم فاغتنم السوداني الفرص وطالب بالاستقلال وهكذا اكون قد تجاوبت مع شعبي ولم اتنكـر لمبـادئي ولم تتح لي الفرصة البقـاء في الحكم لاحقق الوحدة الاقتصادية مع مصر واسعى الى تصفية المفاوضات حول اقتسام مياه النيل . »

هذا هو اسماعيـل الازهري الذي يضع قلبـه على لسانـه ويحدثك بكل صراحة ولكنه لم يصارحني بالمركب الذي يشعر بـه السواد الاعظم مـن السودانيين هـو المركب بلون بشرتهم والفكرة السارية بينهم « ان الاسود يجب ان يحكم الاسود ». **ولهذا اتجـه** الشعب السوداني الى الاستقلال والى انتهاج سياسة انطوائية تبعده

عن وحدة وادي النيل ، لم يجب الازهري على هذا التعليق بل اكتفى بابتسامة !..



## نشاط المرأة السودانية
## قبل الاستقلال وبعده

لم اتعرض لذكر المرأة السودانية منذ البداية بالرغم من انها تستحق التقدير لجهوداتها التي قدمتها وتقدمها في سبيل خدمة واسعاد مجتمعها وشعبها .

اترك المجال في هذا المضمار الى رئيسة الاتحاد النسائي في السودان الانسة حاجة كاشف تروي انطباعاتها وتجيب على اسئلتي حول الدور السياسي ــ اذا كان هناك اي دور ــ الذي لعبته المرأة السودانية في معركة الاستقلال .

اردفت الانسة حاجة كاشف تقول : « تخطيء كثيرا لو ظننت ان المرأة السودانية لم تلعب دورا في معركة الاستقلال وكفاح الشعب السوداني من اجل طرد الاستعمار ولعلني اصيب ان قلت ان دورها كان الى حد ما ضعيفا وهذا يعزى الى اسباب متعددة منها ان معركة الشعب السوداني من اجل حريته كانت اقرب الى التلقائية وان استقلال السودان قد اكتسب بطريقة اقرب الى السلبية . وما كنا لننال استقلالنا بهذه السهولة لولا بعض الظروف الداخلية والعالمية التي ساعدت على تحرير السودان من قبضة الاستعمار . »

تابعت رئيسة الاتحاد تعليقها قائلة : « ان المرأة السودانية لم تقف مكتوفة الايدي بل ساهمت فعلا في هذه المعركة الوطنية ، ففي الوقت الذي نشطت فيه الحركة الوطنية وتبلورت في مؤتمر الخريجيين عام ١٩٤٠ ــ وهي الجانب المثمر من كفاح السودانيين الوطني ــ في هذا الوقت شعرت المرأة السودانية بدورها في توعية الشعب وانتظمت بعض المدرسات في شكل اتحاد ــ « اتحاد المدرسات » ــ وكان عدد المدرسات لا بأس به ، فساهمت في يوم التعليم الاهلي الذي كان يقيمه مؤتمر الخريجين وساهمن في محيطهن الخاص في توعية اخواتهن الجاهلات ، توعية وطنية صحيحة واشعارهن بالغبن والظلم الذي يعاني منه الشعب السوداني عامة . »

وتدفق الحديث واسترسلت رئيسة الاتحاد النسائي السوداني واخذت توضح لي ما تمخض عنه عام ١٩٤٥ من ازدياد الوعي القومي وكيف اخذت الحركة الوطنية تنصهر في احزاب سياسية ــ وتكون

حزب الاشقاء ثم حزب الامة وغيره من الاحزاب الاخرى واضافت تقول : « وعندما بدأت هذه الاحزاب تقوم بأهم عمل ايجابي منتظم الا وهو معارضة الجمعية التشريعية ، في ذلك الوقت اشتركت المرأة السودانية اشتراكا فعليا مع بقية العناصر الوطنية الاخرى في تلك الحملة ضد ذاك الجهاز المتعفن الذي اتى به الاستعمار كذر الرماد في عيون السودانيين ، في تلك الاثناء بالتمام قادت اول طبيبة سودانية الدكتورة خالدة زاهر ، قادت المظاهرات في شوارع الخرطوم وكذلك فعلت زوجة السيد محمد بخيت حبه في الابيض.

« انتظمت المرأة السودانية لاول مرة في تاريخها في تنظيم نسوي عرف باسم « رابطة الفتاة السودانية » بزعامة السيدة خالدة زاهر .. استمرت « الرابطة » في نشر الوعي بين جماهير النساء ولكنها فترت بعد مدة لقلة عدد العاملات فيها ونسبة لظروف التأخر والجهل التي تعيش فيها المرأة السودانية عامة .

« في عام ١٩٥٢ كون اول اتحاد نسائي للمرأة السودانية وحددت اهدافه التي تتلخص في :

١ ــ رفع مستوى المرأة ثقافيا وسياسيا واقتصاديا

٢ ــ الدفاع عن حقوق المرأة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

٣ ــ نشر الوعي القومي بين النساء

٤ ــ الاهتمام بالطفل السوداني

٥ ــ التعاون مع الهيئات الاخرى لخدمة المجتمع عامة .

٦ ــ توثيق الصلات بنساء البلدان الاخرى على اختلاف اجناسهن ولغاتهن ومبادئهن . »

بعد هذا التفسير للنواة الاولى للمرأة السودانية ، استطردت الانسة حاجة تقول : « يمكنك اعتبار الاتحاد النسائي في السودان حزبا سياسيا يعمل في مجال المرأة الخاص ، وبعد ان استطاع الاتحاد النسائي اثبات شخصية المرأة في هذا المجتمع وبرهنت

على انها انسان يتجاوب مع الاخرين ( وليس عقلها ناقصا كما يزعم البعض او بالاحرى درج هذا التفكير عند البعض ! ) كما بدأت المرأة السودانية تعمل في المجالات العامة وتساهم مع الشعب السوداني في أفراحه وأتراحه ـ فقد تجاوبت معه في الابتهاج بالجلاء والاستقلال كما لعبت دوراً واضحا في الانتفاضات الوطنية عامة هذا الى جانب الانشاء والتعمير وجانب صيانة الاستقلال ـ وهو في اعتقادي عمل اصعب بكثير من معركة نيل الاستقلال » .

اوضحت حاجة كاشف وجهة نظرها بان صيانة الاستقلال هي مهمة صعبة وعلى الشعب السوداني أن يدركها ويحتاط لها لان العدو ما زال يتربص على مقربة من السودان ، وان البلاد لم تزل مفتوحة وان اقتصادها لم يزل يتأرجح »

تابعت قولها « ان عملية الصيانة تقوم اساسا على التوعية ونشر المعرفة الصحيحة لما يدور حولنا ، وهكذا لم يزل ضمن النطاق النسائي حتى اليوم ولا امل امامنا الا آن ينصفنا الدستور الجديد ويسمح للمرأة بالاشتراك في الانتخابات ويحفظ حقوقها السياسية كاملة وأن يجعلها متساوية مع الرجل وليست متاعا يباع او يشترى وفقا لاهوائه ومزاجه . لقد آن للمرأة السودانية ان تتحرر وأن لا تترك للرجال المسؤوليات في ادارة شؤون الدولة بل تعاونه في هذا وفي كل حقل سياسي او اجتماعي » .

اكتفي بهذه السطور عن المرأة السودانية فما جاء على لسان الانسة حاجة كاشف يعبر عما فيه الكفاية كما ينصف المرأة في حقوقها .

وانتقل الان الى المشاكل الرئيسية في السودان التي لم تحل بعد .

## مشاكل السودان
## الرئيسية

وهذه لمحة تشمل المشاكل الرئيسية في السودان ، في الوقت الحاضر والتي يواجهها الانقلاب حاليا ، اذ لا يتقرر مصير السودان ، ولو جاء تقرير مصيره بالاستقلال ، الا بتقرير مصير هذه المشاكل التي تقف في طريق صيانة الاستقلال ، المرحلة البناءة الاصلاحية التي تحتاج الى تضحيات جسام .

## مشكلة الطائفية واثرها

لا تقوم مشكلة الطائفية في السودان على الصراع العقائدي بين افراد المجتمع ــ كما هو متوقع ــ بل انها تتمثل في نفوذ السيدين .

لم تكن الطائفية يوما صراعا عقائديا بل انها دوما صراع على الكراسي وبسط النفوذ والاستئثار بالحكم .

في لبنان مثلا ، تتمثل الطائفية باوضح وجوهها وبكل جلاء ، انها تزاحم بين افراد الطوائف المختلفة على كراسي الحكم يسيرها اشخاص هم اصحاب مآرب فردية . فينتج عنها استمرار في النفور « الطائفي » حتى ولو تم الانسجام بين جميع ابناء الطوائف المختلفة المتعددة ، وهذا بحد ذاته مشكلة .

طائفية السودان تختلف عن طائفية لبنان بتكتلها وائتلافها وجعل رؤسائها تسيطر على موارد البلد وتتحكم في مصيره ، وليست التفرقة في توزيع المناصب الحكومية بين مسلمين ومسيحيين ، فان السودانيين انفسهم لا ينظرون الى هذه التفرقة ولا يعتبرونها مشكلة ، اما المشكلة فهي في أئتلاف السيدين وتأثيرهما الضمني على الاوضاع الداخلية في البلاد من حيث تجميدها والحد من اندفاع الطليعة السودانية في طريق التحرر والتقدم ببلادهم والعمل على أزدهارها . اذ انهما يرمزان الى الرجعية في الدين .

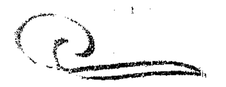
ان أئتلافا طائفيا يحكم السودان، رغم الانقلاب ، ليضمن نفوذ السيدين، ومن راقب الانتخابات البرلمانية الاخيرة في السودان، لاحظ ان « شيخ الخط » او « ناظر القبيلة » ليست العناصر الهامة في البلاد لتتسلم السلطة التشريعية ، بعد ان رفعها الشعب للعمل على صيانة الاستقلال ، وقد تفاءل خيرا من كان ينتظر نتائج تشكيل وزارة عبدالله خليل السابقة بعد ان عصيت وتأخرت ولادتها عشرة ايام .

فما كان منها الا ان عادت حكومة ما قبل الانتخابات والتي اشرفت عليها برجالها السابقين ، هكذا بقيت السلطة التشريعية والتنفيذية بأيدي المقربين من السيدين ومن يتزعم طائفة الختمية والحركة المهدية ، وعادت الى السودان الزعامة الصوفية التي كانت قبل قرون ولكن بشكل منظم شرعي ودستوري ، اما الانقلاب العسكري الذي قاده ابراهيم عبود فهو للتخلص من السياسيين الذين جعلوا الحالة الاجتماعية في البلاد راكدة رغم الازدهار الاقتصادي، والخمول فيها مستتبا للاحتفاظ بالحالة الراهنة التي تشكل جزءا من النظام الصوفي الطائفي بالاحتفاظ في مقدسات الماضي الموروثة والنهج في طريقها .

ان دلائل المشكلة الطائفية وخطرها على السودان ومستقبله

لم تبحث بعد ولم يتجرأ احدا من السودانيين على البحث فيها او نقدها او التهجم على احد السيدين . لكن الطليعة السودانية تهمس بها همسا وتحرص ان لا تترك المجال مفتوحا للنفوذ الطائفي من الانفراد في التصرف بامور البلاد الداخلية ، حتى لا تعود البلاد تقدس مسالك الماضي وتترك الحاضر يندب حظه البائس ويلوم القدر التعيس .

ان صدى الانصار يتجاوب في طرقات امدرمان والخرطوم وهم يسيرون في شكل مظاهرة لاستعراض قوتهم ولتقديم الولاء للسيد الكبير . وتستمر هذه الظاهرة رغم الانقلاب الاخير .



## مشكلة الاتجاه العربي مقابل الاتجاه الزنجي

تعتبر حضارة السودان حضارة عربية اسلامية في قالب افريقي زنجي ، وهذا التمازج بين اللب والقالب يضعنا امام مشكلة تحديد الاتجاه .

في السودان اليوم جماعات تؤمن « بزنجيتها » وجماعات كبيرة اخرى تؤمن « بعروبتها » وبأصالتها .

في السودان امتزج العنصر العربي بالعنصر الزنجي الافريقي ثم امتزجت فيه الثقافة الافريقية ، بالثقافة العربية

بالثقافة الغربية ، وكلها تأقلمت في السودان وتم تمازج موزون بين الثقافات المختلفة التي دخلت السودان وبقيت الشخصية السودانية واضحة المعالم .

يعاني السودان ازمة في الاتجاه ، وهم ينقسمون وينحازون لتيارات معاكسة تماما ، هل القبول بوحدة السودنة أو في سودانية السودان ؟ وهل هذا أمر معقول يقبله ويقتنع به جميع السودانيين ؟ أم الانتساب الى « أصلية » العنصر الزنجي ؟ او الالتحاق بالاسرة العربية ؟

هذه مشكلة السودان ومشكلة القائمين عليه ، لتخطيط معالم الطريق الذي سيسيرون عليه . هناك المناطق الشمالية والشرقية واواسط السودان وغربيه يؤمن بالاتجاه العربي وبالانتساب الى الاسرة العربية لعروبتهم الاصلية ، وهناك ٣ ملايين في الجنوب والغرب لم تسمع باللغة العربية الا منذ عشر سنوات على الاكثر . وهناك مبدأ حزب الامة القائل « السودان للسودانيين » و « بالذاتية والافريقية » التي تحتوي ضمنا على الانطواء الذاتي والارتباط بافريقيا الام فقط .

السودانيون بكثرتهم يؤمنون بالقومية العربية ، ولكن ما هي الاسس والروابط في القومية ؟ كانت القومية في مفهومها الماضي تعبر عن ان قومية واحدة تجمع شعبا ودما واحدا على أرض واحدة يربطهم تاريخ وتقليد واحد ينطقون بلغة واحدة . ان هذا التحديد المتماسك لا ينطبق الا على بعض القبائل المتخلفة المنعزلة ، لهذا اصبحت اليوم القومية ، قومية المصلحة المشتركة المرتبطة بالشعور والاتجاه والاهداف الصادرة عن منطقة جامعة لها ، يتم فيها الاتصال والتمازج بين افرادها ، وتربط عامة الشعب لغة واحدة للتفاهم والتعبير عن هذه الميول والاحساسات والاتجاهات هذه هي القومية « الانسانية » التي يؤمن بها العصر الحديث ، الانسانية بمعنى الشمول والتعميم واتساع الرقعة والتساهل في

تحديد العناصر الرئيسية في التفرقة . مثل هذه القومية تربط العرب من المحيط الى الخليج . فالسودان يمتد في هذه البقعة ويؤمن السواد الاعظم من شعبه بهذه القومية ، لكن عوامل اجتماعية ونفسية تعيق هذا الشعور وهذا الاتجاه ، انه الشعور بعنصرية اللون ، ولو تغلبوا عليه لبقي الجنوب ـ جنوب السودان الزنجي الاصيل في شكله وعاداته يقف عقبة في توحيد اتجاه السودان .

تقوم اليوم الحكومة « الانقلابية » بمساندة معارضيها في ربط جميع اجزاء السودان بعامل مشترك يسهل فيما بينهم التفاهم والتقارب ، وهذا العامل هو تعميم اللغة العربية في كافة السودان الذي يتكلم باكثر من ٢٦٠ لغة ولهجة غريبة دون مبالغة رغم كثرة الشعارات فيه .

أليست هذه مشكلة اذن ؟ ان حلها بسيط للغاية ، اذ سيحدد الوعي القومي الاتجاه في المستقبل وخصوصا عندما ترتفع نسبة التعليم عن الخمسة بالمائة وبعدها تسفر معركة الشعارات عن انتصار القومية العربية .

كانت دعوة السودان للسودانيين دعوة استقلالية قومية تطالب بجلاء المستعمر ، اما اليوم وقد نال السودان استقلاله ، مع هذا ، استمرت جماعة حزب الامة تنادي في الشعار نفسه «سودانية» السودان، وقد تدارك البعض خطأ هذا النداء، فابتذلوا نداء القومية او الذاتية السودانية الافريقية . يتجلى في هذا النداء الحركة الانطوائية الانعزالية الانفصالية التي يريدها النفوذ الطائفي ان تستمر في السودان . اما الفئة الواعية من السودانيين فانها تحاول منع اعتزال السودان عن البلاد العربية كما تحاول الحد من ازدهار الحركة الانطوائية لا بل صهرها داخل النطاق العربي الخالص الذي اصبح يشكل جزءا رئيسيا في ميادين معظم الاحزاب السودانية الناشئة حديثا .

لا ندري اسباب تخوف قادة حزب الامة من ضياع شخصيتهم

السودانية وذاتيتها في القومية العربية رغم ان ملامح شخصيتهم السودانية ثابتة لا تشكل خطرا ولا تنصهر او تذوب في أحد ، انها شخصية ميزتها البيئة الافريقية وجعلت لها اسلوبا خاصا في تفاصيل التقاليد المتبعة في حياتهم اليومية .

وقد خاض مؤخرا الزميل العربي احسان عبد القدوس ـ الذي اصبحت كتاباته ومناقشاته على صفحات مجلة « روز اليوسف » التي تصدر في القاهرة ، عناوين لمناقشات تقام في الندوات العربية ودروسا يتعظ بها الشباب العربي ـ هذا الموضوع

كتب احسان عبد القدوس في موضوع الشعارات في السودان وتعصب حزب الامة في سودانيته وفي افريقيته يقول :

« ان اختلاف ملامح وجوه السودانيين لا يعني انهم ليسوا جميعا سودانيين وليسوا جميعا عربا ... والذين ينادون بانطواء السودان أو بالقومية السودانية يجب أن يثبتوا أولا أن السودانيين ليسوا عربا ولا تربطهم بالعرب هذه الروابط التي تجعل من كليهما شعبا واحدا وعليهم ان يثبتوا ان السوداني ليس له صلة بأي شعب اخر ... شعب « مقطوع من شجرة » ... لا تمتد جذوره ولا فروعه ولا مشاعره الى اي شعب اخر ... »

وقد اعتقدت ان الزميل احسان عبد القدوس قد غفل عن الصراع القائم بين الاتجاه الزنجي والاتجاه العربي في السودان .

ولفت انتباهي مقالات احسان في بعض اعداد مجلة روز اليوسف ، وقد جاء في عدد ١٥٧٩ انتقاد الزميل عبد القدوس لاحد كتاب حزب الامة الذي يقول :

« لا يمكن بحال ان تعتبر مصر وبلاد المغرب جزءا من افريقيا لعدة اسباب تاريخية وجغرافية ... فتاريخيا ارتبط شمال افريقيا بحضارات البحر المتوسط والشرق الاوسط وجنوبي اوروبا وكونت جزءا مهما منها ... وجغرافيا كان شمال افريقيا شبه منعزل عن بقية ما اطلقوا عليه اسم القارة المظلمة ،

الى ان تقدمت المواصلات في القرن العشرين واصبح قطـــع الصحراء الكبرى التي تفصل افريقية عن هذه البلاد ممكنا ... »

اوافق الزميل احسان حين يصف القول السابق الذكـــر بانه « كلام يعبر عن التواء في التفكير او اغراق في التضليل » .. واضيف قائلا ان التفاوت في الرقي لاسباب من الاحتكـــاك الحضاري لا يشكل مانعا تاريخيا او جغرافيا ! وللتنبيه اقول ان تفكير هذا الكاتب السوداني قد درج في مصر ايضا . وقد جـاء على لسان الدكتور طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة فـــي مصر » الذي صـــــدر عام ١٩٣٨ ما هو اكثر من هذا اذ قال : « ان ثقافة المصريين ونهجهم في الحياة اقـــرب من ثقافة حوض البحر الابيض المتـــوسط واوروبـــا الى الشرق والاسلام » ...

وجاء ايضا على لسان كاتب حزب الامة هذا النص :

« ... قد لا يكون في القارة الاسيوية او القارة الاميركية ، قومية واحدة ، لان سكان هاتين القارتين عبارة عن خليط مـــن البيض والسود والصفر ... ولكن لافريقية قومية واحدة لانهـــا موطن السود !! »

بهذا المنطق ينطلق جماعة حزب الامة وانصارهم بالتحليـــل او بالاحرى بالتضليل . وقد علق عبدالقدوس على منطقهم الخاص بهذا الرد :

« ان الذين تحدثوا عن القومية العربية منذ ٤٠ سنة حتى اليوم لم يتجه تفكيرهم ابدا الى مسألة اللون ... لان العـــرب انفسهم ليسوا لونا واحـــدا ... والعرب في سوريا ليسوا في لون عرب مصر او عرب اليمن او عـــرب العراق ... او عرب السودان ... بل ان اللون لم يكن مشكلة في تكوين الاوطـــان الاقليمية نفسها ... فالشعب الهندي يتدرج في الوانه .. فـــي شمال الهند ناس لونهم ابيض وشعورهم صفراء ، وفي جنـــوب الهند ناس سمر وسود ، ولم يقل احد ان اهل كشمير ليســـوا

هنودا ، ولم يقل اهالي « كشمير » ان اهالي مدراس ليسوا هنودا ... ومصر ايضا تتدرج في الوانها من الاسكندرية الى اسوان ... ولم يقل احد ان اسوان ليست من مصر ، كما قال حضرة الكاتب الفاضل ان مصر ليست من افريقيا ... »

وتابع احسان عبد القدوس دفاعه قائلا : « ان الذين يثيرون موضوع الالوان هم المستعمرون ، لانهم يقيسون حضارة الشعوب وقوتها بالوانها ... فالشعوب الصفر والسمر والسود ، شعوب متأخرة قابلة للاستعمار، والشعوب البيض شعوب راقية متحضرة من حقها ان تسيطر وتحتل مقاعد الاسياد ... والالوان لا تمثل خطرا امام البيض ، في حد ذاتها ... ولكن الخطر الذي يواجهه البيض هو ان الشعوب الملونة تمثل اغلبية سكان العالم ، في حين ان البيض يمثلون اقلية ... فلو نهضت الاغلبية وتحررت اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، ضاع البيض . هذا هو تفكير المستعمرين » .

هذا ما جاء على لسان الصحفي الكبير احسان عبد القدوس، انه رد مقنع لجعل السوداني يتغلب على عقدة اللون التي غذاه بها المستعمر البريطاني حين تحكم فيه اكثر من نصف قرن .

اما الحقيقة المرة في وضع السودان الداخلي ، فليست بالسهولة التي يراها الزميل احسان وكل عربي متحرر انالسودان عربيا ... كما انها ليست بالصعوبة والتعقيد الذي يراه محررو جريدة « الامة » السودانية لسان حال حزب الامة ، ان السودان هو جزء من الذاتية الافريقية وان « على الاسود ان يحكم الاسود » .

ان الوضع القائم في السودان هو صراع بين « الزنجية » بكل معانيها و « العروبة » بكل اصالتها ، ان قبائل الشلك والدنكا في جنوب السودان لا يربطها رباط من اي نوع مع قبائل الشايقية والهدندوية في شمال السودان وشرقه رغم تدرج اللون من الشمال

الى الجنوب . ان ما يراه احسان هو ما يجب ان يراه كل سوداني وكل عربي وكل من يهتم ويؤمن بالقضية العربية وكل متحمس لوحدتها . لكن النظر من هذه الزاوية الى الوضع في السودان لا يوصلنا الى حلول جذرية رئيسية ، اذ انها « حلول تنصب على المظهر ولا تتعرض للاساس ، حلولا تطرد الفقاقيع وتترك الاناء يغلي » ، يجب ان لا نتناسى العنصر الزنجي الاصلي واهميته حين نعالج مشاكل السودان ، علينا مساعدة الحاكمين والقادة في السودان على توجيه شعبه توجيها عربيا صادقا ، اذ ان عقلية الزنجي الخاصة به تختلف كليا عن العقلية العربية في السودان نفسه . يجب على كل عربي مخلص ان لا يترك السودان يسير في طريق الانطوائية الانعزالية . ان هذه الطريق ليست في صالح السودان وليست من صالح العرب ، علينا بث روح العزيمة والقدرة في نفسية السوداني لتتمكن العناصر العربية من التغلب في السودان ولو اتهمنا المستعمر بانه اعتداء وتدخل « غير مباشر » في قضايا السودان الداخلية ، على العرب ان تهتم للعناصر العربية الاصيلة في السودان ودفعها باخلاص رغم جميع الاحتمالات ... علينا مساعدة حكومة السودان الحالية على ايجاد الاسباب لتخوفها وحذرها من العرب ومن عرب مصر على الاخص . كانت حكومة السودان السابقة ورجالها ووزير خارجيتها ينادون بالاخوة العربية وجمع الكلمة ووحدة الصف ولكن في قرار ضمائرهم يبتعدون عنها ، واقرب الامثال عدم ايجاد حل حتى الانقلاب في المفاوضات المستمرة لاقتسام مياه النيل او النزاع حول منطقة حلايب .

في السودان اراء مختلفة متضاربة تعيق تقرير قومية السودان رغم ان المعالم تشير الى اتجاهها نحو العرب . وتمثل هذه المعالم الجماهير الشعبية في العاصمة المثلثة الذين يتجاوبون مع كل انتفاضة عربية تحررية اينما كانت من الخليج الى

المحيط .

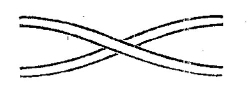
ان حكومة السودان بحاجة الى الاقناع بالحجة والبرهان والحث الفعلي العلمي حتى يربح العرب السودان ، وليس التهجم العاطفي على الاوضاع الداخلية فيه أو انتقاد زعمائه كافيا لجعل السودان عربيا قلبا وقالبا ، ولا يمكن لاحسان عبد القدوس مثلا ان يتفهم العقلية والنفسية السودانية الا بعد أن يعيش في « القطاطة » او في الاكواخ المستديرة لمدة طويلة ، عندها فقط يشعر كل عربي أن السودان بحاجة الى الاصلاح الجذري والتوجيه الصحيح كما ان السوداني أو معظم السودانيين بحاجة ماسة الى الشعور بالطمأنينة والتخلص من المركبات ... لهذا اعتبر السودان اخر من يدخل في شبه وحدة او اتحاد مع الاسرة العربية لكثرة السبل والمعتقدات المتبعة هناك .

وبالاختصار لو اخذنا « الشعب العربي الواحد » الممتد من الاطلسي الى العربي لوجدنا ان كل فئة منه تختلف عن الفئة الاخرى بمختلف مناهج الحياة لاختلاف الاحتكاكات الغربية فيه ، فكان الانكليز يعسكرون في مصر والسودان ، في فلسطين والاردن والعراق والكويت ، ولا يزال في المحميات العربية وقطر والبحرين ، وكان الافرنسيين في لبنان وسوريا ولا تزال في الجزائر . كما كان الطليان في المغرب العربي والاميركيون في السعودية العربية ثم امتد وشمل التدخل الاميركي معظم المناطق العربية لتزاحم الثقافات الغربية المختلفة التي سبقت اميركا في مضمار الاستعمار . فهذه العوامل الكثيرة من التداخلات والتغيرات عملت في تشويه معالم الوجه العربي واختلف الصباغ والدهون على شكله الخارجي ، ولكن الجوهر الاصلي بقي عربيا صادقا ، وما هذه الثورات العربية التي نشبت هنا وهناك والتي قامت في مختلف انحاء الوطن العربي ، ما هي الا لصقل الجوهر العربي من الصباغ

الخارجي ولخلع الاثواب الملونة التي البسها المستعمر للعرب .
جاءت الثورات الاصلاحية تكتنف العرب بلباس القومية العربية الابيض الناصع ، وتغذيه بنارها المتأججة الحارقة لكل معتدي .

اما الانقلاب العسكري الاخير في السودان فلم يأخذ طابع العنف والاصلاح الجذري بل جاء ليمهد الطريق امام حكومة قوية تحل بعده .

ولا بد الان من معالجة مشكلة الجنوب .



## مشكلة الجنوب ومحاولة فصله عن الشمال وربطه فدراليا

لم يكد الشعب السوداني في العاصمة المثلثة أن يصحو من بهجته بمناسبة تحقيق الهدف الثاني وهو الجلاء بعد الحصول على الحكم الذاتي ، حتى وردت الانباء من الجنوب تحدث عن المذابح المؤلمة التي وقعت هناك . فقد تحركت نار الفتنة واشعلت الجنوبيين وراحوا يذبحون كل سوداني شمالي وجد بينهم . اما اسباب ذلك الحادث المؤسف، فتعود الى الماضي البعيد وانطباعاته الكثيرة المتعددة ، وها انني اسرد القصة ، والاسباب التي أدت الى الاحداث الدامية ، فأكون قد عالجت مشكلة الجنوب برمتها .

## ١ ـ العوامل التاريخية

الحقيقة التي يجب ان لا يتحامل عليها احد ، هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس هي أن الجنوبيين يختلفون عن الشماليين في كثير من المقومات التي تربط الشعب الواحد ، فهناك الفوارق في العادات واللغات والتقاليد والدين والشعور والاتجاه والثقافة. كما انه هناك فجوات التاريخ وعدم ربط العنصر العربي في الشمال بالعنصر الزنجي في الجنوب ربطا وثيقا محكم العقدة . ان هذا يدركه الجنوبيون ادراكا جيدا ويحسون به احساسا عميقا . هذا الاحساس هو في اصله شعور بذاتية مختلفة في الجوهر وفي الشكل ، فالجنوبي يشعر ويذكر أيضا أن ارضه كانت في القرن الماضي مرتعا لاهل الشمال يمارسون فيه تجارة الرقيق . ثم جاء الحكم الثنائي ومنع هذا الرق وتجارته ، كل هذه العوامل السابقة جعلت الجنوبي ينظر الى الشمالي نظرة خوف وحذر .

## ٢ ـ العوامل الدينية والاجتماعية

هذا السودان الجنوبي الذي عرف بافريقيا السوداء والذي يقدر تعداده باكثر من ٣،٠٠٠،٠٠٠ ( ٣ ملايين ) سوداني افريقي شديد السواد حتى أن السودانيين انفسهم يفرقون فيما بينهم بتفاوت سواد بشرتهم ويطلقون على شديدي السواد « الازرق او الاخضر » هذا الخليط في مزج الالوان يتراءى لك كلما توغلت جنوبا ، حيث البدائية المتخلفة العارية او الشبه عارية التي تمتاز برقصاتها الزنجية المتعددة ، لا تربطهم الروابط الدينية او

العادات مع الشماليين كما تسيطر عبادة الاوثان في الجنوب الا بين عدد ضئيل كانت المسيحية قد تسربت اليهم بواسطة الارساليات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستنتينية .

### ٣ ـ العوامل السياسية

عندما جاء الحكم الثنائي وجاء بالانكليز فاتحين ، استغل الانكليز هذا الخوف والحذر في نفوس الجنوبيين نحو اخوانهم الشماليين ، استغلوا هذا الشعور لمصلحتهم الخاصة ، وحاولوا ابعاد الشمال عن الجنوب ، كما ظل المستعمر يذكر الجنوبيين بعهد الرق والعبيد ويغذي فيهم روح الكراهية نحو الشماليين ، واهم عامل في تقوية هذا الانفصال ، اقفال الطريق بوجه التنقل والهجرة من الجنوب الى الشمال او بالعكس . لم يسمح الجيش البريطاني للشماليين بالذهاب الى الجنوب أو العمل هناك الا باذن خاص من السلطات العسكرية ، كما حاول المستعمر البريطاني فصل المديريات الجنوبية وضمها الى مستعمراته في شرق افريقيا . لكن الانكليز كانوا قد خدعوا في ارض السودان الجنوبية وفي امكانياتها ولذا مهدوا أولا الطريق لضمها الى مستعمراتهم الافريقية الخالصة . ولكنهم ادركوا اخيرا واقتنعوا بان ذلك سراب لا طائل من ورائه . فعملوا على ضم الجنوب الى الشمال ضما رسميا ، وبعد فشل الحاكم العام السوداني في اقناع يوغندا بوجوب ضم جنوب السودان اليها لتشابه القبائل وتشابكها ووحدة اصلها . لكن حاكم يوغندا اصر على رفض ضم الجنوب السوداني اليه لانه ليس بمقدوره ان يقبله او أن يأخذه على عاتقه ويتحمل اعباء جديدة فوق تلك الاعباء التي يجدها في

يوغندا نفسها ، من جهل وتأخر شديد وضعف الاراضي من الناحية الزراعية وامكانياتها الاقتصادية .

### ٤ ــ المعاملة السيئة

كان الموظف الشمالي في الجنوب يقلد المستعمر في معاملته لاخيه الجنوبي ، لم ينظر اليه بعين العطف ولم يكن له الاحترام بل كان ولا يزال ينظر اليه ــ الى الجنوبي ــ كعبد محتقر خلق لكي يكون خادما له . فتعقدت نفسية الجنوبيين اكثر واصبحت نظرتهم الى حاكمهم وكأنه غريب مستبد يستغلهم فقط لمصلحته دون مقابل . وينطبق هذا القول على الشماليين وقلة خبرة الاداريين منهم الذين عهد اليهم بالعمل في الجنوب ، فلم يختلفوا عن المستعمر في معاملتهم للجنوبيين فنتج عن ذلك انهم ساعدوا على نمو الفتن واشعال نار الحقد بدلا من اخمادها فاسفرت عن الحوادث الدامية عندما احتفل السودان بجلاء القوات الاجنبية عن أرضيه .

### ٥ ــ الاختلاف بين مصر والازهري

هذا سبب غير مباشر لكنه عمل في تحريك الفتنة ، عندما كان لبيان الازهري ، الذي صرح به امام الطلبة السودانيين في لندن ، اثره السيء في قلب صلاح سالم الذي صادق الجنوبيين واشترك معهم في الرقص يوم احتفالاتهم واستعراضاتهم القبلية ،

تعلق به فريق منهم وتحمسوا لدعوة الاتحاد مع مصر ، فجاءت اذاعة القاهرة تحث القبائل الجنوبية على حكومة الازهري التي طالبت بالاستقلال عندما كانت تنادي بالاتحاد .

وحين اعلن الجلاء خاف الجنوبيون من بطش الشماليين والعودة بهم الى العهد الماضي وتجارة الرق ، فثاروا وذهب ضحية ثورتهم عدد غير قليل من الشماليين الاداريين الموظفين هناك ، اذ قام الجنوبيون بالاعتداء الدامي على كل شمالي عثروا عليه في طريقهم .

ادت هذه الاحداث الى تعطيل مشاريع كبيرة في حقل التعمير ، كما يعتقد البعض انها كانت محاولة بريطانية لتأخير الجلاء ونيل الاستقلال ! اذ ان البريطانيين يثيرون الرعب في قلوب الجنوبيين لابعادهم عن الشماليين . ولم تسفر التحقيقات القضائية حول هذه الحوادث الدامية عن شيء لا عن معرفة المحرضين او المسببين ولا عن الفاعلين ، بل لجأت الحكومة الى العناية والانتباه بالجنوب لاكتساب ود المواطنين هناك ، لكن عبثا ذهبت هذه الجهود فلا يزال الجنوب يصر على الانفصال كما تجلت هذه الدعوة في مبادىء « حزب الاحرار الجنوبي » و « التكتل الجنوبي » الذي اصبحت تدعمه قوة روحية على رأسها الاب ساترنينو النائب في البرلمان السابق . نجح الاب ساترنينو في الانتخابات الاخيرة في نيسان عام ١٩٥٨ ونجح معه كاهن اخر وكانا قد جمعا حولهما التكتل الجنوبي الذي يهدف الى اصلاح الجنوب والعناية به . فاصبحت الدعوة الانفصالية جلية ولم يتداركها البرلمان السابق ، والتي لا تزال تواجه حكومة الفريق عبود العسكرية . هذه هي مشكلة الجنوب وهي اكثر من مشكلة بل مجموعة مشاكل اهمها فطرية مطالبهم .

## فطرية مطالب الجنوبيين :

نعم السودان الجنوبي حياة فطرية بدائية لا تتماشى مع عصرنا الحالي ، انها مشاكل اساسية متخلفة لا تستوعب الصفحات ذكرها ومعالجتها ، ان مطالب السودانيين الجنوبيين تعبر عن اهدأفهم في الحياة وعن المبادىء التي يعتنقونها .

فالخوض فيها لا يصل بنا الى نتيجة مرجوة والاوفق الاطلاع على هذا الخبر الذي جاء في جريدة « الرأي العام » السودانية في عددها ٣٨٣٩ الصادرة فيالخرطوم في ٥٨/١/٢٣ وفيها يصف احد الزملاء الصحفيين احتفالا سنويا شعبيا رائعا في جنوبي السودان.

يقول الزميل : « دعاني مفتش توريت السيد مرغني عبد النور مع عدد من كبار الموظفين ورؤساء المصالح لحضور المعرض القبلي السنوي الذي كان مفروضا ان يشهده السادة اعضاء مجلسالسيادة السابق عند زيارتهم للمديرية الاستوائية .

بدأ المعرض بألعاب عرضها افراد قبيلة اللاتوكا، اشترك فيها الرجال والنساء والاطفال . كان الجميع يرقصون على نغماتالطبول والزمامير وهم يحملون الحرب والدرق ! كانت اجسامهم مدهونة بالجير الابيض والطوب الاحمر ويلبسون جلود النمر والريش النعام وسن الفيل ! وكانت جماهير المتفرجين تجوب حلقة الرقص وهم عراة كما ولدتهم امهاتهم . كانت موسيقى الجيش تصدح ... ورجال اللاتوكا يتمايلون طربا لنغمات موسيقاها ... واخيرا انتهى الرقص . ووقف بعض العراة يخطبون امام الميكروفون ، فشكروا السيد مفتش المركز مرغني عبد النور على نشاطه واعماله . وقال احدهم : « نحن مظلومون جدا » . وساد الصمت المكان . وانبرى سلطان اللاتوكا يسأل المظلوم عن ظلامته . قال : « عاوزين مفتش يجيب لينا ريش بتاع نعام وسن بتاع فيل من مصر علشان نلعب النقارة كويس ! » ثم وقف خطيب ثاني يقول : « عاوزين مفتش

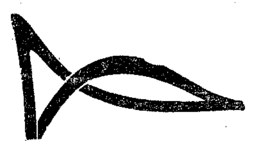
« يضبح » كل سنة اتنين تور مش واحد، علشان لاتوكا بتاع توريت كتير وعندهم نسوان كتير واولاد كتير » وقال ثالث : « جماعة اخذوا صورة بتاعنا لازم يجيبوا صورة علشان نشوف جسم بتاعنا كان هو بطال أو كويس ! »...

ويسترسل الصحفي في وصف ما شاهد في هذا المؤتمر الخطير لمطالب هؤلاء السودانيين البسطاء . وقد حضر المؤتمر ٤٢ سلطانا جاءوا من انحاء مركز توريت ليشتركوا في اجتماعات المجلس الريفي في توريت ، لقد حضر العرض رجالات الدولة منهم نائب مدير وزارة المعارف السودانية واميرالاي طلعت بك فريد قائد القيادة الجنوبية واحد اعضاء مجلس السيادة العسكري الاعلى .. واعتقد ان هذا المشهد يكفي ! لنعرف نظرة هؤلاء البسطاء ونعرف نظرتهم الى حياة افضل ومجتمع ارقى !!

هناك ٩٠٪ فقط من المواطنين السودانيين على هذه الحالة في الجنوب و٨٥٪ في الغرب لا يختلفون كثيراً عن اخوانهم في الجنوب ، اما الباقي في الشرق والشمال فيعتقد ان الحضارة والمدنية قد لمست معظمهم ويقال ايضا أن بعضهم قد سمع اننا في عصر غريب مبهم ـ يسمى بعصر الاجرام السيارة ـ اما العاصمة المثلثة ، الخرطوم ، خرطوم بحري، أمدرمان ففيها نسبة مرتفعة من الثقافة والرقي والوعي القومي، مما يؤكد أن التخلف في السودان جذري يحتاج اولا الى صقل المواهب الانسانية ثم التعرف الى الاساليب الفنية لكي يتمكن السودان بعد استقلاله الذي مضى عليه عامان ، استخراج الموارد الطبيعية في البلاد للمساهمة في زيادة الدخل الاهلي والرأس المال الفردي ولانعاش الحياة الاجتماعية والثقافية هناك .

ومن المشاكل الحديثة المعلقة هي المشكلة التي « دولتها » حكومة السودان السابقة والتي تدور حول النزاع القائم على الحدود

المصرية السودانية وقد سجل التاريخ هذا النزاع في يــوم ولادة الجمهورية العربية المتحدة .



## مشكلة النزاع حول الحدود الشمالية

### البيان السوداني

في اليوم السابع عشر من شهر شبـــاط ١٩٥٨ بدأ راديو « هنا ام درمان » يعلن في كل نصف ساعة : « هناك دولة اجنبيــة تتدخل في شؤون السودان الداخلية وان مجلس الوزراء سيصدر بيانا هاما في هذا الصدد ، فترقبوه » ، واستمرت اذاعة « هنــا ام درمـــان » تردد هذه الجملة طيلة النهــار ، وفي المساء الساعة التاسعـــة والنصف أذيـــــع بيـــان اذهــل الشعب السوداني الذي كان ينتظر بيان يشكو التدخل الاميركي أو الروسي وفوجىء بالبيان

وهذا هو البيان الصادر في مساء ٥٨/٢/١٧ :

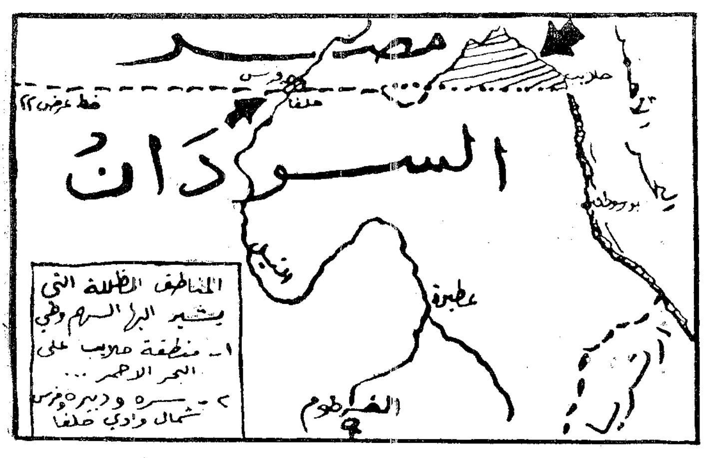
« يود مجلس الوزراء ان يطلع الرأي العام السوداني على مــا دار في الايام الاخيرة من مكاتبات ومذكرات بين جمهورية السودان وجمهورية مصر بشأن الحدود الفاصلة بين البلدين .

« ١ ـــ في اليوم الاول من فبراير الحالي تسلم السيد الوكيل الدائم للخارجية السودانية مذكرة من وزارة الخارجية لجمهورية

مصر مؤرخة في يوم ٢٩ يناير ١٩٥٨ تشير الى امر تقسيم الدوائر الانتخابية لمجلس النواب السوداني وتطالب فيها باتخاذ الاجراءات اللازمة لتسليم شئون الادارة في المنطقتين التاليتين الى الادارة المصرية ..

ا ــ المنطقة الواقعة في الصحراء الشمالية الشرقية من السودان وهي التي تشمل منطقة حلايب وما جاورها .

ب ــ المنطقة الواقعة شمال خط ٢٢ شمالا دون تحديد بقعة معينة ولكنها كما يبدو تشمل الارض السودانية الممتدة شمال




منطقة الحدود المشتركة بين السودان والاقليم الجنوبي

مدينة وادي حلفا بما في ذلك قرى سره ودبيره وفرس . ( انظر الى الخريطة ) ... وفي الوقت الذي طالبت فيه المذكرة المصرية بتسليم المنطقتين سالفتي الذكر اليها ابدت استعدادها لتسليم السودان منطقة في حدود السودان الشمالية الشرقية سبق أن

اقتطعت من السودان واضيفت الى مصر عند تعديل الحدود بين البلدين وذلك بعد فتح السودان بمدة قصيرة .

٢ ــ وقبل الفراغ من اعداد الرد على هذه المذكرة وصل الى الحكومة نبأ بان فصيلة من الجيش المصري قد ارسلت الى منطقة حلايب وما جاورها ، فاستدعى السيد وزير الخارجية بالنيابة سعادة سفير جمهورية مصر بالخرطوم ، استوضحه عن النبأ فاستبعد السيد السفير صحته ووعد بالاستفسار عنه من حكومته وحينئذ حمله السيد الوزير بالنيابة رسالة شفوية الى حكومة جمهورية مصر فحواها ان حكومة السودان تود الا يكون النبأ صحيحا ولكنها تخشى في حالة صحته أن يكون له اثر سيء على العلاقات بين البلدين . كما اضاف الوزير انه لا يمكن التسليم باقتطاع جزء من السودان على اساس نسخ من خطابات متبادلة قبل نصف قرن وان استعجال الرد في هذا الظرف الذي يجري فيه انتخابات برلمانية تغيب اكثر الوزراء بسببها خارج الخرطوم امر غير عملي حيث ان الموضوع يحتاج الى بحث واستقصاء .

٣ ــ كان هذا في يوم ١١ فبراير وفي يوم ١٣ منه سلم سفير مصر بالسودان الى السيد رئيس الوزراء مذكرة مصرية اخرى بتاريخ ٩ فبراير (شباط) الى رئاسة مجلس وزراء السودان والى سفير السودان بمصر ، تعلمنا فيها جمهورية مصر بانها بمناسبة اجراء الاستفتاء بشأن الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب رئيسها في ٢١ فبراير الحالي قد رأت ممارسة منها لسلطاتها المقررة واعمالا لقواعد السيادة ان يتيسر للناخبين في المنطقتين المشار اليهما سبيل الادلاء باصواتهم في هذا الاستفتاء وطلب السيد سفير مصر رد حكومة السودان على هذه المذكرة الثانية ، كما نفى في سياق المقابلة ارسال فصيلة من الجيش المصري الى المناطق التي تطالب بها مصر . وقد اجابه السيد رئيس الوزراء ومن معه من الوزراء انذاك ان الحدود الحالية المبينة في الخريطة والمعروفة للجميع هي الحدود التي اخذنا

استقلالنا بموجبها وان تلك الحدود قائمة منذ ستين عاما دون ان ينازعنا احد بشأنها وقد جرت الانتخابات المصرية حتى الاخيرة منها والاستفتاء حول شخص رئيس جمهورية مصر على اساس استثناء تلك المناطق باعتبارها اراضي سودانية كما اجريت انتخابا[illegible] السودان الماضية بما في ذلك انتخابات الحكم الذاتي التي تمت بموجب الاتفاقية المصرية ــ البريطانية في فبراير ١٩٥٣ وتحت اشراف لجنة دولية كانت مصر ممثلة فيها على اساس ان المناط[illegible] المذكورة سودانية ايضا اشترك اهلوها في انتخابات نواب البرلمان السوداني . ثم اضاف السيد رئيس الوزراء أنه عندما نال السودان استقلاله كانت اول ى التحفظات التي ابدأها لدولتي الحكم الثنائي انه لم يكن ملزما بأية معاهدات او اتفاقات ابرمت نيابة عنه قبل الاستقلال ما لم تعرض عليه المعاهدات والاتفاقات ويقرها وذلك في بيان السيد رئيس الوزراء السابق الذي القاه في البرلمان السوداني يوم اول يناير ١٩٥٦ فلو كان لحكومة جمهورية مصر وجهة نظر خاصة بالحدود لسارعت بتقديمها اما قبل الاستقلال او عند تسلمها الكتاب الذي بعث به السيد رئيس الوزراء السابق يوم ٣ يناير ١٩٥٦ الى الرئيس جمال عبد الناصر وان الموضوع ليس من السهولة حتى يبت فيه قبل يوم ٢١ فبراير وليس الوقت ملائما أو كافيا لدراسته والوصول الى قرار بشأنه وانه لا يمكننا أن نسلم بوجهة النظر المصرية ولذا نرى من الاوفق لحسن العلاقات الودية بين البلدين ان يؤجل بحث الموضوع الى ما بعد الانتخابات وان منطقة تكون جزءا من السودان لا يمكن ان يجري فيها استفتاء من دولة اخرى ومن الاحكم ان يؤجل الموضوع للدراسة والتفاوض بين البلدين الى ما بعد اجراء الانتخابات السودانية في ٢٧ فبراير الحالي .

٤ ــ وبعد ثلاثة ايام فقط من هذا الاجتماع اي في يوم ١٦ فبراير ابلغت وزارة الخارجية المصرية سفيرنا بمصر ان

الحكومة المصرية قد ارسلت لجان انتخابات ومعها حرس من سلاح الحدود الى المنطقة التي تطالب بها مصر وذلك لاجراء الاستفتاء وانهم سيكونون في الاماكن التي عينت لهم في التاريخ المحدد لاجراء الاستفتاء وهو يوم ٢١ فبراير الحالي .

٥ ـ وفي صباح اليوم ( الاثنين ١٧ فبراير ) اجتمع مجلس الوزراء لدراسة الامر وقد استرعت انتباه المجلس الحقائق التالية :

أ ـ ان جمهورية مصر لم تثر هذا الموضوع منذ فتح السودان الا في هذه الاونة التي شغلت فيها الانتخابات النيابية جميع السودانيين شعبا وحكومة والا بعد أن اكتشفت مناجم للمعادن في المنطقة الشمالية الشرقية وبعد ان ظهر في مفاوضات مياه النيل الاخيرة ان السودان ستطالب بتعويض عن غمر منطقة شمالي حلفا بمياه لسد العالي .

ب ـ ان مناسبة استفتاء الشعب المصري الذي اتخذته الحكومة المصرية ذريعة في مذكرتها الثانية لم تكن أول استفتاء او انتخاب اجري في مصر بعد او قبل الثورة ولم تستفت تلك المنطقة في اي مرة من المرات .

ج ـ انه في الوقت الذي تبنى فيه المذكرة المصرية الاولى مطالبتها بما يفهم منه الاعتراض على أشتراك أهالي تلك المنطقة في انتخاباتنا السودانية المقبلة تبين المذكرة الثانية المطالبة على اساس وجوب اشتراك اولئك السودانيين بوصفهم رعايا مصريين في استفتاء الشعب المصري .

د ـ ان المدة التي اعطيت لحكومة السودان للبث في هذه المسألة الهامة لا تتعدى الستة عشر يوما من يوم اول فبرأير الى يوم ١٦ منه .

هـ ـ ان المذكرة الثانية تضعنا امام الامر الواقع دون انتظار مشاورة او معارضة .

و ـ ان التبليغ الخاص الشفوي بأرسال لجان الانتخابات

وبعض رجال سلاح الحدود للمنطقة يتضمنه تأكيد الخبر الذي بلغ حكومة السودان والذي سبق ونفاه سعادة سفير جمهورية مصر اول الامر ونفاه ثانية عند هذا التبليغ وتأكيد التصميم على مجابهة السودان بالامر الواقع .

ز ــ انجمهورية مصر لم تشأ أن تقدر ظروف تغيب السادة الوزراء في دوائرهم الانتخابية كما انها ترفض الاستجابة الى رجاء حكومة السودان بأرجاء بحث الموضوع الى ما بعد الانتخابات السودانية في يوم ٢٧ الجاري .

٦ ــ ازاء ذلك رأي مجلس الوزراء ان يتخذ الاجراءات التي تصون سيادة السودان على أراضيه والمحافظة على استقلاله ولكنها في نفس الوقت تترك مجالا للتفاهم الودي بين القطرين الاخوين فقرر المجلس اتخاذ الخطوات التالية :

ا ــ أن يتصل السيد رئيس الوزراء بالسيد الرئيس جمال عبد الناصر تلفونيا ليكرر رجاء السودان في أن توقف مصر ما اتخذت من اجراءات في المنطقة التي تطالب بها مع تأكيد استعداد السودان للدخول في مفاوضات مع مصر بشأن الموضوع . وقد تم الاتصال التلفوني ولكن لعدم أمكان التحدث الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر فقد تحادث السيد رئيس الوزراء مع السيد زكريا محيي‌الدين وزير الداخلية المصرية الذي تكرم ووعده بأبلاغ المحادثة الى السيد رئيس جمهورية مصر وابلاغ رده ...

ب ــ اتصلت الحكومة بالمعارضة وابلغتها كل تفاصيل الموقف .

ج ــ ابلاغ الموقف الى جامعة الدول العربية والى السادة ممثلي الدول العربيةالشقيقة بالخرطوم والى الرأي العام السوداني مع موالاة ذلك كلما جد جديد حتى يعلم الامر على حقيقته ولا تصلهم اخبار مشوهة عنه .

وفي الختام فأن حكومة جمهورية السودان اذ تصدر هذا

البيان لا تزال عظيمة الامل في أن تسود الحكمة والعقل صيانة لعلائق الود والآخاء القائمة بين البلدين والتي تحرص عليها حكومة السودان بكل صدق واخلاص . »

انتهى البيان الرسمي الصادر عن مجلس الوزراء السوداني حول النزاع على الحدود السودانية المصرية . واليكم الآن وجهة نظر الحكومة المصرية وردها على اتهاما ت حكومة السودان وجاء البيان في ١٨ فبراير ١٩٥٨ وهذا هو البيان المصري بنصه الكامل

**بيان حكومة مصر .**

« تم الاتفاق على الحدود السياسية التي تفصل بين مصر والسودان بأن نصت المادة من ميثاق ١٨٩٩ على ان يطلق لفظ السودان على جميع الاراضي الكائنة الى جنوب الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض ، وقد اقر الدستورالموقت للسودان الذي صدر عام ١٩٥٣ هذا الميثاق حيث نص في المادة الثانية على ان ( تشمل الاراضي السودانية جميع الاقاليم التي كان يشملها السودان الانكليزي المصري قبل العمل بهذا الدستور مباشرة ) وتسهيلا للخدمة الادارية بالنسبة للقبائل في مناطق الحدود اصدر وزير الداخلية المصري في عام ١٨٩٩ قرارا يقضي بالحاق بعض المناطق المصرية شمال خط عرض ٢٢ تحت الادارة الثنائية الانكليزية المصرية ، مع بقائها تحت السيادة المصرية . ثم صدر قرار وزير الداخلية المصري في عام ١٩٠٢ بألحاق بعض المناطق شمال خط العرض ٢٢ تحت الادارة السودانية وبعض المناطق جنوبي خط عرض ٢٢ تحت الادارة المصرية مع بقائها تحت السيادة السودانية
وبأستقلال السودان عام ١٩٥٦ انتهت الادارة الثنائية ورأت

الحكومة المصرية بناء على طلب الحكومة السودانية أن تصفي المسائل المعلقة بين البلدين تدريجيا وذلك بعد اقرار الاوضاع في السودان .

ولقد درجت مصر دائما في علاقاتها بالسودان على ان تتجنب كل ما يؤدي من قريب او بعيد الى زيادة اعباء خاصة وهو يشق طريقه للنهوض بتبعاته كدولة مستقلة مرجئا المسائل المعلقة بين البلدين الى فرصة مواتية يتوفر خلالها للسودان الاستعداد اللازم لمثل هذه الامور . ولكن الحكومة السودانية اعلنت عن تقسيم الدوائر الاقليمية للانتخابات وقد شمل هذا التقسيم الاراضي المصرية شمال خط عرض ٢٢ الامر الذي يتنافى مع ميثاق ١٨٩٩ ويعتبر انتهاكا للسيادة المصرية فارسلت الحكومة المصرية مذكرة الى الحكومة السودانية بتاريخ اول فبراير سنة ١٩٥٨ ، تلفت النظر الى ان هذه المناطق ارض مصرية لا يحق لحكومة السودان أن تشملها ضمن الدوائر الانتخابية السودانية ووجهت النظر الى ميثاق ١٨٩٩ ومطالبة بألغاء الاوضاع الادارية والعودة الى الحدود السياسة ونظرا لعدم رد الحكومة السودانية على المذكرة فقد تقدمت الحكومة المصرية بمذكرة بتاريخ ١٣ فبراير تطلب استعجال الرد واوضحت أن ظروف الاستفتاء المصري تقضي انهاء هذه المسألة بسرعة حتى يتمكن المواطنون في هذه المناطق من الادلاء باصواتهم .

ونظرا لعدم رد الحكومة السودانية مرة اخرى فقد تقدمت الحكومة المصرية بمذكرة جديدة بتاريخ ١٦ فبراير تحيط فيها الحكومة السودانية علما بانها سترسل الى هذه المناطق رجال الاستفتاء الذي سيجري يوم ٢١ الجاري ومعها نقطة بوليس حدود.

وفي صباح ١٧ فبراير اتصل رئيس وزراء السودان بوزير الداخلية في مصر وعبر عن رغبته في أن يرجيء أمر الحدود بين مصر والسودان الي ما بعد الانتخابات السودانية المقبلة وفي نفس

الوقت تحركت قوات سودانية داخل المنطقة المصرية الامر الذي يعتبر انتهاكا صارخا لميثاق ١٨٨٩ وللسيادة المصرية .

وقد كلفت الحكومة المصرية سفيرها في الخرطوم ان يطلب الى الحكومة السودانية سحب القوات السودانيـة من الاراضي المصرية الى ما وراء الحدود السودانية وهي خط عرض ٢٢ ابقاء على ما بين الشعبين المصري والسوداني من روابط ، ولكن حكومة السودان التي كانت توحي بالمحافظة على سرية هذه المباحثات منذ بدئها وتوحي بعدم تسربهـا الى الصحف اصدرت فجأة وبدون الرجوع الى الحكومة المصرية بيانا مساء اليوم (الاثنين) اسمتـه ( تدخل الحكومة المصرية في الحدود السودانية ) وتجاهلت في بيانها الاتفاقات الدولية وادعت ان السبب في هـذا الموقف هـو اكتشاف معادن في المنطقة ، علما بان جميع التراخيص التي تصدر في هذه المنطقة كانت تصدرها الحكومـة المصرية بعلم الحكومة السودانية وانه لا يوجد في هذه المنطقة سوى منجم مصري للمنجانيز تديره شركة مصرية بترخيص من الحكومة المصرية تطبيقـا لحق السيادة ، كل ذلك بعلم الحكومة السودانية ، وان الحكومة المصرية الحريصة عـلى العلاقات التي تربط الشعب المصري مع الشعب السوداني ، وتود ان ينتهي الامر بين البلدين بطريقة ودية .

الخرطوم ١٨/٢/٥٨

لم تقتنع الحكومة السودانية السابقة بالرد المصري فعلقت عليه ببيان اخر يبين وجهة نظرها في مشكلة الحدود المشتركـة والنزاع حول منطقة حلايب .

**الرد السوداني :**

وهذا هو النص للرد السوداني على البيان المصري الذي يوضح

نظرية مصر في حقها من منطقة حلايب .

« ١ ـ تسلمت وزارة الخارجية السودانية من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم مذكرة بتاريخ ١٨ فبراير (شباط) ١٩٥٨ تصف فيها ارسال قوة سودانية لمنطقة حلايب وهي منطقة سودانية ويقطنها سودانيون اعتداء على السيادة المصرية وتطالب بالاسراع بسحب هذه القوات السودانية من تلك المنطقة الى ما وراء خط ٢٢ درجة بدعوة ان تلك الاراضي كانت قد الحقت بالسودان اداريا في وقت من الاوقات عندما كان السودان تحت الحكم الثنائي .

٢ ـ ان القوات السودانية التي تشير اليها المذكرة المصرية موجودة في منطقة سودانية مطلقة وليس في منطقة مصرية ومن حق السودان وحده دون غيره ان يتخذ من الاجراءات ما يراه مناسبا في منطقة هي تحت ادارته الشاملة الكاملة . ان وجود هذه القوات السودانية في هذه المنطقة التي اعترفت حكومة مصر بانها تحت ادارة السودان لهي من مقتضيات الادارة اللازمة التي تسوغها اعتبارات الامن وحفظ النظام . وليس من حق اي دولة ان تستفسر عن اجراءات طبيعية كهذه هي من صميم حقنا لادارة هذه المنطقة والسيادة عليها .

« ان حكومة السودان تعتبر دخول القوات المصرية في هذه المنطقة تعديا صارخا وخرقا واضحا لحقنا السيادي والاداري لهذه المنطقة التي مارسنا فيها حق الادارة والسيادة منذ عشرات السنين . وقد اعترفت لنا حكومة مصر بهذا الحق بموجب الاتفاقية التي سن بموجبها دستور الحكم الذاتي بجعل هذه المنطقة منطقة سودانية ورعاياها سودانيون مارسوا حقهم الانتخابي الدستوري في انتخابات البرلمان الماضي . هذا وان حكومة مصر لم تدع السيادة على هذه المنطقة وساكنيها في يوم ما ولم تسوغ حكومة مصر لهذه المنطقة وساكنيها حق التصويت في مصر منذ أن قام فيها النظام النيابي ولم تستفت في اي شأن يخص مصر لا قبل الثورة ولا بعدها .

« ٣ ــ والدافع الذي حذا بمصر بان تلجأ الى هذا السبيل الذي اختارته لنفسها هو حرصا على تحديد وضعها الدولي ( كما جاء في مذكرتها ) نسبة لاجراءات الاستفتاء لرئاسة الجمهورية المتحدة ولقد قلنا اننا لا ننكر حق مصر في تحديد موقفها وكيانها الدولي ولكن اذا ما اقتضى الامر في هذا السبيل ادعاء السيادة على منطقة ليست ملكا لها بحال من الاحوال فيجب عليها اتباع الطريق السوي وهو المناقشة والمفاوضة مع المسئولين حسبما يقتضي العرف والقانون الدوليين . ولقد أكدنا في هذا الشأن حرصنا العظيم ورغبتنا الصادقة في ان تنتهج مصر هذا المسلك وان تتحاشى كل ما من شأنه أن يسيء الى العلاقات الطيبة بين البلدين . ونحن على استعداد بان نناقش وان نتفاوض في الامر بغية الوصول الى حل .

« ٤ ــ ونحن مع اعتراضنا لمسلك حكومة مصر في هذه المسألة طلبنا منها سحب قواتها وضباط استفتائها منها وقد اكدنا ايضا رغبتنا الصادقة المخلصة في ان يسود الود والاخاء بين البلدين . وقد اكدنا ايضا اننا لن نتوانى في الدفاع عن سيادتنا ووطننا والزود عن اراضينا وكرامتنا بكل ما أوتينا من قوة وعزم اذا ما اصرت مصر على ملكها هذا وتمادت فيه .

« ٥ ــ ان الحكومة السودانية تعتبر هذا رأيها القاطع في النزاع وانه حق السودان المشروع الذي سندافع عنه ونصونه مهما كان الثمن ، وذلك لان الحكومة السودانية مسئولة عن حقوق شعب بأكمله وهي ، اذ تقرر ذلك ، انما تعبر عن ارادة الشعب في صيانة حقوقه . »

## الشكوى الى مجلس الامن :

لم ينتظر السودان الحل عن طريق المفاوضات بل اراد احياء قضيته ــ على حد تعبير وزير خارجية السودان السابق ــ فشكا

الى مجلس الامن في اليوم الذي اذاع فيه بيانه الاول عن النزاع القائم حول الحدود المشتركة المصرية ـ السودانية .

لا ادري الدوافع الحقيقية من وراء هذه الشكوى السودانية ضد مصر ، او لماذا تساهلت مصر في منطقة حلايب منذ البدء ، اعتقد ان مصر لم تفكر يوما فيما مضى أن السودان سينفصل عنها بل كانت تنظر الى مصلحة مصر والسودان من نافذة واحدة كما اثبت التاريخ ان حدود مصر كانت ممتدة الى الشلال الرابع . فان الاتفاقات الدولية التي قام بها المستعمر منذ الحكم الثنائي تصبح ذات تأثير ثانوي اذا تفاهم السودان ومصر حول المصلحة المشتركة بين البلدين .

هناك تشابه مماثل في منطقة جمبيلا ، المنطقة التي سلمتها السودان لأثيوبيا باحتفال رسمي بعد مضي أسبوعين على استقلال السودان . فقد كانت هذه المنطقة تحت الادارة السودانية ابان الحكم الثنائي . فانني اجزم ان أزمة الحدود التي استفحل امرها لم ينظر اليها بمنظار الجد والمصلحة ، بل هناك غايات اعمق ! واهداف امعن !... اذن لماذا اثار السودان مشكلة الحدود علنا يوم مولد الجمهورية العربية المتحدة ؟ وقبيل الانتخابات البرلمانية السودانية بأيام فيستغلها حزب الامة ؟!..

تقدم السودان بشكواه الى مجلس الامن . وكان قد بعث رئيس الوزراء السودانية، آنذاك ، عبدالله الخليل الى يعقوب عثمان مندوب السودان الدائم لدى الامم المتحدة بنيويورك البرقية التالية :

« نرجو تبليغ الرسالة العاجلة التالية الى معالي السيد داغ همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة :

« في اليوم الاول من فبراير سنة ١٩٥٨ ارسلت الحكومة المصرية مذكرة الى حكومة السودان تدعي فيها حق السيادة على

الاقاليم السودانية التالية :

« أ ـ المنطقة الشمالية الشرقية من السودان شمال خط عرض ٢٢ شمالا .

« ب ـ المنطقة الواقعة شمال مدينة حلفا والتي تشمل سرة ودبيرة وفرس ... »

وهكذا استمرت الشكوى تفند ما جاء بالمذكرة المصرية وما جاء في بيان حكومة السودان الرسمي .. وفي ختام البرقية جاء النص التالي :

« بكل اسف لم تتم تسوية . وما زالت الانباء ترد بتسرب المصريين داخل المنطقة على نطاق واسع وبحشود من القوات المصرية على الحدود تعزز هذا التسرب . وفوق هذا تصر الحكومة المصرية على اجراء الاستفتاء في ارض سودانية ، وحكومة السودان مع تحذرها في تصرفها لتنظر باهتمام بالغ لهذا المسلك غير الشرعي من جانب الحكومة المصرية مما يكون خرقا لسيادة السودان ولما كان السودان مصمما على الدفاع عن اراضيه فان هذه الحالة ستؤدي الى الإخلال بالامن وأذا لم يوضع لها حد فسوف تتطور الى اشتباك مسلح ، والسودان كشعب محب للسلام يطلب من السكرتير العام للامم المتحدة ان يدعو مجلس الإمن لاجتماع عاجل للتدخل لوقف الاعتداء المصري . وستتقدم حكومة السودان بمذكرة فيها حججها واسانيدها في حقها الذي لا نزاع فيه في السيادة على هذه المناطق التي تدعيها مصر . »

عبدالله خليل
رئيس وزراء السودان

اترك مشكلة الحدود ، كما جاءت في بيانات الدولتين المتنازعتين تعالج نفسها بنفسها ، أترك مجال البحث والتعليق في الموضوع مفتوحا بعد ان تركه المجلس الدولي يرقد في مصنفاته ، وعلى

الاخص بعد ان اصدرت الحكومة المصرية في ١٩٥٨/٢/٢١ بيانا يتعلق بارجاء الخلاف الناشيء على الحدود السودانية المصرية . وهذا هو نص البيان الذي كان الحد الفاصل في تطورات الازمة السودانية ــ المصرية في الاروقة الدولية :

« حفظا على الروابط التي تجمع بين الشعبين المصري والسوداني قررت الحكومة المصرية ارجاء تسوية موضوع الحدود بين البلدين الى ما بعد الانتخابات السودانية على أن تبدأ المفاوضات حول المسائل المتعلقة بين البلدين بعد اختيار الوزارة السودانية الجديدة.

« وان مصر التي تعاونت مع السودان في سبيل الحرية والاستقلال اذ تتخذ هذا القرار انما تهدف الى قطع خط الرجعة على المغرضين الذين استغلوا الفرصة لافساد العلاقات الخالدة بين الشعبين الشقيقين، كما أن مصر لن تستجيب للاستفزازات التي حاولت ان تصور الوضع بشكل تدخل مسلح أو بشكل غزو للاراضي السودانية في الوقت الذي لا توجد لها على الحدود الجنوبية الا دوريات الحدود المعروفة .

« وان الحكومة المصرية لتعلن مرة اخرى ان القوات المسلحة لم تنشأ لغزو السودان ، ولكنها دائما سند للسودان ضد العدوان المشترك . »

في تلك الاثناء بالذات حشدت السودان جيشها على الحدود كما هم الرئيس عبدالله خليل للسفر الى الحدود وكان قد صرح انه لا يترك لجيش العدو الفرصة ويدنس حرمة الارض السودانية ولا يمكنه المرور الا على جثته !.. بينما سارع اسماعيل الازهري وعلي المرغني وبعض الاحزاب والهيئات السودانية الوطنية تطالب الرئيس جمال عبد الناصر بقطع الطريق على المغرضين ودوائر المستعمرين .. فقوبل البيان المصري في مجلس الامم بارتياح عظيم من جميع الاوساط العربية التحررية التي تحافظ على صيانة

استقلال العرب ووحدة كلمتهم ، ولا تترك للنزاع مجالا الا وتطويه جانبا .

فانني واثق بأن هـذه المسألة سوف لا تسوى الا بطرق المفاوضات المباشرة وليس لمجلس الامن مكان في هذا النزاع . كما ان الامل ضعيف امام مصر بمطالبتها بمنطقة حلايب ، اذ ان هـذه المطالبة جاءت متأخرة ــ ولو على حسن نية ــ فان الدولة الناشئة لا ترتبط بأي التزامات سابقة الا اذا جاء ذكرها في وثيقة الاستقلال! فلنترك الشكوى تتوارى في اروقة الامم المتحدة ولنجد لها الحلول الصحيحة في القاهرة او في الخرطوم . ويجب أن نذكر ايضا ان الحكومة السودانية ينقصها الاثباتات الدامغة بحقها السيادي في منطقة حلايب ، لان الحاكم العام البريطاني احرق جميع الوثائق والمكاتبات الماضية قبيل اعلان استقلال السودان كما نقل بعضها الى لندن !! فالمشكلة بحاجة الي تروي وحذر .. وعدم اللجوء الى لندن للحصول على المستندات مثلا ..

وهنا يجب القول ان مصر اخطأت « بالتوقيت » هذه المرة واخطأت بحق السودان بجميع فئاته .

١ ــ لان مصر تعرف «العقدة» في تفكير الحكومة السودانية السابقة ولم تعرها انتباها ، فاغتنم حزب الامة هـذه الفرصة وساعدته في حملة الدعاية الانتخابية واظهار مصر بدور المعتدي .

٢ ــ اغضب جماعة الوطني الاتحادي لان مشكلة الحدود افلتت الزمام الانتخابي من ايديهم « لارتفاع درجة الحرارة » عند السودانيين ...

## مشكلة انجاز الدستور الدائم

كانت تواجه حكومة السودان صعوبات كثيرة في انجاز الدستور الدائم واهمها الحرص على اكتساب المؤيدين له وحل مشكلة الجنوب حلا عادلا دستوريا والعمل على خلق حكومة فدرالية تضم السودان بجزئيه الشمالي والجنوبي . ومن نصوص الجمعية التأسيسية ان اغلبية ثلاثة ارباع في الجلسة المشتركة لمجلسي النواب والشيوخ ضرورية لتمر بها مسودة الدستور . وأي تعديل بالدستور يتطلب اغلبية مطلقة ، ومهما يكن قرار الجمعية التأسيسية فيما يختص بالاغلبية المطلوبة لاجازة البنود المختلفة لمسودة الدستور ، فان الاغلبية الخاصة ضرورية في المرحلة الاخيرة عندما تجتاز المسودة، وهي في شكل مشروع قانون ، مرحلة القراءة الثالثة ، ومن المرغوب فيه ان يجيء القرار اجماعيا حتى يمكن التأكيد ان هذا الدستور هو دستور السودان الذي يرعاه ويطيعه الشعب السوداني . فان تكتل الجنوب يغتنم هذه الفرصة لينال مطالبه الكاملة وهي العمل على تشكيل حكومة فدرالية ــ تأتي مع الوقت ــ اذ انهـــا مشكلة تسبب متاعب كثيرة لانجاز الدستور الدائم المنتظر ، خصوصا وان حزب الاحرار الجنوبي كان يقاطع الجلسات التي يدور فيهـــا بحث الدستور ، وقد يمضي سنة كاملة على الانتخابات النيابية الاخيرة حتى يتمكن البرلمان السوداني من اقراره . وعندهـــا يحل مجلس السيادة الخماسي لينتخب اول رئيس للجمهورية السودانية ، ولكن الانقلاب عجل على حل مجلس السيادة واستبداله بمجلس عسكري اعلى تحت ادارة الفريق ابراهيم عبود . والمرشح الوحيد في نظري لمنصب الرئيس الاول ــ ان لم تعاجله المنية ــ هــو السيد الكبير عبدالرحمن المهدي الذي يجمع حــوله السواد الاعظم مــن شعب السودان . رغم التيارات العنيفة التي تحاول منع المهدي من اعتلاء الكرسي الاول .

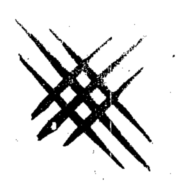
وكان يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار ايضا « لون الدستور » ، هل يكون اشتراكيا او ديمقراطيا أو هل ينهج نهج الشريعة الاسلامية، ولكل لون مؤيد ... انها مشكلة حقا !.. ولكنها الان لم تعد مشكلة بعد الانقلاب الاخير الذي قام به الفريق ابراهيم عبود في فجر يوم الاثنين الموافق للسابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٥٨ .
وكان من نتائج الانقلاب أن حل مجلس النواب وعلق الدستور.

## مشاكل اجتماعية

ان الجهود الاجتماعية في السودان هي مشكلة بذاتها ومشاكل السودان الاجتماعيــة تستحق المعالجة في كتاب اخر ، بستطلعون عليه قريبا ، فالشعب السوداني يرسف في قيود ثقيلة من التقاليد البالية القاسية الظالمة التي يدعمها التفكير الديني المتأثر بالتعــاليم الصوفية ومبهماتها ، لهذا ترى « دقة الشلوفة » امرا مستحبا لدى النساء اللواتي يقمن بوشم شفاه الفتيات بلون أزرق غير عابئــين بالعذاب الذي تستتبعه العملية المؤلمة وهذا بسيط للغــاية اذ قيس « بالشلوخ » ، هذه العادة التي لا تزال مستمرة بصورة بشعة في القرى والبوادي . كانت هذه الشلوخ تعبر عن رموز لقبائل متعددة في الماضي وهي عبــارة عن تشويه الخــدود الناضرة الملساء . و « الزار » من العادات المألوفة ناتجة عن رواسب الماضي والكبت وعدم التعليم والحرمان ، والانكى من هذا والاضر عادة والتي تسيء الى الانسانية بمعناها الشامل ، هذا « الخفاض الفرعوني » وقــد نتجت هذه العادة عن عدم ثقة الاباء والامهات ببناتهن وبالفتيــات

جميعهن ووضعهن موضع القاصرات وخوفا على بكارتهن لهذا يلجأ الاهلون للخفاض الفرعوني الضار بالجسم والذي يمنع الفتاة من كل لذة طبيعية شاءها الله انتكون ، فيلجأ الاهلون الى بتر جزء كبير من عضو الفتاة التناسلي ويحكم ربطه ولا يترك منه الا منفذ في الجهاز التناسلي الخارجي ، فتظلم الفتاة وتعيش في الامها واخطارها واخطار الزواج والولادة . هذه المآسي الاجتماعية تنتشر في السودان بكثرة .

هذه الرجعية البدائية في التفكير والعادات والتقاليد لها ميزات خاصة في المجتمع السوداني ، كما تشكل مادة غنية لمعالجتها في كتاب سيصدر قريبا حول « مشاكل السودان الاجتماعية » . كما انني سأعالج في الكتاب المجتمع السوداني بمشاكله العائلية ، الجنسية ، العمالية ، المدنية ، الريفية ، وما يدور في فلكها حتى الاجرامية منها . اما المشاكل الاقتصادية فاليها عودة ..



## مشاكل اقتصادية

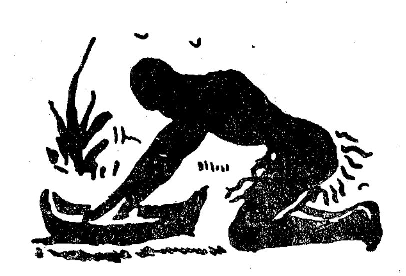
يفتقر السودان الى الاساليب الاستثمارية لاستغلال موارده الطبيعية الكثيرة فالسودان ليس متخلفا بمعنى الفقر والضعف بل هو غني يرزح بالخيرات . لكنه يفتقر او يحتاج الى سياسة التوازن بين مختلف الوجوه الاقتصادية من زراعية وصناعية ، ثم ترك العوز والتواكل جانبا . ان مشاكل السودان الاقتصادية لا تحصى، انها في

حالة من الازدهار المشوه لعدم الانسجام بين التنمية الاقتصادية والجمود الاجتماعي .

ترتكز اقتصاديات السودان الحالية على مياه النيل لاعتماده على تصدير سلعة واحدة هي القطن ، وان مياه النيل في مشكلة لا بل في معضلة ! فالمفاوضات تجري بين السودان ومصر منذ زمن بعيد حتى اليوم ولم تصل الى حل منشود لصالح البلدين .

حرصت على انجاز عمل شاق واربطه في كتاب اخر يدور حول « مشاكل السودان الاقتصادية » من مشاكل طبيعية ومشاكل انشائية وتخطيط اقتصادي ومشاريع الى المشاكل الرئيسية من تعبيد الطرقات وتأمين المواصلات بين اجزاء السودان وتنظيم النقابات والاسواق التجارية والمحاصيل ، والنهوض بتصنيع البلاد كلها مشاكل تتطلب البحث والدرس والتمحيص لكي تخرج في قالب شعبي يطلع عليه جميع افراد الشعب العربي في كل مكان في كتاب سيصدر قريبا هو « مشاكل السودان الاقتصادية » .

بعد هذه الالتفاتة الى مشاكل السودان الرئيسية انتقل الى المرحلة الاخيرة في حياة السودان السياسية هي مرحلة ما بعد الاستقلال .



## بعد الاستقلال

### اسقاط الازهري :

ابتدىء من حيث انتهيت حول الحديث عن تبلور الوعي السياسي في السودان .

تشهد مرحلة الاستقلال زيادة الوعي السياسي للحؤول دون هدم الاستقلال وللعمل على بنائه وصيانته بالاصلاح وبالازدهار .

جاءت المرحلة الاخيرة لتعلن التقاء السيدين لبقاء نفوذهما قائما ، فانطوت الاحقاد في نفسيهما رغم ما يلوح الان بالافق من معاني الحقد والضغينة والبغض والكراهية التي ينطوي عليها ائتلاف السيدين ، وتنعكس احيانا هذه الاحقاد في بعض تصرفاتهما الشاذة وتدل على أن هذه الاختلافات الشخصية بينهما والنكايات والعنعنات لم تتلاش بل انطوت على نفسها ووقفت في قلبيهما ولم تخرج بعد أمام الرأي العام السوداني الذي يتوقع اختلاف السيدين في كل لحظة لتطيح بائتلافهما .

التقى السيدان قبل أن تصبح السيادة المطلقة في السودان لشعبه ، بدأت الفكرة تظهر ولكنها لم تأخذ شكلا نهائيا الا بعد الاستقلال . كانت مرحلة نيل الاستقلال حافزا لبقاء الازهري في الحكم . اما وقد نال السودان استقلاله فكيف يحق لأزهري البقاء على كرسيه ؟ ويصبح نفوذ السيدين ضيقا ومحدودا !.. جاء الائتلاف ليؤكد ان للسيدين كل النفوذ وان البلاد لم تزل تؤيد الطائفية وتستميت في سبيلها وان الوعي القومي لم يزل معدوما في معظم المناطق السودانية ، فالشعب يلتف حول زعيمه الروحي

ولا يرضى عنه بديلا ، فكان للائتلاف ردة فعل مستحبة في اوساط السودان الرجعية التي تقدس الماضي وتنبذ كل فكرة تقدمية ! نسقت برامج حزب الشعب الديمقراطي مع رجالات حزب الامة ، وتكتل الحزبان بعد ثلاثة اشهر من الاستقلال وتمكنا من حجب الثقة عن حكومة الازهري .

سقط الازهري هذه المرة بعد ان اتسع الشق وصعب ترميمه واصبح للسيدين كلمة الفصل في البرلمان السوداني المستقل .

## مجيء عبدالله خليل الى رئاسة الوزراء ونشاط حكومته

جاء الزعيم عبدالله خليل ليترأس اول وزارة سودانية تقوم بعد الاستقلال بأشهر معدودة وبعد ان ذهب الازهري وجماعته .

الف عبدالله خليل وزارته الجديدة واحتفظ بوزارة الدفاع لنفسه وتسلم محمد احمد محجوب وزارة الخارجية ، وعلي عبدالرحمن وزارة الداخلية ، مرغني حمزه وزارة الزراعة والري والقوى الكهربائية والمائية ، ابراهيم أحمد وزارة المالية والاقتصاد ، حماد توفيق وزارة التجارة والصناعة والتموين ، زيادة ارباب وزارة المعارف ووزارة العدل ، الدكتور محمد امين السيد وزارة الصحة ، الدكتور مأمون حسين شريف وزارة المواصلات ، غردون ايوم وزارة الثروة الحيوانية ، بنجامين لوكي وزارة الاشغال ، ألفريد برجوك وزارة الثروة المعدنية ، محمد احمد ابوسن وزارة الشؤون الاجتماعية ، ودخلها يوسف العجب وامين التوم وزيري دولة .

جاء عبدالله خليل الى الحكم ليمثل الائتلاف وما يرضي السيدين فنهج سياسة غربية الطابع مع الاحتفاظ بالعمل ضمن ميثاق الضمان الجماعي العربي المنبثق عن جامعة الدول العربية . جاء عبدالله خليل الى الحكم بتأييد الانصار والختمية معا ، لهذا

كانت نظرة معظم المثقفين في السودان الى الحكومة نظرة تشكك وحذر ، فقد برهن الشباب السوداني على وعي في مراقبته لجميع الخطوات التي كانت تتخذها حكومة عبدالله خليل . ومن العناصر الصادقة الصحيحة التي تتراءى لكل مراقب ، هذا التعاون بين الحكومة والشعب ورضوخ الاولى للشعب ، فالسودان يسير اليوم في خطوات ثابتة لكي يصبح في مقدمة الدول الافريقية ، كما هو حريص جدا على جعل الاوضاع السياسية عربية ناصعة ، فالوعي في ازدياد والنتائج مضمونة .

في اواخر عام ١٩٥٦ صدم السودان كما صدم العرب جميعا حين اعتدى المستعمر على « الجمهورية المصرية » ، هذا العدوان الثلاثي السافر الذي ترك اثارا سيئة في قلوب العرب، جعل معظم الدول العربية تعلن حالة الطواريء فأعلنت حكومة عبدالله خليل حالة الطواريء في السودان وانتظرت تعاقب الاحداث في حذر وكان لحالة الطواريء تلك الفضل في كبت شعور الشعب السوداني المتأجج من الانسياق في تيار قد يسيء الى استقلال السودان فأتبعت حكومة السودان سياسة التروي والتريث في معالجتها للامور ابان العدوان الثلاثي الغادر على مصر الثورة .

استقبل السودان عام ١٩٥٧ في حزن في ظل حالة الطواريء ولم يبتهج السودانيون بذكرى الاستقلال بعد مرور سنة واحدة عليه . لقد كان لهم اخوان في مصر يجابهون الموت ابطالا للذود عن الوطن العربي الكبير . فاستقبل السودان فرحة الاستقلال « على انغام » الرئيس الاميركي دوايت ايزنهاور وهو يعلن مشروعه مصحوبا بنظرية ملء الفراغ !.. ذلك المشروع غير المرغوب فيه فلم يرحب به احد ! فاكتفت حكومة السودان ببيان رسمي تعلن فيه بان مشروع ايزنهاور لا يزال تحت الدرس ...

تابعت حكومة عبدالله خليل سلطاتها الدستورية بشكل

روتيني شرعي ، كان أمامها أن تناقش القوانين الخاصة بالانتخابات النيابية وتوزيع الدوائر التي اعاقت اجتماع اعضاء البرلمان عن موعده المحدد له وتأخر اجراء الانتخابات الشاملة لعدة اشهر .

بدأت الحكومة منذ ذلك الحين في تأمين الدوائر الانتخابية وادارة شؤون الدولة ضمن هذا الايتار . لم يحدث اي تغيير سياسي في عام ١٩٥٦ الا في اواسط شهر ايار عندما حل الحزب الجمهوري الاشتراكي ، ويقال أن معظم اعضائه اندمجوا في حزب الامة ! ولم يبق فيه الا سكرتيره ابراهيم بدري ... وفي نفس الشهر تكون حزب جديد ضم آل الخليفة عبدالله التعايشي وانصارهم ـ ذلك الخليفة الذي قاد معارك المهدي ابان الثورة الكبرى وتسلم الحكم بعد وفاته ..

## حزب التحرر الوطني :

يعتقد آل الخليفة انهم هم الانصار الحقيقيون اتباع المهدي وان حزب الامة لا يمثل الهدف الاساسي الذي قامت من اجله الثورة المهدية الكبرى، لهذا تكون حزب جديد يحاول انتزاع الخلافة والحكم من ايدي حزب الامة ، عرف هذا الحزب بـ « التحرر الوطني » برئاسة ابناء الخليفة عبدالله، ومن اهم أهدافهم السير في تيار القومية العربية والمطالبة بالوحدة العربية الشاملة رغم استناده على القوة الطائفية ايضا ، لكن حزب التحرر الوطني كان لا يؤمن بالطائفية كغاية بل كوسيلة يجمع المؤيدين بواسطتها ، ومن ثم يوجهها توجيها عربيا . كان هذا الحزب احدث الاحزاب التحررية التي تخدم القضية العربية ، كما تجرد عن جميع الشعارات الافريقية بل سعى لمجتمع اشتراكي ديمقراطي .

اسندت رئاسة الحزب الى ابن الخليفة التعايشي السيد عمر الخليفة عبدالله التعايشي . ومن العناصر القوية في الحزب

محمد داود الخليفة الذي كان يعتبر لولب الحزب الجديد وهو كذلك السكرتير العام المساعد للحزب والذي كان ينشر تعاليم ومبادىء الحزب بين جميع محدثيه وقد استمعت اليه في احد ايام نيسان الماضي وهو يهاجم حزب الامة وينعته بالرجعية كما فضح الاساليب التي استعملها في الانتخابات النيابية الاخيرة التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد .

ومن مبادىء حزب التحرر الوطني الاندماج في القومية العربية الجارفة ومحاربة الدعوة الرجعية لاقامة حكومة افريقية في السودان . ثم العمل على تنسيق العلاقات مع مصر وحلها ثم الارتباط معها اقتصاديا وثقافيا وعسكريا .

وفي الرابع من شهر تموز سنة ١٩٥٧ وافق مجلس السيادة على مشروع قانون الجمعية التأسيسية الذي يهدف الى تنفيذ القرار المشار اليه انفا والذي صار بعد تلك الموافقة قانونا تكون بمقتضى احكامه الجمعية التأسيسية من ٢٠٣ اعضاء هم مجموع اعضاء مجلس النواب وعددهم ١٧٣ والشيوخ المنتخبين والمعينين هم ٣٠ شيخا . وقد نص قانون الجمعية التأسيسية ايضا على ان يرئس رئيس مجلس النواب جلسات الجمعية .

في آب من عام ١٩٥٧ تم تشكيل لجنة الانتخابات واختير حسن علي عبدالله رئيسا لها . كما اعلن مشروع توزيع الدوائر الانتخابية ... وقد هاجمته المعارضة في البدء ثم عادت ووافقت عليه لتجنب الاحتكاكات مع السلطة الشرعية ، كما قال ازهري .

وبعد أن انهى عبدالله خليل توزيع الدوائر، طواها جانبا وفرغ لمعالجة ازمة القطن المتفاقمة ، والشراء بالاسترليني بعد ان تخلخلت العلاقات التجارية المرتبطة بين السودان وصاحبة الاسترليني ، فغادر عبدالله خليل الخرطوم في اليوم الاول من ايلول الى لندن في زيارة شبه رسمية أمضى عشرين يوما بين الزيارات والمحادثات

في المسائل التجارية بين البلدين لتقوية العلاقات السودانية البريطانية .

عاد عبدالله خليل ولم يلبث الا وقتا قصيرا حتى اعلن قبول السودان للمعونة الاميركية وذلك عقب زيارة بعثة اميركية للبلاد . وفي عام ١٩٥٧ كانت المفاوضات حول تقسيم مياه النيل قد تجددت بين مصر والسودان كما اشترك السودان في مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي .

ثم انتشر الوزراء في مختلف المديريات السودانية في زيارات رسمية الشكل لكنها تحمل في طياتها دعاية حزبية وكذلك فعل رئيس الوزراء ، فقام عبدالله خليل في جولة بالمديريات الغربية يدعو فيها لحزب الامة ومرشحيه ، طبعا لم تكن الدعوة ظاهرة بل ماذا تعني الرحلات بكثرة قبل موعد الانتخابات ؟!.. كما استقبل الرئيس خليل عيد الاستقلال الثاني وهو في الفاشر ، غربي السودان .

هل عام ١٩٥٨ وعلى منصة الحكم حكومة ائتلافية ترتكز على اغلبية ضئيلة همها الاكبر اجراء الانتخابات النيابية الاولى في ظل الاستقلال . فكانت الوزارة منتشرة خارج الخرطوم في الشرق والغرب والجنوب

وفي مناسبة عيد الاستقلال كثرت الاحتفالات والافراح وانتشرت « الليالي السياسية » في كل مكان . كما استقبل الصديق المهدي رئيس حزب الامة عيد الاستقلال باعلان مبادىء حزب الامة السبعة . وهذه هي المبادىء :

« ١ ــ اقرار مبادىء السلم والصداقة المتبادلة مع الجميع والتعايش السلمي .

« ٢ ــ الحياد الايجابي ونبذ الاحلاف العسكرية .

« ٣ ــ العمل لتقوية أطيب وامتن العلاقات مع مصر والتعاون الوثيق مع البلاد الشقيقة المجاورة اثيوبيا وليبيا .

« ٤ ــ مد يد العون للشعوب المجاورة التي تكافح لتحرير

نفسها من نير الاستعمار .

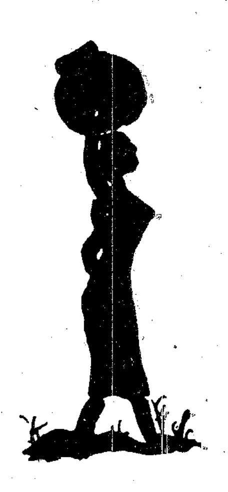
« ٥ ـ انتهاج سياسة مستقلة داخل الجامعة العربية هدفها تحقيق وحدة العرب وازالة الانقسامات القائمة .

« ٦ ـ وجوب العناية بالشعوب الافريقية الشقيقة ومعاونتها على التحرر والاستقلال .

« ٧ ـ توثيق العلاقات الاسيوية والافريقية والتضامن في كافة المنظمات التي تقام لتحقيق التعاون في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة . »

هذه المبادىء التي يحاول حزب الامة تطبيقها والتي لا تختلف كثيرا عن السياسة التي رسمتها حكومة الانقلاب في ٥٨/١١/٣٠ وجاءت على لسان وزير خارجيتها السيد احمد خير . وفي شباط حمي وطيس المعركة الانتخابية فلم تمض ليلة الا وكانت « تلعلع » فيها اصوات المواطنين مؤيدين هذا المرشح او ذاك وتستمر السهرات السياسية حتى بعد منتصف الليل .

ثم جاءت الانتخابات ...



## الانتخابات البرلمانية السودانية

### الاحزاب المشتركة :

هذه لمحة خاطفة حول الانتخابات السودانية الاخيرة لانتخاب اعضاء الجمعية التأسيسية التي كـــانت تضم ٢٠٣، والتي جرت في السابع والعشرين من شباط ١٩٥٨ وانتهت في العاشر من اذار .

وزعت الدوائر الانتخابية البرلمانية على الشكل التالي :

١٦ مقعدا عن مديرية بحر الغزال
٣٥ مقعدا عن مديرية النيل الازرق
٢٢ مقعدا عن مديرية دارفور
١٥ مقعدا عن المديرية الاستوائية
١٦ مقعدا عن مديرية كسلا
٩ مقاعد عن مديرية الخرطوم
٢٩ مقعدا عن مديرية كردفان
١٦ مقعدا عن المديرية الشمالية
١٥ مقعدا عن مديرية اعالي النيل

وهكذا وزع ١٧٣ مقعدا ليشكل المجلس النيابي السوداني في الجمعية التأسيسية اما الـ ٣٠ مقعدا الباقية فتمثل مجلس الشيوخ الذي انتخب جزء منه وعين الجزء الباقي تعيينا يتجـاوب مـع الاكثرية الحزبية في مجلس النواب . ولكن الجمعية التأسيسية لم تعمر طويلا بل اطاح بها الانقلاب ايضا .

وهذه هي الاحزاب التي اشتركت في الانتخابات :

١ ــ حزب الامة وحزب الشعب الديمقراطي . وكان قد تم

ائتلاف بين الحزبين وتعاونا في جميع المديريات لتوحيد قوتهما ، كما تركت المزاحمة الحرة في المناطق التي يعتقد انها « مقفلة » لدى الحزبين المتعاونين .

٢ ـ حزب الوطني الاتحادي ، الحزب المعارض لحكومة عبدالله خليل السابقة ، والذي يتزعمه اسماعيل إزهري .

٣ ـ حزب الاحرار الجنوبي ، الحزب الذي يطالب بالاتحاد الفدرالي بين جنوبي السودان وشماليه .

٤ ـ الجبهة المعادية للاستعمار التي تمثل الجناح اليساري وانصار السلم ، تضم نخبة من الشباب التقدمي ، عرفوا بعدائهم للائتلاف ولحزب الامة على الاخص ، يضم الحزب اعضاء اكثرهم في العقد الثاني من عمرهم ، لكنه يؤخذ عليهم عدم توحيد جهودهم وعدم خبرتهم في حملات الدعاية فقد اظهروا ضعفا ملموسا في الانتخابات النيابية الاخيرة ، مثلا ، كانت « لياليهم السياسية » في امدرمان تنادي بمرشح الاتحاد الوطني حسن عوض الله ولياليهم في خرطوم بحري تنادي بمرشح الشعب الديمقراطي علي عبدالرحمن وهذا تناقض صريح لا مبرر له ، والمعروف ان المبادىء هي اهم من الاشخاص ! ومن زعماء الجبهة عبد الخالق محجوب وحسن الطاهر زروق الذي اعتقلته الحكومة الحالية .

٥ ـ حزب التحرر الوطني وقد شكل هذا الحزب قبل ستة اشهر من الانتخابات النيابية ، وضم آل الخليفة عبدالله التعايشي الذين يطالبون بزعامة الانصار بدلا من زعامة آل المهدي لهم ، والسير في ركاب التحرر العربي والوحدة الشاملة بدلا من الانطواء والبقاء ضمن افريقيا .

٦ ـ الجبهة الاسلامية وتضم جماعة الاخوان المسلمين ، اما مبادئهم فهي مبادىء معروفة : ضم مسلمي العالم في وحدة اسلامية تجمع المسلم التركي والباكستاني والعربي والروسي والصيني ... ولا رباط يربط بينهم سوى الدين رغم الكراهية والتزاحم والصراع القائم بين بعضهم بعضا ..!!

اما الجبهة الاسلامية في السودان فتعمل لمسلمي السودان فقط لتطبيق التشريع الاسلامي الصحيح .

٧ ـ واخيرا وليس اخرا حزب « تقدم السودان » الذي يتزعمه محمد الطاهر ازرق ، والمعروف بالعم ازرق .

ولهذا الحزب قصة ! وحرصا على الوعد الذي قطعته لرئيسه، ان اتحدث عنه وعن حزبه في كتاباتي ، أرى لزاما علي ان اطلع القارىء على حزب « تقدم السودان » الذي يعتبر اقدم الاحزاب السودانية اطلاقا ، واعرقها مجدا ... لقد تأسس هذا الحزب قبل ان تتبلور الفكرة الحزبية في السودان وقبل ان تتمخض عن نادي الخريجين .. فقد اجازته حكومة السودان البريطانية ابان الحكم الثنائي، اجازت الى العم ازرق ان يشكل حزبا بزعامته يعرف ب « تقدم السودان » كيف لا والسودان بحاجة الى تقدم وازدهار ورعاية العم ازرق ايضا !.. لا احد ينكر من السودانيين فضل العم أزرق حين نادى حزبه ببقاء الانكليز حاكمة في السودان مدى العمر، فهي ام رؤوم ، هذا هو مبدأ تقدم السودان الرئيسي، فلا عجب بهذا المطلب فمنحه الحاكم العام البريطاني ترخيصا حزبيا شاكرا . وهكذا قام العم ازرق برئاسة الحزب ولا يزال هو الرئيس وهو السكرتير، وامين الصندوق ، ولا غرابة فهو يضم في شخصه الكريم جميع اعضاء حزبه !.. ومع هذا استمر حزب تقدم السودان وادخل تعديلا اساسيا في مبادئه وبرامجه فأصبح ينادي بعودة المستعمر البريطاني ولو لعشرين سنة اخرى ! بينما كان ينادي في الماضي

ـ ابان عهدهم ـ ببقائهم ابدا . كما عزت في قلب العم ازرق الكبير ان يرحل المستعمر بغير رجعة ! فالسودان لا يستحق هذه الخطوة !

العم ازرق شخصية طريفة ومحبوبة جدا، يكفي ان تجلس معه في نادي الخريجين بامدرمان وتلعب معه في طاولة النرد او الشطرنج لكي يحدثك عما تشتهيه نفسك من شؤون سياسية واجتماعية واقتصادية ... بالرغم من انه امي ومع هذا هو رئيس حزب معترف به شرعيا !.. وقد اعجب به احد الصحافيين الانكليز انطوني مان منذ ثماني سنوات وقام يؤلف كتابا لا بل مجلدا يضم حياة العم ازرق ونشاطه الحزبي وسمو مبادئه وعرف الكتاب بـ « جزار امدرمان » اذ أن العم ازرق بحكم مهنته جزار، تراه في كل صباح راكبا على حماره مشرق الوجه مبتسما ذاهبا الى « زريبة الحيوانات » ليعود بضان او بثور الى دكانه يذبحه ويوزعه على زبائنه . لا يترك فرصة الا ويعطي فيها تعليقا سياسيا لطيفا ، وكم كان بودي ان انشر بعض تعاليقه السياسية ولكنني اعتذر لما لهذه الشخصيات من مكانة خاصة ... واحتراما لمركز السودان الدولي .

هذا هو العم ازرق وحزب «تقدم السودان» دون مقدمات ..

والظريف بالامر ان السيد محمد طاهر ازرق رشح نفسه في دائرة امدرمان الشرقية ليزاحم اسماعيل ازهري رئيس الحزب الوطني الاتحادي ويزاحم ايضا خلف الله خالد احد اقطاب حزب الشعب الديمقراطي ، وعندما سألته عن امله في الفوز ، اجاب على الفور يكفي ان بعض الصحف الاوروبية كتبت تقول ان دائرة امدرمان الشرقية تشاهد اعنف تزاحم للانتخابات البرلمانية ، ففيها رئيسان لحزبين مختلفين حول مقعد واحد .

من البديهي ان يخسر العم ازرق امام منافسه القوي اسماعيل ازهري، لكن هزيمة العم ازرق لم تمنعه من متابعة جهوده الحزبية ولم تنل من اعصابه وعزائمه ، انها قوية جدا وتتحمل اكثر ... ولكن العم ازرق ندم ، ندم ـ على حد قوله ـ ان اتعب حماره وهو يعوده بأن يسلك الطريق المؤدي الى البرلمان !

واعود الان الى الانتخابات ونتائجها .



# نتائج الانتخابات النيـابيـة

ان الـ ٤٤ دائرة في الجنوب قد شملت حزب الاحرار وبعض المستقلين واعضاء من الاحزاب الشمالية ولكنهم كجنوبيين انضموا تحت لواء « التكتل الجنوبي » لاصلاح الجنوب والسهر عليه . وقد فاز بالانتخابات حزب الامة بـ ٦٣ مقعدا ، وحزب الوطني الاتحادي بـ ٤٥ مقعدا وحـزب الشعب الديمقراطي ٢٧ مقعـدا والاحـرار الجنوبيين ٢٠ مقعدا والمستقلين ١٨ مقعدا .

وهذا جدول احصائي يبين عدد الناخبين في كل مديريـة وألوانهم الحزبية :

| المديرية | الوطني الاتحادي | الامة | الشعب | الاخرون |
|---|---|---|---|---|
| النيل الازرق | ١٢٩،٩٩٧ | ١٣٩،٩٩٧ | ٢٧،٧٨٨ | ٩،٠٩٦ |
| الشمالية | ٣٨،١٨٣ | ٦،٢٥٣ | ٤٦،٢٩١ | ٣،٩٢٤ |
| كسلا | ٢١،٣٨١ | ٢٠،٥٥٧ | ٣٦،٦٩٦ | ١٠،٨٣٠ |
| كردفان | ٧٢،٠٥٨ | ٨٦،٥٢٧ | ٩،٥٦٣ | ١٦،٣٤٢ |
| دارفور | ٢٤،٠٩٨ | ٥٧،٤٥٤ | ٤،٧٦٤ | ١٠،٨٨٦ |
| الخرطوم | ٥٤،٦٩٤ | | ٢٣،٩٧٥ | ٢،٢٣٢ |
| | ٣٤٠،٤١٠ | ٣١٠،٠١٩ | ١٤٧،٠٧٧ | ٥٣،٣١٠ |

اما المديريات الاستوائية الثلاث فكان التصويت فيها هكذا :
صوت في المديرية الاستوائية ٧٣،١٣٧ ناخبا
وصوت في اعالي النيل ١٠٤،٦٤٩ ناخبا
وفي بحر الغزال ٧٦،٤٧٨ ناخبا .
اي صوت ١٠٪ من مجموع سكان السودان البالغ ١١ مليون نسمة .



( رقصة من جنوب السودان )

يظهر من ذلك ان الحزب الوطني الاتحادي قد نال اغلبية الاصوات كحزب منفرد كما رشح فياغلبيةالدوائر بالنسبة للاحزاب الاخرى .

كانت خيبة امل حزب الوطني الاتحادي عظيمة بعد ان كان يعتقد ان الدوائر جميعها « مقفلة » له ، وعزا الازهري هذا الفشل الى ان الحزب الوطني الاتحادي لم ينشط نفسه كثيرا في معظم الدوائر وان ضغط الحكومة التي كانت مشرفة على الانتخابات قد لعبت دورا هاما في توجيه الناخبين ...

لم يكتف الازهري بهذا بل شك ايضا ان الاساليب الفاسدة التي استعملت في مناطق الغرب وخصوصا في مناطق العراة وفي بعض مناطق جبال النوبة حيث يغير السكان اسمائهم تكيفا مع

الجو !.. او بالاحرى بعد الاحتفال بأعيادهم الخاصة !!.. فمن اسمه احمد اليوم ومن يدري ! قد يصبح غدا كرسي او شجرة !! فهو يختار ما يهواه وما يعجب به ويراه غريبا ..

اشك في ان الاساليب الفاسدة كالضغط والرشوة قد استعملت فقد تجولت على صناديق الاقتراع في العاصمة فكانت تسير الانتخابات فيها سيرا طبيعيا وبكل هدوء وسكينة ولا اعرف ماذا حدث في مناطق العراة ـ فهي قليلة ولكن اذا عممت طريقة الانتخابات التي استعملت في مناطق العراة في جميع مناطق الغرب فمن المحتمل ان يتم التزوير بكل سهولة ، اذ استعملت اوراق ملونة فقط، فالناخب العاري يحمل بيده « ورقة ملونة » رمز مرشحه ويودعها في الصندوق ...

اما النتائج فكانت عودة الائتلاف بين حزبي الامة والشعب الديمقراطي الى الحكم .

ثم تم انتخاب مجلس الشيوخ بالاقتراع وبالتعيين ففاز حزب الامة بـ١٤ مقعدا وحزب الوطني الاتحادي بـ ٥ مقاعد ، والشعب الديمقراطي بـ٥ مقاعد والمستقلين والجنوبيين بـ ٦ مقاعد . بهذا تكونت واكتملت الجمعية التأسيسية بمجلسيها النواب ١٧٣ والشيوخ ٣٠ . واستمرت حتى اليوم السابع عشر من تشرين الثاني ١٩٥٨ .

## عبدالله خليل
## واعضاء الوزارة السابقة

وبعد اسبوعين من اعلان النتائج الانتخابية تقدم السيد عبدالله خليل باسماء وزرائه الى مجلس السيادة المنحل . وفي ٢٧ اذار سنة ١٩٥٨ توجه اعضاء الوزارة الى القصر الجمهوري

وادوا اليمين الدستورية .

اما وزارة عبدالله خليل التي كانت تجلس على كراسي الحكم قبل الانقلاب فهي عبدالله خليل رئيس مجلس الوزراء وكان قد اسند لنفسه وزارة الدفاع ، ميرغني حمزه وزارة الداخلية ووزارة الري والقوى الكهربائية والمائية ( وكان مرغني حمزه قد سقط في الانتخابات البرلمانية فعين في مجلس الشيوخ ودخل الوزارة ) ، ابراهيم احمد ( من خارج المجلس ) تسلم وزارة المالية والاقتصاد ( وكان يشغل هذا المنصب قبل الانتخابات ولكنه لم يرشح نفسه في الانتخابات البرلمانية ومع هذا عاد الى منصبه ) . علي عبدالرحمن ، رئيس حزب الشعب الديمقراطي ، كان قد سقط في الانتخابات النيابية فعين في مجلس الشيوخ ودخل الوزارة ، كان وزيرا للداخلية في الماضي فعاد ليتسلم وزارة الزراعة ووزارة التجارة والصناعة والتموين. محمد احمد محجوب وزارة الخارجية، محمد نورالدين وزارة الصحة ، عبدالرحمن علي طه وزارة الحكومة المحلية ، محمد احمد ابوسن وزارة الشئون الاجتماعية ، زيادة عثمان ارباب وزارة المعارف والعدل ( وقد عين وزيرا للعدل في حكومة الثورة الجديدة ) بوك ديو وزارة الاشغال ، مأمون حسين شريف وزارة المواصلات ، فردنان ادينق وزارة الثروة المعدنية ، امين التوم وزير دولة لشئون الرئاسة ، عبدالله عبد الرحمن وزير دولة ، سانتينو دنج تنج وزارة الثروة الحيوانية .

هكذا عادت الاحزاب الائتلافية واشتركت في الحكم بينما ترك حزب الوطني الاتحادي يشكل المعارضة في البرلمان ويسانده الاحرار الجنوبي الى أن قام الانقلاب وحل جميع الاحزاب واعفى الوزراء وعلق البرلمان .

## الجبهة الوطنية الديمقراطية :

اما النشاط الحزبي فقد ازداد بعد ان جاءت الى الحكم حكومة

تساندها الطائفية لقيادة دفة البلاد . فتبلور الوعي السياسي في اتجاه تكتل القوى الوطينة، فتحفز المتطرفون والتقدميون والاتحاديون لاثارة الشعب السوداني على حاكميه وقد تمخض نشاطهم عن فكرة ائتلافية بدأت منذ مطلع نيسان ١٩٥٨ بالمناداة بوجوب تحالف سياسي يضم الاحزاب والهيئات والفئات والعناصر الوطنية في سبيل اهداف وطنية معينة . واطلقوا أسم « الجبهة الوطنية الديمقراطية » على نشاطهم هذا ، ليعملوا على التقاء كافة التجمعات الشعبية حول طابع ايجابي « هو رفض السياسة الاستعمارية الرجعية » التي يعتقد الداعون الى هذه الجبهة « أن حزب الامة كان يحاول هذا النوع من السياسة» . وجاء على لسان سكرتير لجنة الدعاية للجبهة الوطنية الديمقراطية ، أن اعمال الجبهة تنحصر في :

« ١ ـ الدعاية للاهداف الوطنية وتعميق وعي الشعب بها وكسب تأييد الهيئات والعناصر الوطنية لها .

« ٢ ـ الاتصال بالمنظمات والنقابات وكسبها لفكرة الجبهة الوطنية .

« ٣ ـ أنشاء لجان للدعاية للجبهة الوطنية في مختلف المناطق السودانية وربطها ببعض .

« ٤ ـ وتدعو الجبهة ايضا لاقامة « جبهة » في قلب الجبهة تضم الصحفيين الاحرار تلتزم بالدفاع عن الاهداف الوطنية وتعمل على فضح الاتجاهات الاستعمارية الرجعية. »

وقد حبذ هذه الدعوة وتجند لها كل من الجرائد الوطنية التالية الصادرة في الخرطوم : العلم ـ الميدان ـ الاخبار ـ الزمان ـ التلغراف ـ الصباح الجديد ـ والصراحة .

وهذه الجبهة في طورها التحضيري لاقت اقبالا في جميع

الاوساط الوطنية التي اعتقدت ان الجهود الوطنية قـــد تبعثرت وتنافرت وتفككت ، فجاءت الانتخابات من صالح حزب الامة . كما جاءت الاخبار الاخيرة قبل الانقلاب تقول ان هـــذه الجبهة نجحت تماما في مهمتها . فجاء الانقلاب العسكري ليحل جميع الاحزاب ويمنع التكتلات الشعبية .

## السودان قبل الانقلاب

كانت الجبهة الوطنية الديمقراطية هي اخر تطور حزبي في السودان قبل الانقلاب فحاولت تنسيق جهود الاحزاب السودانية في تكتل واحد لمقاومة حزب الامة . وهذه المحاولة تضم عناصر من الجبهة المعادية للاستعمار ، الوطني الاتحادي ، التحرر الوطني ، الشعب الديمقراطي ، والاحرار الجنوبي .

ومر السودان السياسي في تيارات داخلية ثم تجمعت وصبت في المجرى الوطني الشعبي الذي جاء بالاستقلال .

وقد التقت الاحزاب وتفاعلت وشكلت الاتجاهات العامة للوضع السياسي الداخلي ، فكل حكومة كانت تجلس على كرسي القيادة تضطر الى السير في الاتجاه الشعبي وما تمليه عليها العاصمة المثلثة التي تمثل الوعي الصحيح في السودان .

بدأ السودان يتحفز عندما نشأت الفكرة الوطنية ، التي نمت وترعرعت وازدهرت في الصراع ضد الحكم الاجنبي ، لنيل الاستقلال ووضع الحكم في السودان بين ايدي ابنائه المخلصين ، كما تعززت الدعوة الوطنية بحث الشعب على نشر العلوم الحديثة والاخذ بها وعلى تنمية رأس المال الوطني لتقوية الاقتصاد الذي يوجه السياسة والجنوح لسياسة السلام بين بلاد العالم والمحافظة على الحياد ورفض التقرب من الغرب ، فلم تتمكن الاحزاب من الوصول الى هذه المآرب فجاء الجيش السوداني ليحقق ما لم تحققه السياسة الحزبية .

اشترك السودانيون في الماضي مع المصريين في الكفاح ضد الدخيل الاجنبي ، فاصبحت الدعوة الاتحادية مبدأ مكملا للوطنية السودانية بغير تناقض . فكانت الدعوة الوطنية قبل الاستقلال مرتبطة في الدعوة الاتحادية ... استمر الكفاح المشترك بين مصر

والسودان لوحدة وادي النيل ولكن الاجنبي اعاق هذا التيار بكل قواه حتى نال السودان استقلاله التام .

كانت مشكلة السودان السياسية قبل الانقلاب العسكري تيارات داخلية معاكسة ، نزاع عقائدي بين القوى الطائفية والقوى التحررية ، بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، بين السيطرة وبسط النفوذ وبين الديمقراطية الجماعية .

كان في السودان ثورة قبل الانقلاب ، ثورة حزبية داخلية حول المفاهيم والمبادىء ، وصراع في كيفية صهر الحركة الوطنية في بوتقة واحدة ينسجم فيها المؤيدون والمعارضون وتنسيقها لتتماشى مع جميع الرغبات .

كما كان في السودان عراك في سبيل التخلص من رواسب الماضي المتخلف ولا يزال هذا العراك مستمرا بعد الانقلاب ..

تشعبت المفاهيم وازداد التوتر الحزبي كما سيطرت فوضى السياسة ، على كل مفهوم ومصلحة . فازدادت الدوافع الانقلابية الثوروية في البلاد ولكن من يقوم بها رجال السياسة ام الجيش ؟ وعلى الاخص حين اصبحت التيارات السياسية تتكتل ضد حزب الامة . ومن الاخبار الاخيرة التي جاءت من الخرطوم في ٣١ تشرين اول عام ١٩٥٨ « انه قد تم تأليف الجبهة الوطنية بعد انعقاد مؤتمر وطني بدار اتحاد الجامعة في الخرطوم واشترك فيه الحزب الوطني الاتحادي والجبهة المعادية للاستعمار والهيئات الوطنية والجماعة الاسلامية والعمال والطلبة ، وطالبت باقصاء الحكومة التي سقطت بعد الانقلاب ، وقيام حكومة وطنية تلتزم الميثاق الذي ينص على قبول المعونات غير المشروطة والتمسك بالحياد الايجابي وعدم الارتماء في احضان الغرب بل مساندة الدول العربية وازالة ازمة الثقة بين السودان والجمهورية العربية المتحدة » ..

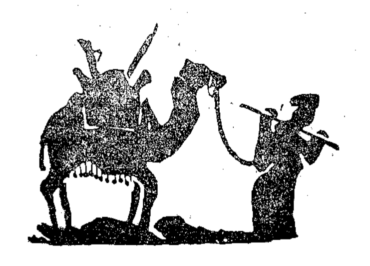
كان هذا رد فعل لقبول حكومة عبدالله خليل السابقة المعونة الاميركية والهدايا البريطانية .. ثم مقاومتها لبناء السد العالي .

وتكاثرت الاخبار المثيرة الاتية من الخرطوم قبل الانقلاب بايام قليلة بان اسماعيل ازهري سافر الى القاهرة واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ومن ثم سافر الى بغداد واجتمع برجال الثورة هناك ، فكان لهذه الزيارات اثرها السيء في قلب عبدالله خليل، كما ازداد الضغط على حكومته السابقة من الخارج من كثرة المظاهرات الشعبية ، ومن البرلمان والوزارة من الداخل ... كلها دوافع تحاول جر عبدالله خليل للذهاب الى القاهرة ومقابلة جمال عبد الناصر ، هذا الاجتماع الذي كان يخشاه عبدالله خليل اذ كان ينظر الى مصر نظرة خوف وحذر .

ثم أكدت الانباء نشوب ازمة وزارية في السودان كان على اثرها ان انسحب ستة من وزراء حزب الامة . والغريب في الامر ، انهم وزراء عبدالله خليل نفسه ، واصبحت حكومة عبدالله خليل بطبيعة الحال مستقيلة . كان لهذه الظواهر تنبؤات كبيرة كما لاح في الافق اختلاف بين جماعة الائتلاف من حزب الامة وحزب الشعب الديمقراطي ، فان مبادىء الشعب الديمقراطي تنادي بالتقرب من مصر ، كيف لا وان السيد علي المرغني قضى عمره لسان حال مصر في السودان . ولكن هل يقدر السيد علي المرغني على ان يبتعد عن السيد عبدالرحمن المهدي وينهي الائتلاف ؟ ففي هذه الخطوة خطر كبير على كيانه الشخصي ومركزه الديني والاجتماعي ، فمن الصعب ائتلافه مع الحزب الوطني الاتحادي لان زعماء الوطني الاتحادي كانوا قد هاجموا نفوذ السيدين علنا . وهل يبقى ائتلاف الحزبين في الحكم وقد ثار معظم الهيئات الوطنية عليه ؟! كيف يخرج السودان من هذه المحنة السياسية ، هل كان بامكان عبدالله خليل تأليف حكومة من حزب واحد هو حزب الامة، فهذا ضرب من المحال فان ٦٣ نائبا من اصل ١٧٣ نائبا ( عدد نواب المجلس النيابي ) لا يحركون ساكنا، كما صعب الائتلاف بين الامة والوطني الاتحادي فقد رفض الازهري الاشتراك في حكومة

ائتلافية يشترك فيها حزب الامة ، ولا يمكن لحزب الامة ان يتنحى عن كراسي الحكم وعدد الاكثرية النيابية كحزب منفرد ، فأصبح البرلمان السوداني لا يجدي نفعا ، اذ لا يمكن لاي من الاحزاب قيادة البلاد لما فيه الخير لجميع الفئـــات .. فتشعبت الاراء وتنافرت المبادىء واصبحت جلسات البرلمان غير مثمرة غارقة في جــدل عقيم ، حتى أن الدستور السوداني لم ينجز بعد ، اذ اصبح كــل فريق يريده على هواه فشملت الفوضى السياسية جميع مرافــق الحياة واصبحت التكتلات متباعدة تنذر بالخطر الداهم خطر تجديد المذابح ..

استمر الشعب السوداني مدة تسعة اشهر وهو يراقب نوابــه وحكومته يدوران في حلقات مفرغة وهو ينتظر دستوره ويئن وهو ينتظر ساعة الفرج .. ومن البديهي أن يتدخل الجيش بعـــد ان اصبحت البلاد على فوهة بركان ، وبعد ان اصبح الخطر على وجود السيدين كبيرا والبلاد لا تزال تكن لهما الطاعة والولاء فجاء العسكريون الى الحكم للاحتفاظ بالوضع الداخلي على حاله ولكن للحد مـــن فوضى الزعامة والسياسة



## الانقلاب

في الساعة الثانية من فجر الاثنين ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ توجهت وحدات مدرعة من الجيش السوداني الى دار الحكومة ومركز الاذاعة والمطار ومخافر قوى الامن واحتلتها جميعا واستولى الجيش على مقاليد الحكم .



**الفريق ابراهيم عبود**

وفي تمام الساعة السابعة صباحا اعلن الفريق ابرهيم عبود، القائد العا للجيش السوداني هذا البيان :

« ايها المواطنون . احييكم جميعا اطيب تحية وبعد ، فكلكم يعرف ويعلم تماما ما وصلت اليه الحالة من فساد وسوء ادارة وعدم

استقرار وخوف للفرد وللمجموع ، وكيف امتدت شرور الفساد الى اجهزة الدولة والمؤسسات العامة دون استثناء . وكل ذلك يرجع الى ما تعانيه البلاد من تنازع الاحزاب . فكل يريد الحكم لنفسه بالاساليب المشروعة والغير مشروعة والاتصال بالصحف والسفارات الاجنبية لا حفظا على استقلال السودان ولا رغبة في أصلاح امور الشعب المحتاج بل جريا وراء الحكم للسيطرة على الدولة ومرافقها .

« ولقد صبرنا كثيرا على تلك الحكومات الحزبية التي تعاقبت الواحدة تلو الاخرى، ولكن الحالة ازدادت سوءا مع الاسف وعبث كل حزب بسلامة السودان وشكا كل فرد من تدهور الحالة وما آلت اليه من الفوضى والفساد ، واوشكت البلاد ان تتردى في الهاوية. ونتيجة لذلك المسلك الشاذ من الطبيعي أن نقوم بوضع حد نهائي لكل ذلك حتى يطمئن الجميع .

«والحمد لله لقد قام جيشكم المخلص في هذا اليوم السابع عشر من تشرين الثاني بتنفيذ هذه الخطوة السديدة المباركة ، التي ستكون نقطة تحول من الفساد الى النزاهة والامانة . وأنا واثق بان كل مخلص يتقبل هذه الثورة بصدر رحب .

« ايها المواطنون ، اننا اذ نقوم بتغيير الوضع لا نبتغي نفعا ولا كسبا ولا نضمر لاحد عداء ولا حقدا بل نعمل ونسعى للاستقرار وضمان مصلحة جميع المواطنين وتأمين السكينة والهدوء لهم . وعلى كل فرد ان يقوم بعمله باخلاص للدولة ، الموظف في مكتبه والصانع في مصنعه والزارع في حقله والتاجر في متجره .

ولما كانت قوات الامن قد تسلمت مقاليد الحكم لتقوم باصلاح الامور والقضاء على الفساد فقد امرت بالتالي لينفذ فورا :

**اولا ــ حل جميع الاحزاب السياسية**

**ثانيا ــ منع التجمعات والمواكب والمظاهرات فيجميع المديريات**

**ثالثا ــ وقف جميع الصحف حتى يصدر امر من وزارة الداخلية .**

وان سلطات الجيش تطالب من الجميع تنفيذ ذلك بروح طيبة وتنذر من تحدثه نفسه بالاخلال بالامن بالعقاب الشديد . والسلطة تؤمن ممثلي الدول الاجنبية على سلامة انفسهم واموالهم وممتلكاتهم

« وانني اؤكد ان السودان الحر المستقل سيبني علاقاته مع جميع الدول الاجنبية والعربية خاصة على اساس الاحترام المتبادل

« اما شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة فسوف نعمل على توطيد العلاقات معها وحل جميع القضايا بيننا وازالة الجفوة المفتعلة التي كانت تسود علاقات البلدين الشقيقين . »

واذاع المجلس الاعلى للقوات المسلحة وهو في الواقع مجلس الثورة ، ثلاثة بيانات عن طريق البكباشي عثمان نصر عثمان ، مندوب القيادة العامة .

وهذا هو نص البيان رقم ١ :

« انا الفريق ابراهيم باشا عبود

« نظرا لما وصلت اليه البلاد من سوء الادارة والفساد والفوضى التي امتدت الى اجهزة الادارة والمؤسسات العامة ، وعملا بالسلطات المخولة الي من المجلس الاعلى للقوات المسلحة وبالمادة الثانية من قانون الادارة العرفية اعلن :

« قيام حالة الطوارىء في جميع انحاء السودان ، واعين القادة العسكريين ليمارسوا السلطات بموجب ذلك القانون . »

التوقيع : الفريق ابراهيم عبود
رئيس المجلس الاعلى للقوات المسلحة

**البيان الثاني :**

« انا الفريق ابراهيم باشا عبود

« عملا بالسلطات المخولة الي من المجلس الاعلى للقوات المسلحة،

اعلن تعطيل الدستور الموقت للسودان ، وحل البرلمان ابتداء من اليوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، الى ان يتخذ المجلس الاعلى للقوات المسلحة قرارا بهذا الشأن . »

**البيان الثالث :**

« انا الفريق ابراهيم باشا عبود

« عملا بالسلطات المخول الي من المجلس الأعلى للقوات المسلحة وعملا بالمادة ٣١ من لائحة دفاع السودان امر بايقاف الصحف والنشرات الاخبارية الى حين صدور امر اخر من المجلس الاعلى للقوات المسلحة . »

ولا بد لبركة السيدين حتى يطمئن معظم الشعب السوداني ان هذا الانقلاب هو مبارك من عند الله .

فدعى المرغني الى توحيد الصفوف راجيا التوفيق لاولئك الذين تولوا الحكم في البلاد .

كما صرح المهدي « ان قادة الجيش تولوا الحكم لتحقيق اماني الشعب التي اخفق السياسيون في تحقيقها . »

ثم اصدر الفريق ابراهيم عبود رئيس المجلس الاعلى للقوات المسلحة ثلاثة اوامر دستورية . وهذاالامر الدستوري الاول :

« عملا بالسلطات المخولة للمجلس الاعلى للقوات المسلحةبموجب بيانرئيسه الصادر في ١٧ تشرينالثاني ١٩٥٨ قرر المجلس في جلسته المنعقدة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٨ اصدار الاوامر الدستورية الاتية :

**«اولا ــ السودان جمهورية ديمقراطية ، السيادة فيها للشعب وباسمه تصدر جميع التشريعات .**

**« ثانيا ــ المجلس الاعلى للقوات المسلحة هو السلطاتالدستورية العليا في السودان.**

**« ثالثا ـ يخول المجلس الاعلى لرئيسه الفريق ابراهيم باشا عبود السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وقيادة القوات المسلحة . »**



**اللواء احمد عبد الوهاب**

وصدر الامر الدستوري رقم ٢ وهذا نصه :

« يتكون المجلس الاعلى للقوات المسلحة من السادة :

« الرئيس : الفريق ابراهيم باشا عبود

«الاعضاء : اللواء احمد عبد الوهاب ، اللواء محمد طلعت باشا فريد ، الاميرالاي احمد عبدالله حامد ، الاميرالاي احمد رضا فريد ، الاميرالاي حسن بشير نصر ، الاميرالاي احمد البحاري ، الاميرالاي محمد نصر عثمان الاميرالاي الخواض محمد ، اميرالاي احمد عوده ، القائمقام عود عبد الرحمن صغير ، القائمقام اركان حرب حسين علي

كراد .

وصدر الامر الدستور رقم٣ بتشكيل الوزارة ابتداء مـن ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٨ من السادة :

« الفريق ابراهيم‌عبود لرئاسة الوزارة والدفاع .

« اللواء احمد عبد الوهاب للداخلية والشؤون المحلية .

«اللواء محمد طلعت باشا فريد للاستعلامات .

« الاميرالاي احمد عبدالله حامد للزراعة والري.

« الاميرالاي احمد رضا فريد للاشغال والثروة المعدنية .

«الاميرالاي حسن بشير نصر لشؤون الرئاسة .

« احمد مجدوب المجاري للمواصلات .

« زيادة ارباب للعدل ، وكان وزيرللتربية والعدل في حكومة عبدالله خليل السابقة .

« عبد الماجداحمد للمال والتجارة .

« تنفينو تن للثروة المعدنية

« أحمد خير للخارجية

« احمد محمد علي للصحة . »

جاء الانقلاب العسكري رد فعل للاحداث السياسية التي جرت في السودان قبل وقوعه ، وجاء فيبيان زعيم الانقلاب انه ما قام به الا ليضع حدا للفساد والفوضى الداخلية وبصورة اوضح قام هذا الانقلاب الارادي ليحاول اصلاح جهاز الادارة في الدولة ويحافظ على الكيان والنفوذ الطائفي في البلاد ـ اذ منع الصحف من‌التعرض الى رجال الدين ومقامهم الرفيع . فلا عجب بهذا فان الفريق‌ابراهيم عبود هو من سواكن القرية الصغيرة في شرقي السودان بالقرب من البحر الاحمر حيث جاء اليها والد جد المرغني الحالي بنشر تعاليم الختمية ، فاعتنق سكان سواكن هذه الطريقة واصبحوا يكنون الولاء

لاسيادها وللسيد علي المرغني الذي يمثلها ، فالفريق ابراهيم عبود لا يختلف كثيرا عن ابناء قومه فهو يمتاز بالصفات ذاتها . هـــذا واقول ان الانقلاب العسكري قام ليضع حدا للمتطرفين من ابنـــاء الشعبالسوداني ويحافظ على الامن الداخلي وعدم انتشار الفوضى السياسية والمبادىء الحديثة ، بل اكتفى بالاصلاح المحلي بقدر ما تعطيه امكانياته ، انها ثورة شكلية لا تغير او تبدل في اعتقادات ابناء السودان فالسودانيون يطالبون بثورة ولكن ثورة جذرية اصلاحية قوية تقوم على اسس عصرية وتبتعد عن رواسب الماضي وقدسياته

فلعل الفريق ابراهيم عبـــوديحقق ما يصبو اليـــه الشعب السوداني من امان فيعمل على تطهير داخلي بعد ان اثبتتالانقلابات الاخيرة التيحدثت فيالشرق الاوسط وتسلم رجالالجيش السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ان العسكريين يمتازون ايضا في دبلوماسية رجال السياسة وكذلك اكثر منهم نشاطا واصلاحا .



## الخلاصة

والان بعد اطلاعنا على تاريخ السودان السياسي والتأثيرات الداخلية والاتجاهات السياسية هناك ، وتعرفنا على الدوافع الاجتماعية والدينية التي من اجلها يقدس معظم السودانيين الماضي ويرتبطون به ، كما انهم يبتعدون عن الحاضر المعقد المتغير، لان تفكير معظمهم لا يستوعب الروح العصرية والتقدم العلمي فيه ، لجأت الحكومة السابقة الى الحد من اندفاع الطليعة السودانية التي حاولت التخلص من رواسب الماضي ومن بقايا المسالك الصوفية .

تجمعت القوى المعارضة لحكومة عبدالله خليل السابقة وتمخضت عن جبهة وطنية تطالب رجال الدين بالتنحي عن تسيير دفة الحكم في البلاد وفق اهوائهم ولمصالحهم الخاصة .

ثم جاء الانقلاب العسكري في ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٥٨ ، بينما كانت المزاحمة على السلطة « شرعية » وكانت معركة السياسة ديمقراطية صحيحة فنتج عنها ان اصبح عبدالله خليل عاجزا عن البقاء في كرسي الحكم امام تيارات المعارضة والوعي المتزايد ... وشعر حزب الامة بأخطائه المتكاثرة ، فتحرك قادة الجيش وتسلموا زمام الحكم في السودان .

وبعد اسبوع او اكثر من الانقلاب خرج عبدالله خليل عن صمته وصرح بأنه كان على علم بالانقلاب قبل وقوعه بأسابيع ! وهنا

يتساءل المراقب ماذا يقصد عبدالله خليل بتصريحه الخطير هذا ؟ هل يريد ان يقول ان حكومة الفريق ابراهيم عبود جاءت لتتم ما فشل الخليل في انجازه ؟ ام يريد ان يثبت بهذا انه كان وراء مناورة حزب الامة وسحب ستة من وزرائه قبل الانقلاب العسكري بيومين !..

ولكن الفريق ابراهيم عبود اثبت منذ الانقلاب حتى اليوم انه رجل اعمال وادارة وتطهير ، وانه يريد تحطيم الخلافات المصطنعة بين السودان والجمهورية العربية ، والتخلص من فوضى الزعامة والسياسة في السودان . ونحن ننتظر هذه النتائج بفارغ صبر ..

والسؤال الهام الذي يطرأ على تفكير المراقب لاحداث السودان ، ما هي العناصر التي تعارض حكومة الانقلاب الحالية .. يصعب التكهن في الوقت الحاضر ولكن الدلائل تشير ـ كما جاءت على لسان وزير الداخلية الحالي اللواء احمد عبد الوهاب ـ « ان بعض الجرائد تحاول انتقاد تصرفات الحكومة ولهذا انذرت » وهنالك جريدتان انذرتا هما « الميدان » و « الصراحة »

اما جريدة «الميدان» النصفاسبوعية فهي الناطقة بلسان الجبهة المعادية للاستعمار ، والتي كانت تعارض حكومة عبدالله خليل السابقة ـ على رؤوس الاشهاد ـ ، واما «الصراحة» فهي تمثل رغبة الحزب الوطني الاتحادي وتصدر بعد ظهر كل يوم . وان صح هذا ، فانه يثبت ان المعارضة السابقة للحكومة السابقة تتجمع اليوم لتصبح المعارضة الحالية ، وبهذا يكون حقا عبدالله خليل على علم بالانقلاب العسكري بدون مبالغة !..

ويتساءل المتطلعون هل رضيت جميع الفئات والهيئات السودانية بحكومة الانقلاب الحالية ؟

لكنني على ثقة تامة بان حكومة الانقلاب الوطنية هذه، هي حكومة ادارية اصلاحية تضم نخبة من القادة الواقعيين الذين يحترمون مصلحة السودان ولهذا نأمل منهم كل خير لايجاد حلول جذرية للقضايا المتعلقة بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان اذ ان المصلحة المشتركة بينهما هي مصلحة العرب في كل مكان .

وكل ما نأمله ، ولا شك فيه ، ان يكون رجال الانقلاب السوداني اكثر واقعية من الحكومة السودانية السابقة ، ولهذا نطالبهم بالاسراع في حل الخلافات المصطنعة بين السودان والجمهورية العربية المتحدة وكلنا ثقة بقدرة الفريق ابراهيم عبود ومجلسه على تخطي العقبات .



**ـ انتهى ـ**

**رسومات الكتاب بريشة المؤلف**

قريبا يصدر للمؤلف :

**١ ـ (( مشاكل السودان الاجتماعية ))**
**٢ ـ (( مشاكل السودان الاقتصادية ))**

# اهم محتويات الكتاب



***

تصويب : صفحة ٢٤ سطر ١٧ خطأ : عام ١٨٩٥ الصواب : عام ١٨٨٥
" ٢٢ " ٢٠ " لباب " لبب


شركة الطبع والنشر اللبنانية ـ تلفون ٣٢٢٥٧ ـ ص.ب : ٩٤٩

الثمن : ٢٢٥ غرشا لبنانيا